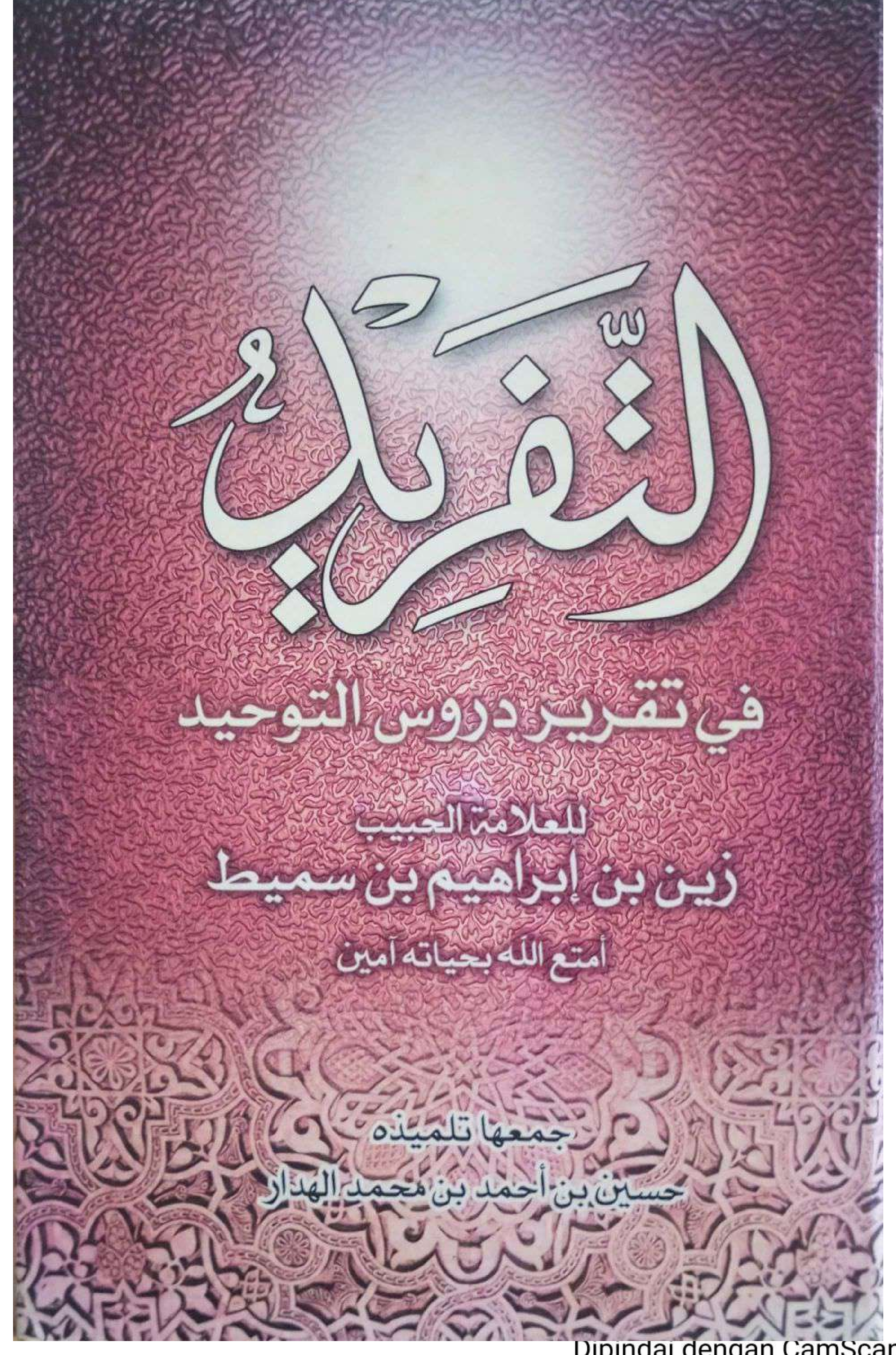

التفريد
في تقرير دروس التوحيد
للعلامة الحبيب
زين بن إبراهيم بن سميط
أمتع الله بحياته آمين
جمعها تلميذه
حسين بن أحمد بن محمد الهدار

التفريد في تقرير دروس التوحيد
للعلامة الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط
جمع وترتيب: حسين أحمد محمد الهدار

الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م

قياس القطع: ١٦ x ٢٤،٥



جوال : +٦٢٨١٨٠٦٦٩٩٩١٣
البريد الإلكتروني : alkhairaat_press@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

التفريد

في تقرير

دروس التوحيد

للعلامة الحبيب /

زين بن إبراهيم بن سميط

أمتع الله بحياته ونفع به وبعلومه

جمعها تلميذه /

حسين بن أحمد بن محمد الهدار

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول الآخر المريد القدير، المنزه سبحانه عن الصاحبة والولد والشريك والوزير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مَنْ ذِكْرهُ خيرُ حرزٍ وحصانة، وأشهد أن سيدنا محمداً المبعوث بأعظم ديانة ، والموصوف بالصدق والأمانة ، صلى الله وسلم عليه وعلى جميع آبائه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين ، المنزهين عن النقائص وعن كل ما يشين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته والتابعين ، وتابعي التابعين ، بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا شرح مسدَّدٌ ومفيد ، مستخلصٌ من دروس التوحيد ، لسيدي الحبيب العلامة ، والحبر الفهامة ، والبحر المحيط ، زين بن إبراهيم بن سيمط ، أمتع الله بحياته حسّاً ومعنى ، وأدام النفع بعلومه وجعلها للبرية خير مجنىً ، يسهل على الطالب المبتدئ استيعابُها ، بعد أن فكّتِ عويصات مسائلها وذُلِّلت صعابُها ، نسأل الله أن ينفع بها إلى يوم الدين ، إنه الموفق لكل خير وهو ذخرنا ونعم المعين ، والحمد لله رب العالمين.

حسين بن أحمد بن محمد الهدار

نبذة مختصرة عن

العلامة الحبيب محمد بن أحمد الشاطري

رحمه الله ونفع بعلومه آمين

هو السيد العلامة محمد بن أحمد بن عمر بن عوض بن عمر بن أحمد بن عمر بن أحمد بن علي بن حسين بن محمد بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري ابن الفقيه علي ابن القاضي أحمد بن محمد أسد الله بن حسن الترابي بن علي ابن الفقيه المقدم العلوي التريمي الحضرمي رضي الله عنهم جميعاً، ونسبتهم إلى جدهم علوي الملقب بالشاطري، وذكر المترجَمُ له في كتابه المعجم اللطيف أنه لقب بذلك لأنه شاطر أخاهْ، أبا بكر الحبشي جميع أمواله محبةً له ومواساهْ، فأعطاه شطرها بنفسٍ سَخيَّةْ، وأبقىٰ لنفسه شطرها فطابت العطيَّةْ.

ولد رحمه الله في مدينة تريم حضرموت يوم الاثنين الموافق ٢٨/جمادي الثانية ١٣٣١هـ وسماه الإمام الكبير العلم النبراسْ، أحمد بن حسن العطاسْ، ودعا له بأن يجعله الله من أهل العلم والفضل والنجابةْ، فظهرت عليه أمارات هذه الدعوة المجابةْ، وعاش معلّماً ومربياً متصفاً بالنجابة والحلمْ، وتخرّج على يديه الكثير من طلاب العلمْ، وتقلد العديد من الوظائف العلميةْ، التي كان أهلاً لريادتها وإدارتها بهمةٍ علويةْ، وأثمرت جهوده بما لا يتسعِ المجال هنا لشرحِهْ، لعِظَمِ ما منَّ الله به على هذا الإمام من فيضِه وفتحِهْ، ومن أجل شيوخه الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري، ووالده الإمام المحقق ذي الصيت العاطري، وتَوَلّى الإفتاء بمجلس الدولة الكثيريةْ، سنة ١٣٦٤هجريةْ، لما اشتهر به من النزاهة والتحقيق، والفطانة والعلم والتدقيق، واستقرَّ بمدينة جدة عام ١٣٩٣هـ مواصلاً لجهوده العلميةْ، ومدرساً للبضعة الهاشميةْ، وغيرهم من طلاب العلم المتسبين للجهة الحضرميَّةْ، إلى أن وافته المنيةْ في في الرابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٢هجريه.

رحمه الله رحمة الأبرارْ ، وجزاه عنا خير ما جازىٰ المشائخ الأخيارْ، وجعل علومه من بعده خير منار، لكل طالبٍ ومتّبعٍ على الآثارْ، والحمد لله رب العالمين

نبذة مختصرة عن

العلامة الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط

أمتع الله بحياته وأدام النفع به آمين

هو السيد العلامة الفقيه العابد الزاهد الداعي إلى الله الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط الحسيني العلوي الحضرمي

ولد نفع الله به في جاكرتا (إندونيسيا) عام ١٣٦١هـ

تربى في أسرة صالحة وسافر في أوائل سن بلوغه إلى حضرموت لطلب العلم ودرس على عدد من علمائها ومشائخها ومن أوائلهم: الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ والحبيب عمر بن علوي الكاف والشيخ العلامة المحقق محفوظ بن سالم الزبيدي والحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيل والحبيب محمد بن عبدالله الهدار أخذ عنهم واستجازهم وكان مشائخه يثنون عليه لتميزه بين أقرانه وحسن أدبه وسلوكه.

تنقل بين البلاد في الدعوة إلى الله والتعليم فسافر إلى البيضاء وذلك بطلب من الحبيب محمد بن عبدالله الهدار وأقام هناك نحو ثلاثين عاماً خادماً للعلم الشريف ومفتياً في المذهب الشافعي وكان يتنقل في نواحٍ كثيرة من المدن والقرىٰ للدعوة إلى الله.

ثم هاجر إلى الحرمين والتقى عدداً من العلماء والصلحاء كالسيد علوي بن عباس المالكي والحبيب عمر بن أحمد بن سميط والحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد والحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف والحبيب عطاس الحبشي والحبيب محمد بن أحمد الشاطري وغيرهم الكثير

واستقر به المقام في مهاجر جده المصطفى عليه الصلاة والسلام (المدينة المنورة) وأخذ عن علماء المدينة كالشيخ أحمدّو الشنقيطي والشيخ محمد زيدان الأنصاري وغيرهما.

وفي ختام هذه النبذة المختصرة فإن المترجم له نفع الله به يعتبر الآن من شيوخ المرحلة، وقد جعله الله مظهراً من مظاهر الطريقة والعلوم السلفية في عصره أمتع الله به في عافية، وأدام النفع به آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. اهـ (الفيوضات الربانية)

الدرس الأول

في مبادئ علم التوحيد

مبادئ علم التوحيد

مبادئ علم التوحيد[1] كبقية الفنون عشرة، وهي: حده، وموضوعه، وثمرته، وفضله، ونسبته إلى غيره من العلوم، وواضعه، واسمه، واستمداده، وحكم الشارع في تعلمه، ومسائله ونظمتُها في بيتين ليسهلَ حفظُها وهما:

حـــدٌّ وموضـــوعٌ وثمـــرةٌ معـــا ... فضـــلٍ ونســـبةٌ ومَـــنْ قـــد وَضَـــعَا

واســـمٌ ومأخـــذٌ وحكـــمُ شرعِنـــا ... مســـائلٌ هـــذي مبـــادي فنِّنـــا

قوله: (مبادئ علم التوحيد كبقية الفنون عشرة) مبادئ علم التوحيد كما هي مذكورة في الأبيات:

إن مبـــادئَ كـــلِّ فَـــنٍّ عشـــرة ... الحـــدّ والموضـــوع ثـــم الثمـــرة

وفضـــلهُ، ونســـبةٌ وفَـــنِّ الواضـــعْ ... والاســـمُ، الأستمداد، حكـــمُ الشـــارعْ

مســـائلٌ، والـــبعضُ بـــالبعض اكتفـــى ... ومـــن درى الجميـــع حـــاز الشـــرفا

هذه عشرة مبادئ لكل فنٍّ فلا تختص بفَنٍّ دون فن كعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه وهكذا.

والآن سيشرع في علم التوحيد وتوجد فيه هذه المبادي العشرة كما سيذكرها لكن هنا أتى بأبيات أخرى وهي أخصر فالأبيات الأولى ثلاثة أما هنا فبيتان فقط.

ومعنى (من قد وضعا) أي واضعه، ومعنى (مأخذٌ) أي استنباطُهُ.

---

(١) قال أبو إسحاق الإسفرايني المتوفى سنة ٤١٨هـ رحمه الله: جمع أهل الحق جميع ما قيل في التوحيد في كلمتين:

● إحداهما.. أن كل تصَوُّر في الأفهام فالله تعالى بخلافه.

● الثانية.. اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بذات ولا معطَّلة عن الصفات وقد أكَّد ذلك سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] قال سيدي نفع الله به: قلت: لأن كل ما تصوَّرْتَهُ أو توهمته فهذا مخلوق مثلك والله جل وعلا تقدَّس وتنزَّه أن يحِل في مخلوق أو يحل فيه مخلوق وليس بجسم ولا بجوهر ولا عرض. اهـ (بهجة الطالب)

حدُّهُ: علمٌ يبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية الصحيحة بأدلتها اليقينية القطعية سواء أكانت عقلية أم نقلية.

موضوعه: ذات الله وذات رسله، وما تعلق بهما من حيث الواجب والجائز والمستحيل في حقهما.

قوله:(**حده: علمٌ الخ**) معنى الحد في اللغة.. أي المنع ومنه حدود الدار لأنها تمنع من بخارجها من الدخول، وكذلك حدود الشرع سميت بذلك.. لأنها تمنع المحدود أي المرتكب للجريمة من أن يعود إلى جريمته لأن السارق لو سرق وقطعت يده يمنعه ذلك من أن يعود إليها، فإذا لم يقام الحد.. فإن ذلك يحمله على التردد، وشرعت هذه الحدود زجراً عن ارتكاب ما يوجبها، وأما معنى الحد في الاصطلاح: فهو ما جمع أفراد المحدود ومنع من دخول غيره وهو الحد التام ويسمى الجامع المانع ويطّرد وينعكس، كما إذا أردت تعريف الإنسان فحَدُّه أن تقول: حيوانٌ ناطق فهذا جامع مانع، أما الحدُّ بالأعمّ: فهو ما جمع أفراد المحدود لكنه غير مانع من دخول غيره فهو فاسد الاطِّراد كما إذا قلنا في تعريف الإنسان.. أن الإنسان حيوان فقط فهذا تعريف ناقص صحيح للإنسان لكونه عام لا يمنع دخول غيره فيه كبقية الحيوانات فإنها تدخل فيه فهو جامع لكنه غير مانع لأنه يدخل فيه بنو آدم وغيرُهم، وكذلك الحد الأَخَصّ: وهو بالعكس أي مانع من دخول غيره لكنه غير عام أي: لا يجمع أفراد المحدود فهو فاسد العكس كما كما إذا قلنا في تعريف الإنسان أن الإنسان رجلٌ فهذا مانع من دخول غيره من الحيوانات فيه لكنه غير عام أي: لا يجمع أفراد المحدود لأنه يخرج به النساء والأطفال، فالحدُّ بالأعمِّ جامع غير مانع، والحدُّ بالأخصِّ مانع غير جامع.

قوله: **(يبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية الصحيحة بأدلتها اليقينية القطعية الخ)**

أمور العقائد لا بُدَّ أن تكونَ الأدلةُ فيها قطعية، والأدلة القطعية لا تكون إلا من الكتاب ومن الحديث المتواتر والإجماع، بخلاف فروع الشريعة من الفقه ونحوه.. فهذا يُقبل فيها الأدلة الظنية، بل إن أكثر أدلة الأحكام الشرعية ظنيَّة، لأنها من أحاديث الآحاد والأحاديث المتواترة فيها قليل بالنسبة لأحاديث الآحاد، والحديث المتواتر.. يفيد القطع أي: اليقين، أما حديث الآحاد فإنما يفيد الظَّن فقط سواء الغريب والعزيز والمستفيض كلُّها داخلة في الآحاد لكن يجب العمل به إذا كان صحيحاً أو حسناً، ولا يكفر من أنكره بخلاف ما يفيد القطع من القرآن والحديث المتواتر فيكفر مُنْكِرُهُ، فأمور العقائد لا تثبت إلا بدليل قطعي سواءٌ كانت هذه الأدلة نقلية أم عقلية.

قوله: **(موضوعه: ذات الله وذات رسله الخ)**

هذا موضوعه فعلماء علم التوحيد ليس معنى قولهم: أول ما يجب على المكلف معرفة الله أي معرفة حقيقته تعالى إذ لا يعرف الله.. إلا الله، وإنما مرادهم بذلك معرفة صفاته تعالى مما يجب له من الصفات وما يستحيل عليه وما يجوز له سبحانه وتعالى فهذا هو المراد بموضوعه.

أما حقيقته تعالى فلا يدركها أحد كما قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تحيط به، وليس معناه لا يُرىٰ! لأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، فالآية لم تنف الرؤية وإنما نفَتْ الإحاطة.

فلم يقل لا تراه الأبصار، إنما ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ﴾ وهو الرؤية مع الإحاطة.

كما إذا قيل لك: هل رأيت السماء؟ فإنك تقول: نعم، فإذا قيل لك: هل أحطت بها؟ فإنك تقول: لا، وهذا معنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، فالمنفي إدراكُهُ، لا رؤية البصر، وقيل معنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي في الدنيا بخلاف الآخرة.

قوله:(وما تعلق بهما من حيث الواجب والجائز والمستحيل الخ)

أي أن موضوعه أيضاً: ما تعلق بالله ورسله من حيث الصفات الواجبة لله تعالى وهي عشرون صفة، والمستحيلة عشرون صفة، والجائزة صفة واحدة، وفي حق الرسل أربع واجبات، وأربع مستحيلات، وواحدة جائزة، فتصير تسعَ صفاتٍ بالإضافة إلى صفاته تعالى فيكون جملةُ ذلك خمسين صفةً كما قال صاحب عقيدة العوام:

فـــاحفظ لخمســـين بحكـــمٍ واجـــب

وعلم التوحيد محصور في ثلاثة أشياء: الإلهيات والنبويات والسمعيات ومعنى الإلهيات: أي ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى، والنبويات: أي ما يتعلق برسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والسمعيات: أي ما يتعلق باليوم الآخر، وما بعده من الأمور الغيبية من القبر والعذاب والبعث والحشر ودخول الجنة، وغير ذلك فهذه تسمى سمعيات لأن أدلتها ليست عقلية وإنما سمعية أي مسموعة من الكتاب والسنة، فالجملة كلها خمسون عقيدة أي: يجب على الإنسان أن يعتقد هذه بقلبه اعتقاداً جازماً لا يخالطه شك ولا ريبٌ ولا تردد، وإلا فلا يقبل منه مع تردُّدٍ وغيره ولا يصح إيمانه.

ثمرته: معرفة صفات الله ورسله، ثم الفوز بالسعادة الأبدية بسببها.

فضله: سيادته على جميع العلوم كلِّها إذ هو متعلق بالله ورسله والمتعلِّق -بكسر اللام- يشرف بقدر شرف متعلَّقه -بفتحها-.

نسبته إلى غيره من العلوم: أنه أصل جميع العلوم الدينية، وغيره فرع لها.

قوله: (**ثمرته: معرفة صفات الله ورسله، ثم الفوز بالسعادة الأبدية الخ**)

ثمرتُه: أي: فائدته، وقالوا إذا الإنسان لم يحفظ هذه المبادئ العشرة فلا أقل من أن يحفظ ثلاثةً منها: حدَّه، وموضوعَه، وثمرتَه، لأن بالحد.. يَعرف ما هو ساعٍ في تحصيله، وبالموضوع.. يتميز ذلك العلم عن غيرِه من العلوم، وبالثمرة.. يقوىٰ باعثه على الطلب، والفائدةُ الحقيقية إذا الإنسان تعلم علم التوحيد هي معرفةُ الله ورسله بالبراهين القطعية، ثم الفوز بالسعادة الأبدية، وبالخلود في الجنان العلية.

قوله: (**فضله: سيادته على جميع العلوم كلها الخ**)

أي: أن علم التوحيد هو أفضل العلوم على الإطلاق كما قيل:

وأفضـــلُ العلـــومِ بـــالإطلاقِ علـــمٌ بـــهِ معرفـــةُ الخـــلَّاقِ

ولا خلاف بين العلماء في ذلك لأنه علم يتعلق بذات الله ورسله، والعلم يشرُفُ بشرَفِ مُتعَلَّقِهِ، ولأن بقية العلوم فروع بالنسبة إليه وهو أصلٌ.

قوله: (**نسبته إلى غيره من العلوم الخ**) أي: أن بقية العلوم فروع بالنسبة إليه وهو أصل، ولهذا سُمِّيَ علم أصول الدين[1]: لأن علم الأصول علىٰ قسمين: أصول الدين، وأصول الفقه.

---

(١) وما أحسن قول بضعهم:

أيُّهـا المُغتـدي لتَطْلُـبَ علمـاً: كُـلُّ علـمٍ عبـدٌ لعلـمِ الكـلامِ

تطلـبُ الفِقْـهَ كـي تُصـحِّحَ حُكْـماً ثُمَّ، اغْفَلْـتَ، مَنزِلَ، الأحكامِ

اهـ (الباجوري على الجوهرة)

واضعه: الله حقيقة، وبصفة كونه فناً مدوناً: الإمام أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٤هـ والإمام أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـ وأتباعهما من الأشاعرة والماتريدية: (أهل السنة) وأما مِن المعتزلة فكثيرون، كواصل بن عطاء المتوفى سنة ١٨١هـ ومن بعده من أئمتهم.

قوله: (**واضعه: الله حقيقةً الخ**) نعم الواضع الحقيقي هو الله تعالى لأن صفاته تعالىٰ مذكورة في القرآن وفي السنة، لكن أول من ألَّفه ودوّنه ورتَّبهُ هو إمام أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن الأشعري واسمه علي بن إسماعيل الأشعري إمام أهل العقيدة الأشعرية، وكذلك الإمام أبو منصور الماتريدي واسمه محمد بن محمد الماتريدي[1] وأتباع الأئمة الأربعة أكثرهم على عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري، وأما أصحاب الإمام أبي منصور الماتريدي فقليل في بلاد ما وراء النهر أي نهر جيحون بخراسان والخلاف بينهما قليل وفي الحقيقة إنما هو خلاف لفظي في أقلَّ من عشر مسائل: كتعريف الشقي والسعيد، فأبو الحسن الأشعري يقول أن الشقي من شقي في الأزل ولا عبرة بالحالة الراهنة فقد يكون يصلي ويصوم قال صاحب الزبد:

إن الشقي لشقي الأزل ... وعكسه السعيد لم يبدَّلِ

والسعيد من سبق في الأزل أنه سعيد ولا عبرة بالحالة الراهنة كما قال صاحب الزبد:

لم يزل الصدِّيقُ فيما قد مضىٰ ... عند إلهه بحالة الرضا

---

(١) هذا من جهة التدوين والرد على المعتزلة ونحوهم وإلا فالتوحيد جاء به كل نبي من سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو معنى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

فيقال له: سعيد، وإن كان الآن كافراً أو مجرماً أو ظالماً لكنه قد سبق في علم الله تعالىٰ أنه يموت علىٰ لا إلٰه إلا الله، لكننا لا نطَّلع علىٰ ذلك، لأن الخاتمة تتبع السابقة، ومتى نعرف ذلك؟ نعرفه بالخاتمة فمن مات علىٰ الإيمان عرفنا أنه سعيد، ومن مات علىٰ الكفر عرفنا أنه شقي، فلا عبرة بالحالة الراهنة فعلىٰ مذهب أبي الحسن الأشعري.. لا ينقلب حال السعادة إلىٰ الشقاوة، ولا حال الشقاوة إلىٰ السعادة، فمن سبق في علم الله أنه شقي فهو شقي، ومن سبق أنه سعيد فهو سعيد، أما مذهب الإمام أبي منصور الماتريدي فإن ذلك ينقلب فإذا شخص مؤمن فهو سعيد فإذا كفر.. انقلبت السعادة إلىٰ الشقاوة، وإذا كان مثلاً كافراً فهو شقي وبعد ذلك أسلم.. انقلبت الشقاوة إلىٰ السعادة علىٰ مذهبه، وهما متفقان علىٰ أن من مات علىٰ الإيمان.. سعيد، ومن مات علىٰ الكفر.. شقي، وإنما الخلاف من جهة التسمية فقط، ومذهب الأشعرية والماتريديَّة متوسِّطٌ ما بين مذهب الجبَرِيَّة ومذهب المعتزلة، أي توسَّطوا بينهما فخرج مذهبهما من بين فرث ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، ولهذا يقول الإمام الحداد رضي الله عنه:

وكُــنْ أشــعرياً في اعتقــادك إنَّــهُ هو المنهلُ الصافي عن الزيغ والكفرِ

فالزيغ.. مذهب المعتزلة، والكفر: مذهب الجبَرِيَّة لأنهم يقولون أن الإنسان ليس له اختيار كا الريشة في صحراء تقلبها الرياح كيف شاءت أي أن الخلق كلهم مجبورون ومقهورون على ما يأتون ويذرون ليس لهم اختيار ولا رأي وأن أفعالهم تشبه أفعال المجانين والساهي والنائم، وهذا المذهب يُفهم بطلانه ببديهة العقل لأنه يؤدي إلى القول بأنه لا فائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، ويقولون: أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة وهذا مذهب باطل، وأما المعتزلة: فلا يقولون هكذا وإنما بدعتهم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، بقوّة أودعها الله فيه، ولهذا لم يكفروا لما قالوا بقوة أودعها الله فيه، وأما أهل السنة والجماعة فأفعال العبد سواءٌ

كانت اضطرارية أو اختيارية كلها من فعل وخلق الله، والذي يُنسب إلى العبد إنما هو الاختيار والكسب، أما الفاعل الحقيقي فهو الله تعالى، وأول من أسس مذهب المعتزلة هو واصل بن عطاء وكان يجالس الإمام الحسن البصري ومن تلاميذه وكان دائماً ما يسأل الإمام الحسن البصري في المسائل الخلافية حتى طرده، وقال له: اعتزِل عَنَّا، ولهذا سمي مذهبه ومن تبعه بالمعتزلة.

اسمه: (علم التوحيد)؛ لأن أهم مباحثه، إثبات وحدانية الله.

و(علم الكلام)، لأن أشهر مسألة كثر الاختلاف فيها بين العلماء المتقدمين مسألة: كلام الله أو لأنهم يصدرون أبوابه بقولهم: الكلام على كذا.

ويسمى أيضاً: (علم أصول الدين) وله أسماء أخر لا يحتملها المقام.

قوله: **(اسمه: علم التوحيد الخ)**، أي: اشتهر هذا الفن بعلم التوحيدِ، ولماذا سمي به؟ لأن أهم مباحث هذا العلم وحدانية الله، فلهذا سمي علم التوحيد.

قوله: **و(علم الكلام)**، أي: ويسمى علم الكلام والمناسبة في تسميته بذلك كما قال المصنف لأن أشهر مسألة كثر الاختلاف فيها بين العلماء المتقدمين.. مسألة كلام الله تعالى.. هل هو كلام قديم أو حادث؟ وهذا الإمام أحمد بن حنبل لما حصلت تلك الفتنة حتىٰ حُبس وضُرب.. كله بسبب أنه كانت هناك طائفة من المعتزلة وكانوا من المقربين عند المأمون، فأجبرَ العلماءَ أن يقولوا أن كلام الله مخلوق، فأبىٰ الإمامُ أحمد وناظرهم فحبس وضرب، وبعضهم هرب، وبعضهم قُتِل، وبعضهم قال أنه مخلوق، وهو مجبرٌ، أما الإمام أحمد فأبىٰ لأنه قدوةٌ للناس ولو قال لتبعتْهُ الأمة، فصبر وثبت حتىٰ لا تضل الأمة، حتى قال بعضهم: أن الإمام أحمد بن حنبل دخل الكير فخرج ذهباً صِرْفاً، وقد رأىٰ الإمام الشافعي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا يقول له فيها: "بشِّر أحمد بن حنبل بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه" كما حصلَ ذلك لِسيدنا عثمان، وبقي الإمام أحمد بن حنبل مسجوناً في عهد المأمون والمعتصم والمتوكل، وأُفرج عنه في خلافة الواثق بالله وأكرمه بعد خروجه، وقيل: سمي علم الكلام لأنهم يُصَدِّرون الأبواب بقولهم: الكلام على كذا، الكلام على كذا، فسمي علم الكلام من هنا.

قوله: **(ويسمى أيضاً: علم أصول الدين)** كذلك يسمىٰ هذا العلم علم أصول الدين[1]، لأن بقية العلوم بالنسبة إليه فرع وهو أصل لها، ويقال: الأصلَانِ، لعلوم الأصول: أي علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، وله أسماء أخرىٰ كما قال المصنف.

(١) ونظم بعضهم هذه الأسماء الثلاثة بقوله:

فصلٌ: وما للفنِّ من أسماء ... فَهيَ ثلاثةٌ بلا أمتِراءِ

علمُ الكلامِ، وأصولِ الدِّينِ ... وعلمُ توحيدٍ على اليقينِ

مأخذه أو استمداده: من الأدلة والبراهين القطعية سواء أكانت عقلية أم نقلية.

حكم الشارع في تعلمه: وجوب معرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله ورسله، بأن يعتقد ذلك اعتقاداً تاماً مطابقاً للواقع.

قوله: **(مأخذه أو استمداده: من الأدلة والبراهين القطعية)**

كذلك مما ينبغي معرفته: من العشرة المبادئ لكل علم مأخذه أو استمدادهُ، وعلم التوحيد مُستَمدٌّ من الأدلة القطعية إما من الكتاب أو من السنة المتواترة أو من إجماع الأمة، وبعضهم يقول أن استمداده من قواطع النقول، وسواطع العقول، قواطع النقول: أي الأدلة القطعية النقلية من القرآن كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ – ١٨]، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ومن السنة المتواترة أو الإجماع.

وسواطع العقول: أي الأدلة العقلية، فهل يتصور وجود شيء بدون صانع؟ لا، فلو خرج إنسان إلى الصحراء ورأى فيها قبةً مضروبة فهل يُتَصور في العقل أن هذه القبة ضربت نفسها بنفسها؟ لا، إذ لا شك أن ناصباً نصبها، وهذه السموات والأرضين السبع وما بينهما لا بد لها من خالق وصانع يخلقها فلا يتصور أنها خلقت نفسها بنفسها كما قال تعالى: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، ويروى أن أعرابياً أسلم وذهب إلى قومه، فسألوه ما دليلك على وجود إلهك هذا الذي يدعوك إليه محمد؟ فقال يا قوم: الأثرُ يدلُّ على المسير والبعر يدل علَى البعير، والروث يدل على الحمير، وهذه سماواتٌ ذاتُ أبراج، وأرض ذاتُ فجاج[1]، وبحار ذات أمواج،

---

(١) أي: طرق وشعاب.

أفلا تدل على صانعٍ خبير؟ والإمام الشافعي لما سئل عن وجود الله تعالى قال: انظر إلىٰ ورق التوت تأكلها البهيمة فتصير بعرة، وتأكلها النحلة فيخرج منها العسل، وتأكلها الدودة فيخرج منها القَزُّ، مع أن المادةَ واحدةٌ، ولو كان ذلك من فعل الطبيعة لكانت النتيجة واحدة، فهذا دليل علىٰ وجود الله تعالىٰ.

قوله: (حكم الشارع في تعلمه: وجوب معرفة ما يجب وما يجوز[1] الخ)

لتعلُّمِ كل علم من العلوم حكم من واجب أو مندوب أو فرض عين أو فرض كفاية، وحكم هذا العلم: أن القدر الذي يخرج الإنسان من حيِّز التقليد هذا فرض عين، حتى لا يكون مقلِّداً، لأن التقليد لا يجوز في العقائد، وإنما يجوز التقليد في الفروع أي في الأحكام الفرعية.

ومعنى التقليد: أي الأخذ بقول الغير من غير معرفة الدليل، فعلمُ التوحيد والعقائد لا يجوز التقليد فيهما، وسيأتي الكلام على هذا، فإذا لم يعرفِ الإنسانُ هذا القدرَ الذي يخرجه من حيِّز التقليد.. فهو آثم.

وأما القدر الزائد على ذلك بأن يتبحَّر في علم التوحيد حتى يتأهَلَ للرد على الخصوم الذين يثيرون الشبه على الإسلام من الكفار ومن المبتدعة بحيث يستطيع الرد عليهم ويناظرهم، هذا القدر.. فرض كفاية لا فرض عين، ويجب أن يكون هناك من يتأهل لذلك في كل مسافة قصر، وقيل: في كل مسافة عدوى كالمفتي حتى لا تثار الشبه على الإسلام، كما في قصة ذلك الرجل الذي جاء إلى بغداد في أيام الإمام أبي

---

(1) ونظم بعضهم حكمه بقوله:

فـفـرضُ عـينٍ مـا مِـنَ التوحيـدِ ... يُخْـرِجُ ذا العقـلِ مـن التقليـدِ

ومـا بـه الـرَّدُّ عـلى أهـل الشُّبَهْ ... فـرضُ كفايـةٍ، وتلـكَ المرتبَـةْ...

.. بهـا يُخاطَـبُ الـذكيُّ لا الغبـيّْ ... ونقَـلَ مَنْـعَ النظـرِ ابـنُ العـربيْ

عـن مالـكٍ والشـافعيِّ وأبي ... حنيفـةٍ، وأحمـدٍ عنـه أبي

حنيفة، ولعلّهُ مجوسيٌ أو نصراني ودخل المسجد وجعل يسأل العلماء وأفحمهم لأن أغلبهم عوام أو علماء غير متصفين بالعلم أو غير متأهلين.

فبلغ الخبرُ إلى أبي حنيفةَ فخرج ووجد هذا الرجل فوق المنبر يسأل الناس، فوقف أمامه وقال له: أنت السائل أم المسئول؟ قال: أنا السائل، فقال له الإمام أبو حنيفة: السائل يكون في الأسفل والمسئول في أعلى فنزل الرجل وصعد أبو حنيفة، وقال له: اسأل؟ فقال: أنتم تقولون أن الله تعالى موجود، ومعنى موجود أي لا بد أن يكون في مكان؟ أمّا أنه موجود لا يحدُّه مكان ولا زمان.فهذا لا يدخل في العقل!! وهو يريد فدعا الإمام أبو حنيفة بقدح من لبن وقال له: من أين يتخذ السَّمْنُ؟ قال من هذا اللبن؟ قال: من أين من هنا أو من هنا؟ قال: من كله، فقال أبو حنيفة: وهكذا ربُّنا لا يحدُّه زمانٌ ولا مكان، ثم قال الرجل: أنتم تقولون اللهُ قديم ليس قبلَهُ شيءٌ، وهذا لا يُتَصَوَّرُ فأنت قبلَك أبوك وقبلَهُ جدُّك وهكذا، أمَّا أن يوجد شيء ليس قبله شيء فهذا لا يدخل في العقل، فقال له أبو حنيفة: كم أصابع يديك؟ قال: عشرة قال: ما أوَّلُها؟ قال: واحد، قال: ما قبل الواحد؟ قال: لا شيء، قال: فاللهُ تعالى كذلك؛

ثم قال الرجل: أنتم تقولون أن الله كُلَّ يوم هو في شأن، ففي أي عمل أو وظيفةٍ هو الآن؟ فقال الإمام أبو حنيفة: شؤونٌ يُبديها لا يَبتديها، يرفع أقواماً ويضعُ آخرين كما رفعني من تحت المنبر إلى فوقه ووضعك من فوقه إلى تحته، فانبهر الرجل وولّى خائباً.

وهذه المسألةُ الأخيرة سُئل عنها الإمام ابنُ الشجري لما كان في درس له أي عن معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ولم يكن عند ابن الشجري علم بالجواب في ذلك الوقت أي: لم يحضره الجواب، فقال له: أُجيبُك في الغد، فأمسى وهو يفكر ثم نام فرأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فسأله عن ذلك فقال: شؤونٌ

يبديها لا يبتديها يرفع أقواماً ويضع آخرين، وأخبره أن هذا السائل هو الخضر، فلما أصبح وجاء السائل، أجابه بذلك، فقال له السائل: صلِّ على مَنْ علَّمك.

ويحكى أن قوماً من الدهريين وهم من ينسبون الأشياء إلى الطبيعة جاؤوا إلى المنصور العباسي يسألون عن مسائل، فأرسل المنصور العباسي إلى أبي حنيفة أن يأتي سريعاً، فسأل أبو حنيفةَ الرسولَ عن الدهريين فتباطأ أبو حنيفة في المجيء عامداً، فلما وصل، قال له: المنصور لماذا تأخرتَ وقد أمرتُ أن تسرع بالمجيء؟ فقال: لما جاء رسولك جئت إلى النهر، -وكان بيته من وراء النهر- فلم أجِدْ مركبا فصبرتُ حتى تجمعت الألواح، ورَكَّبت بعضها إلى بعض بنفسها، ثم جاءت المسامير فسمَّرت نفسَها، ثم صعدتُ المركب ومشى من غير تجديف!! وجوابه هذا بحضرة الدهريين، فاعترضوا وصاحوا قائلين: هذا لا يُتصوَّر فقال: يا جهلاء يا أغبياء، إذا لم يُتَصَوَّر هذا بفعل فاعل!! فهذه السماوات والأرض والنجوم هل يُتصور وجودُها بغير صانع؟ أم أنه لا بد لها من خالقٍ وصانع حكيم، فأسكتهم وأفحمهم.

قوله: (بأن يعتقد اعتقاداً تاماً مطابقاً للواقع) أي: لا بد أن يكون اعتقادُه تاماً جازماً لا يخالطه شك ولا ريب ولا غير ذلك، ولا بد أن يكون اعتقاده مطابقاً للواقع، ويسمى هذا معرفةً، لأن المعرفةَ: هي الأعتقاد الجازم الموافق أو المطابق لما في نفس الأمر عن دليل بما يجب، وما يجوز، وما يستحيل في حق الله تعالى؛

فقولنا: الجازم.. خرج به الظن والوهم والشك؛

وقَولنا: الموافق لما في نفس الأمر أي المطابق للواقع، ويخرج بذلك اعتقاد الفلاسفة بقدم العالم، لأن هذا غيرُ مطابق للواقع، واعتقاد النصارى بألوهية عيسى، فهو غيرُ مطابقٍ للواقع فلا يسمى ذلك معرفة بل يُسمى جهلاً.



الواجب على أهل كل ناحية: بالفرض الكفائي: أن يكون منهم من يعرف الردودعلى الكفار والمبتدعة ودفع شبههم بأن يتبحر في هذا الفن ويحيط به.

وجوب الدليل على معرفة الله: يجب على المكلف أن يعرف دليلاً على معرفة الله ولو إجمالياً وإلا فهو مقلد في إيمانه.

قوله: (الواجب على أهل كل ناحية بالفرض الكفائي أن يكون منهم من يعرف الردود الخ)

أي: كما قلنا لكم أنه يجب على كل ناحية، قيل: في كل مسافة قصر، وقيل: في كل مسافة عدوى أن يكون فيهم من يتبحر في هذا العلم ليعرف كيف يرد على المبتدعة كالروافض، وغيرهم من الكفار كالنصارى ونحوهم ممن يثير الشبه حول الإسلام، وهذا ليس فرض عين، وإنما فرض كفايةٍ إذا قام به البعضُ.. سقط الحرج عن الباقين، أما فرض العين فهو القدر الذي يخرجه عن حيز التقليد فقط كما تقدم لكن أكثر ساداتنا آل أبي علوي رضي الله عنهم لا يحبُّون التَّبحُّر في هذا العلم أي: علم التوحيد، ولا يتوغلون فيه، ويكتفون بعقيدة الإمام الغزالي التي ذكرها في الإحياء، ويقررونها لأولادهم وبناتهم فلا يقرؤون في السنوسية وأمِّ البراهين ونحوهما. ولما سأل الحبيبَ عيدروس بن عمر الحبشي: رضي الله عنه واحدٌ من آل الحبشي لماذا السادة آل أبي علوي لا يحبون أن يتبحَّروا في هذا العلم؟ فقال: لأن مذهبهم قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] أي: ليس عندهم شك فهذا مذهبهم في علم التوحيد، ثم ضرب الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي له مثلاً، وقال: أَيْشْ قياسك! لو ألَّف أحدُهم كتاباً في ترجمة جدك العيدروس وقال: فصلٌ في الدليل على أنه ليس بأعمى، أو على أنه ليس ببخيل، أو على أنه ليس بحجام!! فهل هذا مدح أو ذم؟ لأن الأمر واضح؛

كما قالت تلك المرأة عندما دخل الإمامُ الزمخشري إلى بعض البلدان، وكان قد ألف كتاباً من تبحُّره في علم التوحيد، جمع فيه ألف دليلٍ ودليل استدلَّ بها على وجود الله، فعظَّموهُ واحتفلوا به وتنحَّوا عن طريقه، وكانت امرأةٌ عجوز تمشي فقالوا لها: تنحَّي تنحي، فقالت: لماذا؟ قالوا: هذا الإمام الزمخشري سيمرّ في هذا الطريق وقد ألف كتاباً فيه ألفُ دليل ودليل على وجود الله... فضحكت تلك العجوز، وقالت:

ولــــيسَ يَصِـــحُّ في الأفهـــامِ شيءٌ　　　إذا احتـــاجَ النهـــارُ إلى دليــــلِ

فحملوا قولتها إليه، فاعترف وقال: اللّهم إيماناً كإيمان العجائز؛

وبعضهم سأل آخر: ما الدليل على وجود الله تعالى؟ فقال له: إذا أنت عرفتَ اللهَ تعالى فلا تحتاج إلى دليل لكنك لم تعرفِ الله[1].

قوله: (وجوب الدليل على معرفة الله: يجب على المكلف أن يعرف دليلاً على معرفة الله ولو إجمالياً الخ).

أي: أن أوّلُ واجب على الإنسان المكلف معرفةُ الله، وليس معناه معرفة ذاته وحقيقته.. إذ لا يعرف اللهَ إلا الله، وإنما معرفة ما يجب له من الصفات، وما يستحيل، وما يجوز إلى آخر ذلك، فهذا المراد به وجرى عليه صاحب الزبد حيث قال:

أول واجـــب عـــلى الإنســـانِ　　　معرفـــــة الإله باســـــتيقانِ[2]

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك والتفكر في ذات الله.. إشراكٌ، ثم اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال: فمنهم من يقول أن أول واجب معرفة الله.

---

(١) يحكى أنه لما ألف ابن القيم مائة حمل بعير في علم التوحيد وزفَّها السلطان ومشى معها العلماء.. سألته امرأة عن ذلك وهي لا تعرفه؟ فقالت: أفي الله شك؟ فقال لا ولكن ربما طرأت شبهة فتُدفع بهذه الكتب.. فقالت كل من جادل في الله.. خرقتُ عينه بأصبعي. اهـ (فتح العلام).

(٢) قال الشيخ الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وفي الحديث: «تفكروا في مخلوقات الله ولا تتفكروا في ذات الله فإنكم لن تقدروه قدْرَه». وبعضهم يقول: أول واجب هو النظر في الأدلة الدالة على معرفة الله، لأن النظر في الأدلة موصلٌ إلى معرفة الله، وبعضهم يقول: أول واجب هو القصد إلى النظر في الأدلة فهو نظرٌ لأن للوسائل حكمَ المقاصد، وكلُّها في الحقيقة مرجعها إلى شيءٍ واحدٍ وهو معرفة الله لأن الأول نظرَ إلى المقصود[1]، والثاني نظرَ إلى الوسيلة[2]، والثالث نظرَ إلى وسيلة الوسيلة[3]، فكلها ترجع كما قلنا إلى شيء واحد وهو معرفة الله تعالى قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] لكن بالنسبة إلى فرض العين.. يكفي معرفة الدليل الإجمالي وإلا فهو مقلد في إيمانه، وحكم إيمان المقلِّد فيه أربعةُ أقوال كما سيأتي، فإذا قيل لشخص: ما الدليل على وجود الله؟ فقال: هذه الكائنات.. فيُكتفىٰ منه بذلك ولا يكون مقلداً بخلاف ما إذا كان لا يعرف حتى الدليل الإجمالي فهو مقلد وهذا هو الذي جرىٰ خلاف في إيمانه ، أما بالنسبة إلى فرض الكفاية.. فلا بد من أن يعرف الدليل بالتفصيل كما مر، قال ابن المعتز[4]:

فَيَا عَجَباً كيفَ يُعصَى الإلـ ـهُ أَمْ كيفَ يجحدُهُ الجاحدُ
ولله في كل تحريكةٍ وتسكينةٍ أثرٌ شاهِدُ
وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدُلُّ على أنه الواحِدُ

(١) أي: الذي هو معرفة الله وجرى عليه صاحب الزبد.
(٢) أي: الذي هو النظر في الأدلة الدالة على معرفة الله.
(٣) أي: الذي هو القصد إلى النظر في الأدلة.
(٤) وقيل أن هذه الأبيات لأبي العتاهية.

الدليل الإجمالي: هو الذي يعجز صاحبه عن تفصيله ودفع شبهه والاعتراضات الواردة عليه، مثاله: أن يستدل على وجود الله بهذا الكون فقط، ولا يعرف طريق الاستدلال، هل هي بحدوثه أم بإمكان حدوثه، أم بهما معاً؟.

وأما الدليل التفصيلي فهو ضده تماماً.

قوله: (الدليل الإجمالي: هو الذي يعجز صاحبه عن تفصيله ودفع شبهه الخ)

هذا الدليل الإجمالي أي: الذي يعجز صاحبه عن تفصيله ودفع شبهه، ومثاله كما قصه الأعرابي الذي قال: البعرة تدل على البعير كما مر، فهذا لا يعرف طريقة الاستدلال بالتفصيل، لأنه لو لم يوجد الصانع لهذا العالم لكان هذا العالم غير موجود، فوجود هذا العالم يدل على وجود صانع وهو الباري والخالق سبحانه لأن الأصل العدم، أي: الأصل في الأشياء العدم، والوجود حادث، فالعدم والوجود ككفتي الميزان لا يمكن أن تترجح إحداهما على الأخرى إلا بمرجِّح.. والعالم وعدمه أيضاً ككفتي الميزان فلا يمكن ترجيح وجوده على عدمه إلا بمرجح وهو وجود الصانع وإلا لبقي العالم في حيِّز العدم.. بل الأصل العدم، فالذي رجح وجود العالم على عدمه الذي هو خلاف الأصل.. هو وجود من يوجده وهو الله سبحانه وتعالى، فمن نظر إلى السماوات وما فيها من بدائع المكوَّنات وإلى الأرض وما فيها من عجائب المخلوقات وإلى ما بينهما ولم يعتقد وجود الصانع.. فهو مصاب في عقله قد حَلّ به الخذلان وأحاط به الخسران.

وأما الدليل التفصيلي فهو ضده أي عكس ما تقدم تماماً.

المراد بالمقلد في إيمانه: الإنسان الجازم الذي لو رجع من قلده عن اعتقاده لم يرجع هو، أما من ليس كذلك، فلا يعتد بإيمانه قطعاً.

اختلف العلماء في المقلد في إيمانه، فقال بعض المحققين: أنه ليس بمؤمن، أي أنه كافر، وقيل: مؤمن عاصٍ إن قدر على التعلم وإلا فلا، وقيل مؤمن عاصٍ مطلقاً، وقيل: مؤمن غير عاصٍ مطلقاً.

قوله: (المراد بالمقلد في إيمانه: الإنسان الجازم الذي لو رجع من قلده عن اعتقاده الخ).

التقليد هو الأخذ بقول الغير من غير معرفة الدليل، ويجوز في المسائل الفرعية التي سبيلها الاجتهاد، أما المسائل الاعتقادية فلا يجوز فيها التقليد كما تقدم، وإيمان المقلد اختلفوا فيه على أقوال كما سيأتي، والقول بإيمان المقلد يعني أنه مؤمن لكن لا بد أن يكون إيمانه صحيح وقوي بحيث لو رجع مقلّده.. لم يرجعْ هو، فلا بد أن يكون عنده اعتقاد جازم فلا يكفي مجرد التردد فقط، أما إذا كان لم يحصل له ذلك الجزم فلا يقبل إيمانه لأنه ليس مقلداً وإنما جاهلٌ.

ويحكى أن الحبيب أحمد بن عبدالله السقاف وهو أستاذ كبير كان في إندونيسيا وله معاهد، فجاء إليه شخص وكان نصرانياً وأسلم، وأراد أن يتعلم العربية لقلة معرفته بها فكان الحبيب أحمد عندما يعلم العربية كان يذكر شيئا من الترهيبات أي المخوفات أي يتخللها في كلامه، فعرف هذا الشخص مراد الحبيب وقال: يا حبيب أنا ما جئت إليك لتخوفني وإنما لأتعلم العربية، أتظن أني سأرجع عن إيماني وإسلامي؟ والله لو كفر العالم كله لن أرجع؛ معناه أنه دخل الإسلام على بصيرة، ما هُوْ مُجرّد تقليد.

قوله: (حكم المقلد في إيمانه اختلف العلماء في المقلد في إيمانه الخ).

كما قال المصنف: حصل اختلاف بين العلماء في إيمان المقلّد على أقوال[1] قيل: أن إيمان المقلد غير صحيح فيكون حكمه حكم الكافر بناءً على أن النظر في الأدلة يسلك به مسلك الأصول، وهذا القول لبعض المعتزلة، وقيل أنه مؤمن عاصٍ مطلقاً وهذا بناء على أن النظر في الأدلة يُسلك به مسلك الفروع

وقيل أنه مؤمن غير عاص مطلقاً أي: أن إيمانه صحيح من غير إثم وهذا بناء على أن النظر في الأدلة يسلك به مسلك الندب.

والمعتمد فيه تفصيل: إن كان فيه أهلية للنظر في الأدلّة أي: عنده ذكاء وقريحة لكنه ترك النظر في الأدلة.. فهذا يصح إيمانه مع الإثم فهو مؤمن عاصٍ.

وإن كان ليس فيه أهلية للنظر في الأدلة.. فهذا يصح إيمانه بغير إثم.. كما عوام الناس، فهو مؤمن غير عاصٍ، ودليل هذا القول قوي لأنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل إيمان الأعراب والعوام ولم يطالبهم بدليل[2] ففيه أربعة أقوال[3].

---

(١) (تنبيه): اعلم أن الخلاف إنما هو في المقلّد الجازم وأما الشاك والظان فمتفق على عدم صحة إيمانهما، والخلاف في إيمان المقلد إنما هو بالنظر لأحكام الآخرة وفيما عند الله، وأما بالنظر لأحكام الدنيا فيكفي فيها الإقرار فقط، فمن أقرَّ جرتْ عليه الأحكام الإسلامية ولم يحكم عليه بالكفر إلا إن اقترن بشيءٍ يقتضي الكفر كالسجود لصنم. اهـ(الباجوري على الجوهرة).

(٢) (فائدة): قال سيدي نفع الله به قلتُ: وقد سئل الإمام عبدالله بن علوي الحداد عن إيمان المقلد؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: اعلم أن إيمان المقلد فيما نراه ونقوله إيمان صحيح لا يمتري في صحته محصِّلٌ له علمٌ ومعرفة بأوّل هذا الدين وابتداء ظهوره، وما كان صلى الله عليه وسلم يقبله من أجلاف العرب وسكان البوادي منهم، وهذا أمرٌ واضحٌ جلي اهـ. (بهجة الطالبين)

(٣) وحاصل الخلاف فيه أقوالٌ ستة: الأول: عدم الاكتفاء بالتقليد.. بمعنى عدم صحة التقليد، فيكون المقلّد كافراً وعليه السنوسي في الكبرى. الثاني: الاكتفاء بالتقليد مع العصيان مطلقاً، أي سواء كان فيه أهلية للنظر أم لا. الثالث: الاكتفاء به مع العصيان إن كان فيه أهلية للنظر وإلا فلا عصيان (وهذا هو المعتمد). الرابع: أن من قلّد القرآن والسنة القطعية صَحَّ إيمانه لاتباعه القطعي، ومن قلّد غير ذلك لم يصح إيمانه لعدم أمن الخطأ من غير معصوم. الخامس: الاكتفاء به من غير عصيانٍ مطلقاً لأن النظر شرط كمال فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر فقد ترك الأَوْلى. السادس: أن إيمان المقلّد صحيح ويحرُم عليه النظر وهو محمولٌ على المخلوط بالفلسفة. اهـ (الباجوري على جوهرة)

قوله: (مسائل فن التوحيد: هي قضاياه الباحثة فيه من حيث الواجب والجائز والمستحيل).

سيأتي الكلام في هذا من حيث الواجب في حق الله تعالى والجائز كذلك والمستحيل، والحكم معناه: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، مثاله قولك: الله قديم، فأنت أثبتَّ القدم لله تعالى، وقولك: الله ليس بحادث فأنت نفيت الحدوث عنه تعالى، أو العالم حادث.. أثبتَّ الحدوث للعالم، أو العالم ليس بقديم نفيت القدم عن العالم.

والحكم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الحكم الشرعي، والحكم العقلي، والحكم العادي، وأهل التوحيد كلامهم كله في الحكم العقلي ويسمى الحكم المطلق.

أما الحكم الشرعي: فهو ما يتوقف على حكم الشارع، وهو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين، وله أقسام، وهي الأحكام الشرعية كما ذكرها صاحب الزبد من واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام.

وأما الحكم العادي: هو ما كان بواسطة العادة والتكرار، مثل: النار محرقة، والسكين قاطع، والطعام مشبع، والثلج بارد فنحن عرفنا هذه الأشياء بالعادة والتكرار.

ويجوز أن يتخلف الحكم العادي من غير تأثير.. إما معجزة لنبي أو كرامة لولي أو معونة لمؤمن أو استدراجاً لكافر، فالنار تحرق بواسطة التكرار والعادة وليس هذا حكماً واجباً فيجوز أن تتخلف كما في قصة سيدنا إبراهيم فإن النار لم تحرقه لأن الله تعالى سلب منها الإحراق، وكذلك السكين يقطع بواسطة التكرار والعادة، ويجوز أن يتخلف ولهذا نبيُّ الله إبراهيم لم يقطع سكينه لما أمَرَّه على حلق ولده إسماعيل لأن الله تعالى سلب منه القطع.

والحكم العقلي: هو قضية من الأمر لا بواسطة العادة ولا التكرار ولا يجوز أن يتخلف، والواجب العقلي: هو الذي لا يتصور في العقل عدمُه، والمستحيل: هو الذي لا يتصور في العقل وجوده، والجائز: هو ما يتصور وجوده تارة وعدمه تارةً أخرى، فالحكم العقلي لا يجوز أن يتخلف، كما الشيء، أيُّ شيءٍ كان فهو إما متحرك أو ساكن فهل يتصور أن هناك شيء لا هو متحرك ولا ساكن؟ لا، وكما العالم حادث، فلا يتخلف ذلك ولا يتصور أنه قديم، وكذلك الله قديمٌ لا يُتصور غير ذلك.

الدرس الثاني

في تفسير ألفاظ كثيراً ما تكرر في هذا الفن

العالَم: -بفتح اللام- هو ما سوى الله، من أرض وسماء ونجوم وغير ذلك من بقية المخلوقات.

والجوهر: هو كل ما يقوم بنفسه ويسمى الجِرْم والجسْم، كالجبال والحيوان والشجر.

قوله: (العالَم: -بفتح اللام- هو ما سوى الله، من أرض وسماء ونجوم وغير ذلك الخ).

العالَم بفتح اللام: هو كل ما سوى الله تعالى وصفاته، فيشمل جميعَ ما خلقه الله تعالى سواء كان من بني آدم أو جنٍّ أو شياطين أو نارٍ أو حيوان أو نباتات أو جمادات فيشمل هذا كلَّه، والعالم هذا حادث بمعنى أنه وُجِد بعد أن لم يكن أي: كان غير موجود ثم وجد وهذا معنى العالم حادثٌ، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] أي: ثم كان؛

والعالم كله مركب من شيئين كما سيأتي.. جوهر وعرَضٌ[1] وأما العالمين فإنه مخصوص بالعقلاء من إنسٍ وجنٍّ وملائكة، فالعالم أعم من العالمين لأنه يشمل العقلاء وغير العقلاء.

قوله: (الجوهر: هو كل ما يقوم بنفسه الخ).

الجوهر يسمى ذاتاً أيضاً ويسمى جسماً ويسمى جرماً وهو الذي يقوم بنفسه كالإنسان والحيوان والجبل ونحو ذلك، فكل ما يقوم بنفسه يسمى جوهراً أي جرماً.

---

(١) العَرَض: ما قابل الجوهر، العَرْض: ما قابل النقدين، والعُرْض: ما قابل الطول، والعِرْض: محل المدح والذم في الإنسان.

العَرَض: -بفتح الراء- ضد الجوهر، وهو ما لا يقوم بنفسه، كالحركة والسكون والسواد والبياض.

قوله: (العرَض: -بفتح الراء- ضد الجوهر الخ).

أي : وأما العَرَض فهو معنى من المعاني فهذا لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره، وهو يدل على حدوث التغيُّر كاللون الأحمر أو الأخضر مثلاً.. فلا يقوم بنفسه بمعنى أنه لا بد أن يكون هناك شيء غيره يوصف بأنه أحمرُ أو أخضرُ فلا يقوم هو بنفسه وإنما يقوم بغيره، وهو صفة، كالعلم مثلاً فإنه لا يقوم بنفسه بل لا بد أن يكون شخصٌ عالماً.

والحركة والسكون عرَضٌ، فهل يُتصوَّرُ قيامُ الحركةِ بنفسها أو السكونِ بنفسه؟ لا، وإنما يكون الشيء متحركاً أو ساكناً، فالذي يقوم بنفسه يسمى جوهراً أي جرماً والذي لا يقوم إلَّا بغيره يسمى عرَضاً فالعالم مركب من هذين الشيئين.

ولما قلنا العالم حادث.. ما الدليل على حدوثه؟ الجواب: لأنه مركب من جوهر ومن عرَضٍ والعَرَضُ متغيِّرٌ بالمشاهدة، فالشيء إذا كان ساكناً وتحرك فالحركة حادثة، والشيء إذا كان متحركاً ثم سكن فالسكون حادث، والصغير إذا كَبُرَ وعكسُه، فهذه كلُّها أشياءٌ حادثةٌ، فالأعراض متحركة بالمشاهَدة، وأما الأجرام كالجبال وغير ذلك لم نَرَها متحركة إلَّا حينما قامت الأعراضُ بها من حيثُ لونِها وقبولِ حركتِها بآلات التكسير فهي تقبل الحركة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وبما أن الأعراض ملازمةٌ للأجرام فهي حادثة لأن ما لازم الحادث.. فهو حادث، فينتج عن ذلك أن العالم حادث، ولا هناك شيءٌ قديمٌ إلا اللهُ تعالى وصفاتُه، بالإضافة إلى أن الأصل في الأشياء كلِّها العدمُ، فلا بد لترجيح وجودِ العالَم على عدمه من مرجح، وإلَّا لكان العالم في حيِّز

العدم والذي رجَّح وجودَهُ على عدمه.. هو وجود الخالق جلَّ وعلا، فالعالم إذاً حادث قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، والفلاسفةُ كفروا بثلاثة أشياء بقولهم: أن العالم قديم، وبقولهم: أن الأجساد لا تُحشَر بعد الموت، وبقولهم: أن الله جل وعلا لا يعلم بالجزئيات، ونظم بعضهم ذلك بقوله:

بثلاثةٍ كفرَ الفلاسفةُ العِدَى	إذْ أنكروها وهي حقٌّ مُثْبَتَةْ
علمٌ بجزئيٍّ، حدوث عوالمٍ	حشرٌ لأجسادٍ وكانَتْ مَيِّتَةْ

الحال: هو صفة بين الموجود والمعدوم، بمعنى أنها لم ترتقِ إلى درجة الموجود، فتشاهد ولم تنحط إلى درجة المعدوم فتنعدم، وإنما هي واسطة بينهما، كالوجود هذا، وبعض العلماء ينكره ويقول: لا واسطة بين الموجود والمعدوم، والحال محال.

الحادث: هو الموجود بعد عدم وذلك كل ما سوى الله عز وجل وصفاته.

قوله: (الحال: هو صفة بين الموجود الخ).

حصل خلاف هل هناك واسطة بين الموجود والمعدوم؟ فمن قال أن الشيء إما موجود أو معدومٌ ولا توجد صفةٌ ثالثةٌ أي: نفى الحال، وقال: الحالُ مُحال.. لم يذكر الصفاتِ المعنوية.. وهذا هو الذي يترتب على الخلاف أي: كونُهُ تعالى قادراً وكونُهُ عالماً وكونه كذا وكونه كذا، واستغنى عنها بصفات المعاني، ومن قال بوجود واسطة بينهما أي أثبت الحال.. ذكر الصفات المعنوية، ولم يستغن عنها بصفات المعاني، وهذا الخلاف بين أهل السنة أنفسهم أما المعتزلة فقد نفوا صفات المعاني نفسها كما سيأتي لاحقاً بإذن الله، فالحال صفةٌ وسط بين الموجود والمعدوم، بمعنى أنها لم ترتقِ إلى درجة الموجود فتشاهَد ولم تنزل إلى درجة المعدوم فتنعدم، والتحقيق أنَّهُ لا واسطة بينهما.

قوله: (الحادث: هو الموجود بعد عدم الخ).

كلُّ شيءٍ وُجد بعد عدمٍ.. حادثٌ، وهو كل ما سوى الله تعالى وصفاتِه، لأن الله تعالى قديمٌ، والقِدَمُ: هو سلبُ العدمِ السابق للوجود، والبقاءُ: هو سلبُ العدمِ اللّاحق للوجود، فلا شيءَ قديمٌ إلا ذاتُ اللهِ تعالى وصفاتُه فقط، وكلُّ ما سواهُ تعالى حادثٌ، أي: أوجده الله تعالى من العدم بقدرته وإرادته إلى الوجود، قال تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] أي: ثُمَّ كان، وليس الإنسانَ فقط بل العالمَ كلَّه.

القديم: هو ما لا أول له، وبعبارة أخرى، ما ليس لوجوده افتتاح.

والأزلي: فسره بعضهم بمعنى القديم تماماً، وفرق بينهما بعضهم فجعل القديم بمعنى الموجود الذي لا أول له، فلا تدخل فيه الأحوال ولا المعدومات، وجعل الأزلي بمعنى الشيء لا الذي لا أول له سواء أكان موجوداً أم لا؛ فتدخل فيه الأحوال والمعدومات، فهو أعم من القديم على هذا القول وهما مشتقان من القدم والأزل.

قوله: (القديم والأزلي والخلاف في الفرق بينهما الخ)

مما يتكرر ذكره في علم التوحيد وصفه تعالى بالقديم والأزلي، فبعضهم يقول: القديم، والبعض يقول: الأزلي، فهل هناك فرق بين القديم والأزلي؟ كما يقال: السابق في علمه القديم أو السابق في علمه الأزلي؟ بعضهم يقول لا فرق بينهما وأنَّ القديمَ والأزليَّ شيءٌ واحد، بمعنى أنهما مترادفان، وبعضهم ذكر فرقاً بينهما وهو فرقٌ دقيق، فجعل القديمَ بمعنى الموجود الذي لا أول له، فلا يطلق على المعدوم ولا على الحال، والحال كما تقدم صفةٌ وسط بين الموجود والمعدوم.

وجعل الأزليَّ بمعنى الذي لا أول له سواء أكانَ موجوداً أم لا، فيكون أعمّ من القديم باعتبار هذا الفرق، وتدخل فيه الأحوال والمعدومات فكلاهما متقاربان في الحقيقة، والقديمُ مشتقٌّ من القِدَم، والأزليُّ مشتقٌّ من الأَزل.

والأَزَلُ: هو العلمُ القديم الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يزيد ولا ينقُصُ، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، وبعضهم جمع بينهما في تعريف القدرة حيث قال: هي صفةٌ قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى وهكذا بقية الصفات، والقديم كما قال المصنف: ما لا أول له، أي لا أبتداء لأوليَّتِه، وإن شئت قلت: هو الذي ليس قبله شيء، وإن شئت قلت: ما ليس لوجوده افتتاح، فهذا معنى القديم، وكلُّها معانٍ متقاربة، والقِدَم: هو سلب العدم السابق للوجود.

النقيضان: هما الشيئان اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم والحياة والموت، والقدم والحدوث، وغير ذلك.

والضدان: هما الشيئان اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض، وكثيراً ما يريدون بالضد مطلق المنافي.

قوله: (النقيضان: هما الشيئان اللذان لا يجتمعان الخ).

عندهم نقيضان وضدان فيقال: نقيضه وضده، وهل هناك فرق بينهما؟ نعم هناك فرق، فالنقيضان كما قال المصنف: هما الشيئان اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان فيكونان أشدَّ من الضدين لأنهما لا يجتمعان، كالوجود والعدم، فالشيءُ إما موجودٌ أو معدوم، وكالحركة والسكون، إما متحركٌ أو ساكنٌ، وكالحياة والموت، إما حياةٌ أو موت، وهل يرتفعان؟ لا، أي ليس هناك قسم ثالث حتى يرتفعان به، فهذا معنى النقيضين.

قوله: (والضدان: هما الشيئان اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان الخ).

أي: أما الضدان فيوافقان النقيضين في أنهما لا يجتمعان.. لكنهما يرتفعان كالسواد والبياض، فهما ضدان لا يمكنُ اجتماعُهما لكنهما يرتفعان بشيءٍ ثالثٍ، لأن خلطَهُما يؤدي إلى صفةٍ أُخرى ترفعهما، إما أحمر أو أخضر والقيام والقعود ضدان قد يرتفعان بالركوع أو الاضطجاع فالمقصود إذا كانا يرتفعان.. فهما ضدان، وإلا فهما نقيضان، أما الاجتماع فكل من النقيضين والضدين لا يجتمعان، وكثيراً ما يريدون بالضد مطلق المنافي فيشمل حتى النقيض فيطلقون أحدهما على الآخر.

وإذا كان رجل قال لزوجته وفي فمها حبة رمانة: إنِ ابتلعتِها فأنت طالق، وإن لفظتيها فأنت طالق، فكيف تتخلص من هذه المسألة؟ قالوا: تأكل نصفها أو بعضها وتلفظ الباقي وحينئذٍ لا تطلق.

النظري: ما احتاج إلى فكر ونظر، كالواحد نصفُ سدسِ عُشرِ المائة والعشرين.

والضروري: هو عكسه وهو ما لا يحتاج إلى فكر ونظر، كالواحد نصف الاثنين، ويسمى البديهي لأنه يعرف بديهة.

قوله: (النظري: ما احتاج إلى فكر ونظر الخ).

هذا في علم المخلوق أما علمه تعالى فلا يوصف بأنه نظري أو ضروري فما الفرق بين العلم النظر والعلم الضروري كما هنا؟

العلم النظري.. هو ما يحتاج إلى فكر وإلى تأمل وإلى نظر وإلى بحث فهذا يسمى نظري، والنظر: هو إعمال الفكر في شيء حتى ينتهي إلى نتيجة المقصود فلا يفهمه الإنسان بمجرد إدراكه بالحواس أي بالسمع أو بالشم أو باللمس، لا بل لا بد من تأملٍ فيه وبحث ونظر كما إذا سألك واحد: كم نصف سدس عشر المائة والعشرين؟ فهل ستفهم ذلك بمجرد بديهة العقل؟ لا، أو إذا قال: كم نصف سدس الاثنا عشر؟

فالجواب بعد التأمل في السؤالين هو واحد، لكن إذا كان واحد بليد سئل عن ذلك فلن يفهم وكما يذكرون.. إذا شخص عنده كبش وبرسيم وأسد وأراد أن يعبر بهما نهراً، ولا يستطيع أن يحمل معه إلا شيئاً واحداً في قاربه وهو لا يريد أن يأكل الأسدُ الكبشَ، ولا يريد أن يأكل الكبشُ البرسيم!! فكيف يصنع؟ لأنه إذا حمل الأسد وترك الكبش والبرسيم.. سيأكل الكبش البرسيم، وإذا حمل البرسيم سيأكل الأسد الكبش فهذا يحتاج إلى تفكير ونظر والحل أن يحمل الكبش أولاً ويتركه على جانب النهر الآخر ويترك الأسد والبرسيم لأن الأسد لن يأكل البرسيم، ثم يعود ويحمل الأسد ويتركه على الضِّفَّة ويأخذ الكبش ويعيده إلى مكانه الأول ثم يأخذ البرسيم ويذهب به ويتركه عند الأسد ثم يعود ويأخذ الكبش فهذا يحتاج إلى تأمل لأنه نظري. وفي علم التوحيد قولهم: العالم حادث.. هذا يحتاج إلى فكر ونظر.

قوله: (والضروري: هو عكسه وهو ما لا يحتاج إلى فكر ونظر الخ).

وأما الضروري ويسمى البديهي فلا يحتاج إلى بحث كالواحد نصف الاثنين والجزء أقل من الكل، والكل أكبر من الجزء، والسماء فوق، والأرض تحت، فهذا لا يحتاج إلى نظر، وكذا ما يدرك بالحواس كالنار حارة، والماء بارد فهذا لا يحتاج إلى فكر ونظر بل يفهمه الإنسان ببديهة العقل، ولذلك سمي ضرورياً، كما تقول عن شخص: ضروري أنه يفهم.

الدرس الثالث

في تعريف الحكم المطلق وأقسامه

تنبني مسائل هذا الفن على ثلاثة أشياء وهي الواجب والجائز والمستحيل التي هي أقسامه الحكم العقلي، والحكم العقلي هذا هو أحد أقسام الحكم المطلق.

الحكم المطلق: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه كإثبات القدم لله ونفي الحدوث عنه.

قوله: (تنبني مسائل هذا الفن على ثلاثة أشياء الخ).

الكلام على الحكم المطلق وسيأتي تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: شرعي وعادي وعقلي، والحكم العقلي هو الذي يدور كلام أهل التوحيد فيه وتنبني مسائله على ثلاثة أشياء كما هنا من حيث الواجب في حق الله وحق رسله، والجائز في حق الله وحق رسله، والمستحيل في حق الله وحق رسله، وجملتها خمسون صفة لأنه في حق الله تعالى عشرون واجبة، وعشرون مستحيلة، وواحدة جائزة، وفي حق الرسل أربع صفات واجبة، وأربع مستحيلة، وواحدة جائزة، فالجملة خمسون ولهذا قال صاحب عقيدة العوام:

فاحفظ لخمسين بحكمٍ واجب

وهذه الثلاثة الأشياء الواجبة والجائزة والمستحيلة هي أقسام الحكم العقلي لأنها لا تعرف إلا من طريق العقل، بخلاف الحكم الشرعي فتعرف أحكامه من طريق الشرع والعادي من خلال التكرار والعادة.

قوله: (الحكم المطلق: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه الخ).

أي: أن تعريف الحكم المطلق بقطع النظر عن كونه شرعياً أو عادياً أو عقلياً هو: إثبات أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه، هذا هو معنى الحكم، فقوله: إثبات أمرٍ لأمر.. كإثبات

القدم لله كقولك: الله قديم فهنا أثبتَّ القدم لله تعالى فهذا يسمى حكماً، وكقولك العالم حادث فهنا أثبتَّ الحدوث للعالم.

وقوله: أو نفيه عنه: كنفي الحدوث عنه تعالى كقولك: الله ليس بحادث فأنت نفيت الحدوث عنه تعالى، وكقولك العالم ليس بقديم فهنا نفيت القدم عن العالم.

ينقسم الحكم المطلق إلى ثلاثة أقسام: حكم شرعي، وحكم عادي، وحكم عقلي.

الحكم الشرعي: هو خطاب الله المتعلق بفعل العبد سواء كان من حيث التكليف كتكليفنا بوجوب الصلاة مثلاً، أو من جهة الوضع كوضع الوضوء شرطاً للصلاة.

قوله : (ينقسم الحكم المطلق إلى ثلاثة أقسام)

كما مر أن الحكم المطلق له أقسام ثلاثة: حكم شرعي، وحكم عادي، وحكم عقلي وهذا الأخير هو المراد هنا في علم التوحيد وسيأتي تفصيل ذلك.

قوله: (الحكم الشرعي: هو خطاب الله المتعلق بفعل العبد الخ).

الحكم الشرعي هو: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين الذي لا يُعرف إلا بواسطة الشرع، والمراد به الأحكام الشرعية التي يذكرها الفقهاء، وهذه الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين:

الأول: أحكام شرعية تكليفية وهي الخمسة الأحكام الواجبة والمندوبة والمكروهة والمباحة والمحرمة كما ذكرها صاحب الزبد.

الثاني: أحكام شرعية وضعية وذكر منها صاحب الزبد اثنين هما الصحيح والباطل، ومنها أيضاً السبب والشرط والمانع فهذه من الأحكام الوضعية وكما يذكرون في المواريث أسباب الإرث وشروط الإرث وموانع الإرث، وقولنا: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين.. يخرج بذلك أربعة أشياء: الأول: خطاب الله تعالى المتعلق بذاته فلا يسمى حكماً شرعياً كقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] وقوله :﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [البقرة: ١٦٣] الثاني: خطاب الله تعالى المتعلق بالجمادات وغيرها من المخلوقات كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨] وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت: ١١] فهذا لا يسمى حكماً شرعياً، الثالث: حكم الله المتعلق بذوات المكلفين كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ

وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] الرابع: خطاب غير الله كخطاب السلاطين والملوك والآباء وغير ذلك، فيخرج من خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين هذه الأربعة الأشياء المتقدمة.

الحكم العادي: هو إثباتُ أمرٍ لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرار والعادة مع إمكان التخلف في بعض الأوقات لعارض من معجزة أو كرامة أو غير ذلك، كالنار محرقة والسكين قاطع.

قوله: (الحكم العادي: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرار الخ).

أي : أما الحكم العادي: فهو إثبات أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه بواسطة التكرار والعادة مع عدم تأثير أحدهما البتّة، ومع جواز التخلف لعارض مثل أن النار محرقة، والسكين قاطع، والطعام مشبع، والماء بارد، وخرج بذلك الحكم العقلي فلا يجوز فيه التخلف، والتأثير في هذه الأشياء إنما هو من الله تعالى وإنما ذلك من باب ربط الأسباب بمسبباتها فالنار المحرقة لا تحرق بذاتها ولكنْ يخلق الله تعالى الإحراق فيها عند مباشرتها للمحروق ولهذا لما أن الله تعالى سلب منها الإحراق لم تؤثر في سيدنا إبراهيم عليه السلام، والسكينُ قاطعٌ عرفنا ذلك بواسطة التكرار والعادة، لكنْ مع عدم التأثير لأحدهما، فالسكين لا يقطع بذاته وإنما يخلق الله القطع عند مباشرته للمقطوع، ولهذا لم يؤثر السكينُ عندما أجراه سيدنا إبراهيم على حلق ولده إسماعيل، لأن الله تعالى سلب منه خاصية القطع، والدواء كذلك كالإسبرين ونحوه عندما يحصل الشفاء بتناوله لا يشفي بذاته ولكن الله تعالى يخلقَ الشفاءَ فيه، فمن اعتقد التأثير لغير الله كفر.

قال سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: من قال لولا الكلب لدخل اللِّصُّ.. فقد أشرك بالله، فماذا يقول؟ يقول لولا أن الله تعالى سخَّر الكلب لدخل اللِّصُ فينسب الأمر لصاحب الأمر الأول.

والحكم العادي قد يتخلف لعارض: إما معجزةً لنبي أو كرامةً لولي أو معونةً لمؤمن أو استدراجاً لفاسق.

ومثال تخلف الحكم العادي معجزة لنبي ما حصل لسيدنا إبراهيم عليه السلام مع النار قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] مع أنها نار محرقة، وما حصل مع ولده إسماعيل، قال تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧] مع أن السكين قاطع.

ومثال تخلفه كرامةً لولي.. ما حصل مع سيدنا محيي الدين ابن عربي لما كان يتكلم حول أن النار لا تحرق بطبعها، والتأثير إنما هو لله تعالى، فاعترض عليه أحد الحاضرين وكان بين يديه موقدٌ فيه نار ، فقال: هل هذه نار حقيقية؟ قال: نعم، فأخذ الجمر بيديه يلعب به ويقلّبه ولم يؤثر فيه.. فسلَّم له ذلك الرجل(1).

وكذلك ما حصل مع أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه من خولان من أهل اليمن لما أراد الأسودُ العنسيُّ إحراقه في نار عظيمة بعد أن ألقاه فيها لأنه لم يؤمن به فلم تؤثر فيه شيئاً، فلما جاء إلى المدينة بعد أن قبض عليه الصلاة والسلام ورآه سيدنا أبو بكر الصديق قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من حاله كحال خليل الله إبراهيم وقيل أن القائل هو سيدنا عمر رضي الله عنهما.

ومثال تخلف الحكم العادي معونة لمؤمن إذا ظهر شيءٌ من خوارق العادات على يد رجل عادي لكنه مؤمن ليس بولي.

ومثال تخلف الحكم العادي إهانة لفاسق: ما حصل مع مسيلمة الكذاب لما تفل في بئرٍ ماؤها عذب فصار مالحاً، ولما مسح على رأس صبيٍّ فتساقط شعره وصار أقرعَ فهذا إهانة له، لأن تخلف الحكم العادي، إذا جاء على حسب ما يريد الفاسق فهو

---

(1) وكما يحكى أن الشيخ المزجّد صاحب (العُباب) ، جاء إلى شيخه الإمام عبدالهادي السودي رضي الله عنه ، بعد أن فرغ من تأليف كتاب العُباب ليعرضه عليه ، وكان الشيخ السودي مُولعاً بشرب القهوة فإذا لم يجد مايوقد به النار لطبخ القهوة.. ألقمها قدمه كرامةً له رضي الله عنه ، فلما ناوله المزجد مؤلَّفَه..أدخله إلى النار وأوقد به دون أن ينظر إليه ! فتأدب المزجد ورجع على نفسه واتهمها بعدم الإخلاص ، في خاطرهِ فقط ، ولما أراد الانصراف قال له الشيخ عبدالهادي: إرجع ، وأدخَل يده في النار وأخرج المؤلَّف كما هو دون أن تؤثر النار فيه ، فتصفَّحَهُ وقال: هذا عُباب من العلم ، فسمي العباب ، وإنما أراد شيخه بذلك اختباره فلما علم صدقه رده إليه.

استدراج، كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤] وإن جاء على خلاف ما يريدُ فهو إهانةٌ له.

فالتأثير من الله ولا يمكن أن نعتقد أنه في هذه الأشياء، ومن اعتقد أن التأثير لغير الله.. فقد كفر، وهذا مذهب الطبيعيين الذين ينسبون التأثير في الأشياء للطبيعة، وهذا كفر.

وأما مذهب العقليِّين.. فيُخشى عليهم الكفر لأنهم يعتقدون أن بين السَّبَبِ والمسبَّبِ ملازمةٌ لازمةٌ لا يمكن التخلف معها، وهذا قد يؤدي إلى إنكار معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، أما عندنا.. نعم بينهما ملازمة، لكنها عادية، فيجوز أن تتخلف

ومذهب المعتزلة لا يكفرون به وإنما هو بدعة.. لأنهم يعتقدون أن الأسباب هي التي تؤثر بذاتها لكن بقدرة أودعها الله فيها عندما خلقها، فالنار عندهم تحرق بذاتها والسكين يقطع بذاته، لكن بقدرة أودعها الله فيهما عند خَلْقِهما، فالإحراق والقطع يؤثران بتلك القدرة التي أودعها الله عند خلقها، ولهذا لم يكفروا لما قالوا ذلك، أما عندنا فلا، وإنما التأثير هذا من إحراقٍ وقطعٍ.. يخلقُهُ الله عند مباشرة الأشياء، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم في هذه المسألة.

ينقسم الحكم العادي إلى أربعة أقسام بسيطة:

١- ربط وجود بوجود، كربط وجود الشبع بوجود الأكل.

٢- ربط وجود بعدم، كربط وجود الليل بعدم النهار.

٣- ربط عدم بوجود، كربط عدم الليل بوجود النهار.

٤- ربط عدم بعدم، كربط عدم الشبع بعدم الأكل.

قوله: (ينقسم الحكم العادي إلى أربعة أقسام الخ).

هذه أربعة أقسام بسيطة للحكم العادي وهي: ربط وجود بوجود، وربط وجود بعدم، وربط عدم بوجود، وربط عدم بعدم.

فالأول: كربط وجود الشبع بوجود الأكل فهذا حكم عادي لا عقلي فإذا وجد الأكل وجد الشبع، ويجوز أن يتخلف هذا الحكم، وإنما وجود الشبع بعد الأكل على سبيل العادة فقد يأكل الإنسان ولا يشبع.

والثاني: كربط وجود الليل بعدم النهار، ومثله وجود الجوع بعدم الأكل.

والثالث: كربط عدم الليل بوجود النهار، وكعدم الجوع بوجود الأكل.

والرابع: كربط عدم الشبع بعدم الأكل، فإذا لم يأكل الإنسان من أين سيأتيه الشبع؟ أي: فهو جائع.

الحكم العقلي: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه: بواسطة العقل لا بواسطة تكرار، ولا وضع واضع، كإثبات الوجود لله، ونفي العدم عنه، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: ستأتي في الدرس الآتي.

قوله: (الحكم العقلي: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه الخ).

هذا هو القسم الثالث من أقسام الحكم المطلق وهو: الحكم العقلي وهذا الذي يتكلم فيه علماء التوحيد، أما الحكم الشرعي فيتكلم عنه الفقهاء من ناحية الأحكام الشرعية.

وتعريف الحكم العقلي: أنه إثبات أمرٍ لأمر أو نفيه عنه بواسطة العقل، أي العقل الذي كرم الله بني آدم به، لا بواسطة التكرار، لأن ما كان بواسطة التكرار.. هو الحكم العادي، ولا بوضع واضع لأنه الحكم الشرعي.

فإثبات أمرٍ لأمرٍ.. كإثبات الوجود لله كقولك: الله موجود، أو إثبات القدم لله كقولك: الله قديم، أو إثبات الحدوث للعالم كقولك: العالم حادث.

ونفيه عنه.. كقولك: الله ليس بمعدوم، أو ليس بحادث فأنت نفيت العدم والحدوث عنه تعالى، وكقولك العالم ليس بقديم وقس على ذلك.

وأقسامه ثلاثة: وهي الواجب والجائز والمستحيل كما سيأتي.

الدرس الرابع

أقسام الحكم العقلي التي تنبني عليها مسائل هذا الفن

أقسام الحكم العقلي ثلاثة: واجب، وجائز ومستحيل، قال بعض العلماء: أن معرفتها: نفس العقل.

الواجب: هو ما لا يقبل الانتفاء، وبعبارة أخرى: ما لا يتصور في العقل عدمه، وهو إما بديهيٌّ: كوجود خالق للكون، وإما نظري: كالقدم لمولانا إذ لا يدركه العقل إلا بعد تأمل.

قوله: (أقسام الحكم العقلي ثلاثة: واجب، وجائز ومستحيل الخ[1])

تقدم معنا أن الحكم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعيٍّ، وعادي، وعقلي، والحكم العقلي كما تقدم هو إثبات أمرٍ لأمر أو نفيه عنه بواسطة العقل لا بواسطة تكرار ولا بوضع واضع، فالذي بواسطة التكرار هو الحكم العادي، والذي بوضع واضع هو الحكم الشرعي.

والحكم العقلي ينقسم إلى ثلاثة أقسام كما ستأتي، وعلى هذه الثلاثة الأقسام الآتية تنبني مسائلُ علم التوحيد سواءٌ كانت الواجبة أو الجائزة أو المستحيلة في حق الله تعالى أو حق رسله عليهم الصلاة والسلام.

قوله: (قال بعض العلماء: أن معرفتها: نفسُ العقل).

يقول المصنف: أن بعض العلماء يقول أن هذه الأقسام الثلاثة معرفتها هو نفس العقل، لكِنْ في الحقيقة أنها ليست نفس العقل!! لأن العقل كما فسروه: هو نور

---

(١) قال الشيخ الدردير في خريدته:

فالواجبُ العقليُّ: ما لم يقبَلِ ... الانتفاء في ذاته فابتهِلِ

والمستحيلُ: كلُّ ما لم يقبَلْ ... في ذاته الثبوت ضدُّ الأوَّل

وكُلُّ أمرٍ قابلٌ للانتِفاءْ ... وللثبوت: جائزٌ بلا خفا

(الصاوي على الجوهرة)

رُوحاني تدرِك به النفسُ العلومَ النظريةَ بواسطة الضرورية، ومبدأه من التمييز إلى الأربعين وهذا هو العقل الغريزي، وما بعده إنما يزيدُ بالتجارب، ولهذا ما بعثَ اللهُ تعالى نبيّاً إلا في سنٍّ الأربعين، لأنه سنُّ كمالِ عقلِ الإنسان، إلا نبيَّ الله يحيى عند بعضهم أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢] وأجابوا أن الحكم هذا ليس المراد به النبوة بل يحتمل أن المراد به الحكمة وأما قوله تعالى في نبي الله عيسى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٣٠] قالوا أن هذا باعتبار ما يؤول إليه لا أنه تعالى نبَّأهُ في ذلك الوقت، أي: وهو لا يزال في المهد، وأما نبيُّ الله يوسف فقال فيه تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [يوسف: ٢٢] ولم يقل واستوى، قالوا أن بلوغ الأشد يكون في ثمانٍ وعشرين وقال في نبيه موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] أي استوى على الأربعين، فكل هذا على أقوال، والتحقيق أنه لم يبعث نبي إلا في سن الأربعين لأن فيه يكمل عقل الإنسان ومعرفته.

قوله: (الواجب: هو ما لا يقبل الانتفاء الخ).

الواجب هو ما لا يقبل الانتفاء كما هنا، والذي عليه أكثرهم: هو أن الواجب ما لا يتصور في العقل عدمه، أي لا يقبل العقل عدمه، وهذا الواجب ينقسم إلى قسمين بديهيّ: أي ضروري، ونظري، والبديهي: هو الذي يعرف بمجرد البداهة كوجود خالق لهذا الكون فهذا أمر بديهي فلو لم يكن هناك صانع.. لم يوجد هذا الكون، وكون الواحد نصف الاثنين، وكون الجزء أصغر من الكل، أو الجرم يتحيَّز من الفراغ فهذا كله لا يحتاج إلى فكر.

أما النظري فلا يُعرف إلا بتأمل وبحث ونظر، كالواحد نصف سدس الاثني عشر فهذا يحتاج إلى نظر وتأمل، وكالقدم في حقه تعالى فإنه يحتاج إلى دليل.. لماذا هو قديم؟ لأنه سبحانه لو كان غير قديم لكان حادثاً، ولو كان حادثاً.. لاحتاج إلى مُحدِثٍ

يحدثه، ومحدثه يحتاج إلى محدث ويلزم من ذلك الدَّورُ والتسلسلُ إلى ما لا نهاية، وهذا محال، ولما بطل ذلك.. صحَّ كونه قديماً أزليّاً، فلم ندرِكْ قِدَمَ الحقِّ تعالى إلا بعد تأمُّلٍ، أما وجودُهُ تعالى.. فهذا بديهيٌّ، فهذا مثال انقسام الواجب إلى ضروري ونظري.

الجائز: هو ما يقبل الثبوت تارة والانتفاء تارة على التعاقب وإن شئت فقل: هو ما يتصور في العقل وجوده وعدمه وهو إما ضروري: كحياة رجل وموته، وإما نظري: كتعذيب الله عبده الطائع، وإن كان ممتنعاً شرعاً لأن الله لا يخلف الميعاد.

قوله: (الجائز: هو ما يقبل الثبوت تارة والانتفاء تارة الخ).

الجائز: هو ما يتصور في العقل وجوده ويتصور عدمه، أي كله مقبول وهو أيضاً ينقسم إلى قسمين: إما ضروري وإما نظري، فالضروري: كحياة زيد وموته فهذا ضروري، وأما النظري: فكجواز تعذيب الله تعالى لعبده الطائع كما يجوز له إثابة العاصي فهذا يحتاج إلى نظر ولا يفهم بمجرد بديهة العقل قال صاحب الزبد:

لَـهُ عقـابُ مَـن أطاعَـهُ كـما ... يُثيـبُ مَـنْ عصـا ويُـولِي نِعَـما

فالجائز هو فعلُ كل ممكن وتركُه، فهذا جائز عقلاً مُمْتَنِعٌ شرعاً، لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد من هذه الحيثية، وهو قد وعد الطائعين بدخول الجنة فهو لا يخلف وعده، لأن إخلاف الوعد مذموم بخلاف الوعيد فإخلافه محمود، ولكن لو أراد أن يفعل ذلك فهو جائزٌ غير ممنوع لأن الخلق عبيدُه يتصرف فيهم كيف يشاء كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] (١)، وكذلك العالم خلقه جائز في حقه تعالى كما قال صاحب الزبد:

أحدثـه لا لاحتياجـه الإله ... ولـو أراد تركـه لمـا ابتـداه

وكذلك إرسال الرسل جائز في حقه تعالى خلافاً للمعتزلة حيث يقولون بوجوب ذلك عليه تعالى لأنه الأصلح للخلق أما عند أهل السنة فليس بواجب عليه تعالى وإنما ذلك فضل منه كما سيأتي في بابه.

---

(١) لا يُسألُ اللهُ عن أفعالِهِ أبداً ... فهو الحكيمُ بحرمانٍ وإعطاءِ
يَخُصُّ بالفضلِ أقواماً فيرحمهمْ ... وضِدُّ ذلك لا يخفى على الرائي

(الباجوري على الجوهرة)

المستحيل: هو ما لا يقبل الثبوت، وبمعناها، ما لا يتصور في العقل وجوده وهو إما بديهي، كالواحد نصف الأربعة وإما نظري: ككون ذات ربنا جرماً -تعالىٰ عن ذلك- كما سيأتي في الدرس الثامن.

قوله: (المستحيل: هو ما لا يقبل الثبوت الخ).

المستحيل: هو ما لا يُتصور في العقل وجوده وهو قسمان أيضاً بديهي أي ضروري ونظري فالبديهي كالواحد نصف الأربعة، فإذا قال لك شخص: الواحد نصف الأربعة أو إن الجزء أكبر من الكل فهل ستصدقه؟ لا، لأن هذا مستحيل لا يقبله العقل.

ومن المستحيل الضروري.. خلوُّ الجرم عن الحركة والسكون، أو أنه لا يشغل حيِّزاً من الفراغ لأنه إما متحرك أو ساكن، ولأنه لا بد أن يشغل حيِّزاً من الفراغ.

وأما المستحيل النظري.. فهو ما يحتاج إلى نظر ككون ذات الله سبحانه وتعالى جِرماً، وكذلك ككون العالم قديماً، ومن اعتقد أنه سبحانه جرم فهذا كفر، لأنه تعالى ليس بجرمٍ ولا عرَض، لأن الجرم يحتاج إلى محل ويحتاج إلى مخصِّص، والعرض يحتاج إلى ما يقوم به أي إلى جسم، والله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن ذلك ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣][1] وبهذا عرفنا معنى الواجب والجائز والمستحيل التي هي أقسام الحكم العقلي.

---

(١) وقد نظم بعضهم هذه الأقسام مع أمثلتها بقوله:

أقسامُ حكمِ العقلِ إذْ تُمازُ: ... وجوبٌ استحالةٌ جوازُ

فواجبٌ لا يقبلُ النفيَ بحالْ ... واجعلْ له تحيُّزَ الجسمِ مثالْ

والمستحيلُ ضِدُّهُ كأنْ يُرَىٰ ... منَ السكونِ والتحرُّكِ عُرَىٰ

وجائزٌ قابِلُ نفيٍ او ثبوتْ ... كأنْ يعيشَ العامَ زيدٌ أو يموتْ

الدرس الخامس

في معرفة الله وما يتعلق بها وعدد الصفات إجمالاً

أول الواجبات شرعاً على المكلف: اختلف العلماء في أول ما يجب على المكلف شرعاً، فقال: الأشعري أنه معرفة الله، وقيل: النظر الذي يوصل إلىٰ معرفة الله، وقيل: النطق بالشهادتين، وقيل: غير ذلك والمعتمد الأول.

قوله: (أول الواجبات شرعاً على المكلف الخ[1]).

الخلاف بين العلماء إنما هو لفظي في أول ما يجب على المكلف، فالإمام أبو الحسن الأشعري قال: هو معرفة الله! لأنه نظر إلى الأصل لأن المقصود هو معرفة الله وجرى صاحب الزبد على ذلك بقوله:

أول واجبٍ على الإنسانِ... معرفةُ الإله باستيقانِ

ومن قال أن أول واجب: هو النظر في الأدلة والبراهين.. فهذا نظر إلى الوسيلة، لأن النظر وسيلة إلى معرفة الله، من باب ما لا يتم الواجب إلا به.. فهو واجب، ومن قال: أول واجب هو القصد إلى النظر... فهذا نظر إلى وسيلة الوسيلة، ومرجعها كلها إلى شيء واحد وهو معرفة الله جل وعلا.

---

(١) **(فائدة):** قال سيدي نفع الله به في بهجة الطالبين: قلتُ: فمعنى أول ما يجب على المكلف معرفة الله تعالى: أي أن يعتقد اعتقاداً جازماً عن دليل بما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله تعالى وأنه لا يحده زمان ولا مستقرٌ على مكان بل كان قبل خلقهما وهو الآن على ما كان عليه وفي ذلك يقول بعضهم:

وكلُّ ما لربنا ينضافُ ... فالوصفُ معقولٌ لا ألاتّصافُ

وما جرىٰ بعالم الخيالِ ... في القلب في الله من المحالِ

إذ كان ربنا ولا سماءُ ... كلا ولا أرضٌ ولا هواءُ

وحيث كانَ.. ثَمَّ كانَ الآنا ... أي: حيث لا زمانَ لا مكانا

فعند ذاك ترجعُ العقولُ ... للعجزِ عن إدراكهِ تقولُ:

تسعُنا مناهجُ الرسولِ ... وآلهِ وصحبِهِ العدولِ

وليس المراد بمعرفة الله معرفة حقيقته وذاته!! لأنه لا يعرف الله إلا الله[1] قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وإنما المراد بمعرفة الله.. أي: معرفة ما يجب له من الصفات وما يجوز وما يستحيل عليه.. فهذا هو المراد بمعرفة الله.

قوله: (وقيل: النطق بالشهادتين[2]).

هذا في الدخول في الإسلام، والنطق بالشهادتين لا يصح إلا إذا كان مع فَهْمِ معناهما، لأن معناهما موصل إلى معرفة الله، أما إذا كان شخص نطق بهما ولا يعرف معناهما، فهذا لا يصح منه لأنه لا بد له من معرفة معناهما، فمعنى أشهد أن لا إله إلا الله أي: أؤمن وأعتقد اعتقاداً جازماً أن لا معبود بحق في الوجود إلا الله.

---

(١) قال سيدنا الجنيد بن محمد رضي الله عنه: والله ما عرف اللهَ إلّا اللهُ أي: لا يعرف حقيقته إلا هو سبحانه وتعالى، وقال الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه لما سئل ذات مرة كيف عرفت ربك؟ فقال: عرفتُ ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي فقيل له هل يتأتى لبشرٍ أن يدركه؟ فقال: العجز عن درك الإدراك.. إدراكٌ، والخوض في ذات الله.. إشراكٌ وفي ذلك يقول بعضهم قيل هو سيدنا علي رضي الله عنه:

لا يعـــرفُ الله إلّا اللهُ فاتَّئِـــدوا ... والـــدينُ دينـــان: إيـــمانٌ، وإشراكُ

وللعقـــولِ حـــدودٌ لا تُجاوزُهـــا ... والعجـــزُ عـــن دَرَكِ الإدراكِ.. إدراكُ

وسئل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بم عرفت ربك؟ فقال عرفته بما عَرَّفني به نفسه.. لا يُدرك بالحواس، ولا يقاس بالقياس، ولا يُشبَّهُ بالناس، قريب في بُعده، بعيدٌ في قربه، فوق كل شيء، ولا يقال تحته شيء، وأمام كل شيء، ولا يقال أمامه شيء، وهو في كل شيء، لا كشيء في شيء، فسبحان من هو هكذا ولا أحد سواه اهـ (الصاوي على الجوهرة)

(٢) (فائدة): نظم بعضهم حكم النطق بالشهادتين بقوله:

ومـن يكـن ذا النطـق منـه مـا اتَّفـقْ ... فـإن يكُـنْ عجـزاً يكـن كمـن نطَـقْ

وإن يكـــن ذلـــك عـــن إبـــاءِ ... فحكمُـــهُ الكفـــرُ بـــلا امـــتراءِ

وإن يكـــن عـــن غفلـــةٍ فكالإبـــاءْ ... وذا الـــذي حكـــى عيـــاضٌ مـــذهبا

وقيـــل: كـــالنطقِ وللجمهـــورِ ... نســـبُ، والشـــيخُ أبي منصـــورِ

وذلـــك التفصـــيل قطعـــاً عُهِـــدا ... بمـــن بـــدار الكفـــر كـــان وُلِـــدَا

أمـــا الـــذي وُلِـــدَ في الإسـلامِ ... فهْـــوَ مُـــؤمِنٌ لـــدى الأعـــلامِ

وجـــوبُ نطقِـــهِ وجـــوبُ الفـــرعِ ... يعصـــي بتركـــه فقَـــطْ في الشـــرعِ

(فائدةٌ): قال سيدنا الحبيب عبدالله بن محسن العطاس نفع الله به: الحكمة في كون الشهادتين ركناً واحداً من أركان الإسلام لا يصح انفكاك أحدهما عن الآخر.. أن الشهادة لله تعالى حقيقة، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم شريعة والشريعة لا تنفك عن الحقيقة اهـ. (بهجة الطالبين)

أي: أعتقد بقلبي وأُقِرُّ بلساني وأُبيِّنُ لغيري أن لا معبود في الوجود إلا الله.

اختلفت المذاهب فيما وجبت به معرفة الله، فقالت الأشاعرة: وجبت معرفة الله كبقية الأحكام بالشرع فقط، ولا شك أنه مطابق للعقل.

وقالت الماتريدية: وجبت دون بقية الأحكام بالعقل: أي إن من فطرة الإنسان وجبلته معرفة الخالق جلَّ وعلا بعقله.

وقالت المعتزلة: وجبت كبقية الأحكام بالعقل ولكل أدلة لا يتسع لها نطاق هذه الدروس.

قوله: (اختلفت المذاهب فيما وجبت به معرفة الله الخ).

أي حصل اختلافٌ بين العلماء.. ما الذي وجبت به معرفة الله.

فالأشاعرة يقولون أن معرفة الله وجبت بالشرع فقط، وليس للعقل فيها مدخلٌ وأننا لم نعرف الله إلا من طريق الشرع، كمعرفة بقية الأحكام فلم نعرف هل هذا حرام أو حلال إلا من طريق الشرع، ولهذا أرسل الله الرسل لتعليم الخلق ودعوتهم إلى التوحيد، فالعقل لا يهتدي بنفسه أي ليس له مدخل في معرفة الله ومعرفة الأحكام، وإنما يكون مؤيِّداً أو مؤكداً فهذا مذهب الأشاعرة وهو المعتمد.

أما الماتريدية فعندهم تفصيل: فعندهم أن معرفة الله وحدها وجبت بالعقل أي: ما دام عقله صحيحاً، وأما بقية الأحكام فوجبت بالشرع، وإنما وجبت معرفة الله عندهم بالعقل لأن من فطرة الإنسان أنه يهتدي لذلك بعقله كما في حديث: «كل مولودٍ يولد على الفطرة»، لأن الفطرة موجودة من حين يخلق الإنسان بحيث لو ترك الصبي لا يختلط بأحد ولا يعلمه أحد.. لاهتدى إلى معرفة الله بعقله، ونشأ على الإيمان لكن أبواه يهوِّدانه أو يمجِّسانه بإدخاله مدارس النصارى وغيرها، فهذا معنى كون المعرفة وجبت بالعقل بل حتى الحيوانات تعرف ربها قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] لكن ليس لديها عقل، والعقل إنما هو من خصوصيات بني

آدم خصهم الله وأكرمهم بالعقل على سائر المخلوقات، وكذلك الملائكة والجن فيهم عقول[1].

أما بقية الحيوانات إنما ركَّب الله تعالى فيها الإدراك تدرك به الأشياء فتعرف به أن هذا يضر وهذا ينفع.

أما المعتزلة فالمعرفة عندهم وبقية الأحكام كلها وجبت بالعقل، وعليه فيكون مجيء الشرع مؤيداً للعقل بعكس الأشاعرة فالعقل عندهم مؤيدٌ للشرع، ولكل من هذه المذاهب الثلاثة أدلة لا يتسع المجال لذكرها هنا ذكروها في مؤلفات أوسع من هذا الكتاب.

---

(١) **(فائدة):** قال بعض العارفين: قسم الله الخلائق ثلاثة أقسامٍ: قسم خلقوا بعقل بغير شهوةٍ؛ وهم: الملائكة. وقسم خلقوا بشهوةٍ بغير عقل؛ وهم: الدوابُّ. وقسمٌ خلقوا بعقل وشهوةٍ؛ وهم: بنو آدم؛ فمن غلب عقله على شهوته: كان مع الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله: كان مع الدَّوابِّ. اهـ (بهجة الطالبين)

معنى معرفة الله: أن يعتقد المكلف اعتقاداً تاماً مطابقاً للواقع عن دليل بما يجب وما يستحيل، وما يجوز في حق الله، لأن الله لا يعرف إلا بصفاته، وليس المراد معرفة ذاته، إذ لا يعرف حقيقته إلا الله كما لا يخفى، وأما المقلد في إيمانه فقد مر حكمه في الدرس الأول.

قوله: (معنى معرفة الله.. الخ).

أي: أن معنى المعرفة.. هو الاعتقاد الجازم المطابق لما في نفس الأمر عن دليل بما يجب، وما يجوز، وما يستحيل في حق الله تعالى، لأن معرفته تعالى لا تكون إلا بمعرفة صفاته فقولنا: الاعتقاد الجازم.. أي القطعُ واليقين الذي لا يخالطه ريب، وخرج به.. الظن والشك والوهم فلا يصح مع شيءٍ من ذلك وقولنا: الموافق للواقع أو المطابق لما في نفس الأمر... خرج به اعتقاد الفلاسفة بقدم العالم واعتقاد النصارى بألوهية عيسى عليه السلام... فهذا ليس مطابقاً للواقع، ولا يسمى معرفةً وإنما هو جهلٌ، وقولنا: عن دليل.. خرج به إيمان المقلِّد وتقدم الكلام على الخلاف فيه، والصفات الواجبة في حق الله عشرون، والمستحيلة عشرون، والجائزة صفة واحدة فجملتها إحدى وأربعون صفة كما سيأتي، وهذه المعرفة ليس المراد بها معرفةُ ذاتِ الله وحقيقته كما تقدم، وإنما معرفة ما يجب له من الصفات وما يستحيل عليه وما يجوز له فلا يعرف اللهَ.. إلا الله قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وفي الحديث: «تفكروا في مخلوقات الله ولا تتفكروا في ذات الله فإنكم لن تقدروه قدره»، والناس يتفاوتون في معرفة الله تعالى ويتفاوتون في حقيقة الإيمان فليسوا سواء في ذلك، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «لو وُزِن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض.. لرجح بهم» فإذا كان هذا إيمان سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف بإيمانه صلى الله عليه وسلم، فإيمان الصحابة ليس كإيمان غيرهم، وإيمان أبي بكر ليس كإيمان غيره من الصحابة،

وإيمان العالِم ليس كإيمان العامّي، وإيمان الرسل ليس كإيمان الأولياء والعارفين.. لا شك أنه أعظم فهم يتفاوتون في الزيادة قال صاحب الزبد:

فكن من الإيمان في مزيد

أي: حتى يصير الإيمانُ يقيناً واليقين كذلك يجتهد في زيادته من علم اليقين إلى عين اليقين إلى حق اليقين، قال سيدنا الإمام الحداد رضي الله عنه:

عليك بتحسين اليقين فإنه … إذا تمَّ صار الغيبُ عيناً بلا نُكْرِ

فالتفاوت حاصل كتفاوت السُّرُج، لكنه يسمى كله إيماناً ما دام وجد الجزم على القول المعتمد من أن الإيمان يزيد وينقص، لأنهم اختلفوا هل الإيمان يزيد وينقص أم لا؟ فمنهم من قال: يزيد ولا ينقص وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة، لأنه لو نقص لكان كفراً وإنما الذي ينقص ويزيد هو العمل أما ذات الإيمان فلا ينقص عنده، وذهب الجمهور ومنهم الأئمة الثلاثة إلى أن الإيمان يزيد وينقص، أي: ذات الإيمان والأدلة الشرعية تدل على هذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] وفي الحديث: «إن الإيمان ليبدو في القلب لمعة بيضاء فلا يزال يزيد حتى يبيضَّ القلبُ كله».

والإيمان ثلاثة أقسام[١]: إيمان يزيد ولا ينقص.. وهذا إيمان الأنبياء والرسل، وإيمان يزيد وينقص.. وهذا إيمان سائر الناس، وإيمان لا يزيد ولا ينقص.. وهذا إيمان الملائكة.

---

(١) (فائدة): في اليقين: قال الحبيب عبدالله بن محسن العطاس رضي الله عنه: أهل اليقين على ثلاث مراتب:

الأولى: أهل علم اليقين.. مثاله مثال من قال لك إن فلاناً في البيت والمخبر ثقة وصدقته فهذا علم اليقين.

الثانية: أهل عين اليقين.. مثاله.. كمن جئت إلى بيته وناديته فأجابك وعرفت صوته لكن ما رأيت شخصه.

الثالثة: أهل حق اليقين.. مثاله من جئت إلى بيته وقابلته.. والناس يتفاوتون فيه ومن تراه نهاراً ليس كمن تراه في الظلمة.

وهناك مرتبةٌ رابعة وهي حقيقة اليقين لا تكون إلا لنبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم اهـ من مجموع كلامه. (بهجة الطالبين)

ولما قيل لسيدنا علي كرَّم الله وجهه.. هل رأيت ربَّك؟ قال: لم أعبُد ربَّاً لم أرهُ.. يعني بعين البصيرة لا بعين البصر، وأما رؤية الحق جل وعلا فلا تجوز لأحد في الدنيا وإنما وقع ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به، فالزمان زمان الدنيا إنما المكان فغير الدنيا قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١]، وهذه خصوصية له صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم: من ادعى رؤية المولى في الدنيا بعين البصر.. كفر، ولكن يقع ذلك بعين البصيرة كما وقع لكثير من الأولياء وكما وقع للإمام أحمد بن حنبل حيث يقول: رأيت ربَّ العزة جل وعلا فسألته: ما أفضل ما يتقرب إليك به المتقربون يا رب؟

فقال لي: {بكلامي يا أحمد} فقلت: بفهم أو بغير فهم؟ فقال: {بفهم وبغير فهم}، لكن بشرط الأدب[1] وكما حصل هذا لسيدنا علي.

ومن كلامه أيضاً كرّم الله وجهه: لو كشف الغطاء ما ازددتُ فيه يقيناً، أي أنه بلغ النهاية في إيمانه.

قوله: (وأما المقلد في إيمانه فقد مر حكمه.. الخ).

بعد أن ذكر المعرفةَ وعرَّفها بأنها أن يعتقدَ المكلفُ اعتقاداً جازماً مطابقاً للواقع عن دليل الخ.. قال أما المقلد في إيمانه أي: الذي حصل عنده جزم مطابق للواقع ولكنه لا يستطيع إقامة الدليل فهو مؤمن عاص.

والمراد بالدليل الذي حصل الاختلاف فيه.. هو الدليل الإجمالي، أما الدليل التفصيلي فلا يجب عليه بالاتفاق..

والتقليد هو الأخذ بقول الغير من غير معرفة الدليل ويكون في الفروع لا في الأصول وتقدم الكلام على الدليل الإجمالي وإيمان المقلد، فمن قال أن النظر في

---

(١) كما قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط نقلاً عن والده.

الأدلة.. واجب وجوب الأصول.. فيكون إيمان المقلد غير صحيح بمعنى أنه كافر، وهو قول ضعيف لأنه عليه الصلاة والسلام لم يطالب عوام الناس ومن دخل في الإسلام من أهل البوادي بذلك واكتفى منهم بمجرد التصديق، ومن يقول أن النظر في الأدلة ليس بواجب وإنما مندوب فهذا يصح إيمانه من غير إثم فهو مؤمن غير عاصٍ، ومن قال أن النظر في الأدلة يُسلك به مسلك الفروع فهذا يصح إيمانه مع الإثم فهو مؤمن عاصٍ.

والمعتمد فيه تفصيل: إن كان فيه أهليةٌ للنظر بأن كان عقله سليماً ولديه فهمٌ وذكاء ونحو ذلك.. فهذا يجب عليه النظر في الأدلة، وإذا ترك النظر حينئذٍ يأثمُ فقط وإيمانه صحيح، فهذا إن حصل معه اعتقاد جازم بحيث لو رجع مقلَّدُهُ لم يرجع هو هذا يصح إيمانه وإلا فلا، وإن لم تكن فيه أهلية كأكثر العوام.. فهذا لا يأثم ويصح إيمانه.

يجب في حق الله: كلُّ صفة من صفات الكمال والإجلال، فصفاته الواجبة إذاً كثيرة لا تحصى، وإنما الواجب حفظها ومعرفتها عشرون وإليك عدها، وهي: الوجود، القدم، البقاء، المخالفة للحوادث.

قوله: (يجب في حق الله: كل صفة من صفات الكمال والإجلال الخ).

الكلام على الصفات الواجبة في حقه تعالى، والذي يجب إجمالاً في حق الله تعالى كلُّ صفةِ كمالٍ، وكمالاتُهُ سبحانه وتعالى لا تتناهى، والذي يتناهى وهو نحن لا يحيط بما لا يتناهى، فليس المعنى أن صفاتِه سبحانه وتعالى الواجبة هي عشرون صفة فقط، وإنما هذه التي ثبتت بالأدلة القطعية بالكتاب والسنة المتواترة أو إجماع الأمة والتي يجب حفظها.

وأما صفاته تعالى فلا تتناهى لأنه متصفٌ بكل كمال وكمالاته لا تتناهى فهذا المراد به.

وقسموا صفاتِه تعالى إلى ثلاثة أقسام: صفاتِ الكمال، وصفاتِ الجلال، وصفاتِ الجمال.

وقسموها أي الصفاتِ الواجبةَ في حقه تعالى إلى أربعة أقسام: نفسية وهي واحدة فقط، وسلبيَّة وهي خمس صفات، ومعانٍ وهي سبع صفات، ومعنوية وهي سبع صفات كما سيأتي.

قوله: (الوجود)..هذا شروع في ذكر صفاته تعالى الواجبة وبدأ بالصفة النفسية وهي الوجود، وقد جرى خلاف في صفة الوجود وهي الصفة النفسية الوحيدة هل هي من صفات الله تعالى أم لا؟ فقال الفخر الرازي: أنها صفة لله تعالى ودليله أنه يقال أن ذاته تعالى موجودةٌ لا معدومة فيوصف بالوجود فجعلها صفةً زائدة، وأما أبو الحسن الأشعري فقال: ليست بصفة لأن الوجود هو عين الذات لا صفةٌ زائدة، لكن الخلاف بينهما لفظي فقط لأن من يقول أنها عين الذات.. نظراً إلى ما في الخارج،

والذي يقول أنها غير الذات.. نظراً إلى ما في الذهن فاتفق القولان في الحقيقة لأن الموجودات تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: موجود في اللسان: كما إذا قلت زيدٌ بلسانك فهذا موجود في اللسان.

الثاني موجود في الجنان أو في الأذهان: كما إذا تخيَّلت زيداً بذهنك وهو غير موجود فهذا موجود في الأذهان.

الثالث: موجود في البنان: كما إذا كتبت أنت اسم زيد فهذا موجود في البنان وهذه كلها مجاز.

الرابع: موجود في الخارج وهو حقيقي كما إذا رأيت زيداً أمامك حقيقة فالأخير هو الحقيقي وما قبله كلها مجاز[1].

قوله: (القِدَم).. الكلام هنا على الصفات السلبية وهي خمس صفات والمراد بالقدم أي القِدَم الذاتي وهو عدم افتتاح الوجود، بمعنى أنه تعالى غير مسبوقٍ بعدم فكل ما سوىٰ الله تعالى وصفاته حادث ولا قديم إلا ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته

قوله: (البقاء).. أي الاستمرار فلا ينقطع وجوده سبحانه ولا آخر له بخلاف المخلوقات فإن وجودها منقطع.

قوله: (المخالفة للحوادث).. أي أن من صفاته تعالى أنه مخالفٌ للمخلوقات فليس مماثلاً لشيء ولا مركّباً ولا مجسّماً ولا يحتاج إلى شيء من صفات المخلوقين قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) ونظمها بعضهم بقوله:

وما لَهُ وجودٌ: خارج وُجِدْ ... ذهناً ولفظاً وكتابةً تَرِدْ

وذي الوجودات مجازٌ ما عدا ... وجودُهُ الذي بخارجٍ بدا

اهـ(بهجة الطالبين)

القيام بالنفس الوحدانية، القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، الكلام، السمع، البصر، كونه قادراً، كونه مريداً، كونه عالماً، كونه حياً، كونه متكلماً، كونه سميعاً، كونه بصيراً.

وقال بعض أهل السنة: لا حاجة إلى عدِّ السبع الأخيرة وسيأتي تفصيل هذا في الدرس الثامن عشر.

قوله: (القيام بالنفس).. أي أنه تعالى قائم بنفسه غير محتاج إلى ذات يقوم بها كقيام الصفة بالموصوف فهو غني سبحانه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

قوله: (الوحدانية).. أي أنه تعالى واحدٌ في ذاته غير متعدد وواحد في صفاته ليس له صفات من جنس واحد كقدرتين وليس لغيره صفة تشبه صفته وواحدٌ في أفعاله أي ليس لغيره تأثيرٌ ما في فعل من الأفعال.

قوله: (القدرة).. الكلام على صفات المعاني[1] وهي سبع صفات وكلها وجودية بحيث لو كشف الغطاء لرأيناها قائمة بذاته تعالى.. أي أنه متصف بها ومُتَحَقِّقٌ وجودها به.

ومن صفاته تعالى الواجبة القدرة والقدرة صفة قديمة يوجدُ بها ويعدم بها الأمور الممكنة.

---

(١) صفات المعاني من جهة التعلق على ثلاثة أقسام: ١- ما لا تعلق له.. وهو الحياة ٢- ما تعلقه عام.. وهو العلم والكلام ٣- ما بينه عموم وخصوص من وجه وهو السمع والبصر والقدرة والإرادة.. فتجتمع هذه الأربعة في الممكن الوجود، ويختص السمع والبصر بالموجودات وهو تعلق انكشاف وتختص القدرة والإرادة.. بالممكنات فقط التي علم الله تعالى أنها لا توجد كولد العقيم وإيمان أبي لهب بناءً على تعلقهما به نظراً إلى أصله في الأزل وقيل لا تتعلقان به نظراً إلى جريان علم الله أنه لا يكون (بهجة الطالبين).

لكن تعلق الأولى.. تعلق إيجاد وإعدام، وتعلق الثانية تعلق تخصيص قال العلامة القباني: ومعرفة التعلقات غير واجبة على المكلف لأنها من غوامض علم الكلام.اهـ (فتح العلام علام). [؟؟؟]

قوله: (الإرادة).. كذلك من صفاته تعالى الواجبة الإرادة: وهي صفة قديمة يُخصِّص بها الأمر الممكن كتخصيص زيد بالوجود بدلاً عن العدم وبالغنى بدلاً عن الفقر.

قوله: (العلم).. وهي صفةٌ قديمة تنكشف له تعالى بها الأشياء من جميع الوجوه انكشافاً تامّاً من غير سبق خفاء.

قوله: (الحياة).. كذلك من صفاته تعالى الواجبة.. الحياة.. وهي صفة قديمة تقتضي صحة اتصافه تعالى بالعلم وغيره من بقية الصفات التي تتوقف على الحياة كالإرادة والقدرة والكلام.

قوله: (الكلام). هو صفة قديمة دالة على جميع الأمور، وهو صفةٌ واحدة لا تتعدد لكن له أقسام اعتبارية فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلا.. أمر، ومن حيث تعلقه بطلب ترك المحرّم.. نهي ومن حيث تعلقه بأن المؤمن له الجنة.. وعد، وأن الكافر له النار.. وعيد إلى غير ذلك.

وكلامه تعالى ليس بحرف ولا صوت فهو منزه عن التقديم والتأخير والسكون واللحن والإعراب وكيفيته مجهولة لنا.

قوله: (السمع والبصر).. هما صفتان قديمتان ينكشف له تعالى بهما كل موجود انكشافاً تامّاً من غير سبق خفاء، فيسمع تعالى سائر الذوات والصفات ولو ألواناً ويبصر سائر الصفات والذوات ولو أصواتاً بمعنى أن ذلك منكشف له تعالى بسمعه وبصره، والانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر. والانكشاف بهما غير الانكشاف بالعلم ولكلٍّ حقيقةٌ يُفوّض علمها إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله: (كونه قادراً كونه مريداً كونه عالماً الخ)..هذه الصفات المعنوية ويقال لها صفات الأحوال وقد جرى فيها خلاف كما قلنا لكم.. فعلى من يقول أن هناك واسطة بين الوجود والعدم يُسمَّىٰ حالاً.. أثبت هذه الصفات.

ومن يقول ليس هناك واسطة بينهما.. اكتفى بصفات المعاني أي أنها تكفي عن كونه قادراً وكونه مريداً الخ.

والمعتزلة نَفَوا صفاتِ المعاني لأن عندهم الصفةَ ليس زائدة عن الذات بل هي نفس الذات، وقد اختُلف في كفرهم! والصحيح أنهم لا يكفرون بذلك وهو قول الجمهور لأنهم لم ينكروا الصفاتِ ذاتَها وإنما جعلوا صفاتِه تعالى عينَ الذات ليست شيئاً زائداً على الذات وعندنا أنها زائدةٌ على الذات لكنها قائمة بالذات فهذا مذهب أهل السنة والجماعة، فهم يقولون: الله عالمٌ بذاته، وعند أهل السنة أن الله تعالى عالم بعلم ويقولون الله قادرٌ بذاته وعندنا قادرٌ بقدرة، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم في هذه المسألة.

ويستحيل في حقه: كل صفة من صفات النقص، وإنما الواجب حفظها ومعرفتها عشرون، وهي أضداد الصفات الواجبة المتقدمة:

فضد الوجود: العدم، وضد القدم: الحدوث، وضد البقاء: الفناء، وضد المخالفة للحوادث: المشابهة لها، وضد القيام بالنفس: الاحتياج إلى مخصص يخصص وجوده على عدمه أو إلى ذات يقوم بها، وضد الوحدانية: التعدد، وضد القدرة: العجز، وضد الإرادة: الكراهية، وضد العلم: الجهل، وضد الحياة: الموت، وضد الكلام: البكم، وضد السمع: الصَمَمُ، وضد البصر: العمى، وضد كونه قادراً: كونه عاجزاً، وضد كونه مريداً: كونه كارهاً، وضد كونه عالماً: كونه جاهلاً، وضد كونه حياً: كونه ميتاً، وضد كونه متكلماً: كونه أبكم، وضد كونه سميعاً كونه أصم، وضد كونه بصيراً: كونه أعمى.

ويأتي القولان الأخيران هنا أيضا.

قوله: (ويستحيل في حقه كل صفة من صفات النقص الخ).

الكلام على الصفات المستحيلة في حقه تعالى أي أن كل صفة من صفات النقص.. تستحيل في حق الله تعالى فهو المتصف سبحانه بكل كمال، المنزه عن كل نقصٍ وما خطر بالبال، وإنما الواجب حفظاً عشرون صفة أيضاً لكنها أضداد الصفات الواجبة المتقدمة والمراد بأضدادها أي: المنافية لها فالأولى من العشرين المستحيلة ضد الأولى من العشرين الواجبة والثانية ضد الثانية وهكذا فهي على سبيل اللّف والنشر المرتب: فضد الوجود.. العدم: أي الفقدان وهو مستحيل على الله تعالى، وضد القدم.. الحدوث: أي الوجود بعد عدم وهو مستحيل، وضد البقاء.. الفناء ومعناه طروّ العدم، وضد مخالفته تعالى للحوادث.. المماثلة لها أي المشابهة لها، وضد قيامه بنفسه.. الافتقار إلى ذات يقوم بها، وضد الوحدانية.. التعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال، وضد القدرة.. العجز عن فعل الممكنات، وضد الإرادة.. الكراهية العقلية التي هي عدم الإرادة فلا يقع شيء في الكون مع كونه تعالى كارهاً لوقوعه، وضد

العلم.. الجهل بمعلوم ما بسيطاً كان الجهل أو مركّباً، وضد الحياة.. الموت وهو صفة وجودية تضاد الحياة، وقيل هو عدم الحياة عمَّن شأنه أن يكون حيّاً، وضد الكلام البَكَمْ أي الخرس وهو صفة وجودية تمنع من الكلام وقيل هو عدم الكلام عما من شأنه أن يكون متكلماً، وضدَّ السمع: الصمَمُ.. وهو صفة وجودية تمنع من السمع وقيل هو عدم السمع عمّا من شأنه أن يكون سميعاً، وضد البصر: العَمَىٰ وهو صفة وجودية تمنع من الإبصار وقيل هو عدم البصر عمّا من شأنه أن يكون بصيراً، وضد كونه قادراً.. كونه عاجزاً، وضد كونه مريداً كونه مكرهاً وضد كونه عالماً كونه جاهلاً الخ ما تقدم في الصفات المعنوية.

والذي يجوز في حقه فعل كل ممكن وتركه على الخلاف الآتي في الدرس السابع عشر.

الصفة: هي المعنى القائم بالذات، كالصفات المتقدمة.

قوله: (والذي يجوز في حقه الخ).

أي أما الصفات الجائزة في حقه تعالى فهي صفة واحدة وهي تمام إحدى وأربعين صفة وهي فعل كل ممكن أو تركه أي من الممكنات أي الجائزات، بمعنى أن له ذلك سبحانه إن شاء فعله وإن شاء تركه قال تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قوله: (الصفة هي المعنى القائم بالذات الخ).

الصفة معنى من المعاني قائمة بذاته تعالى وليس معنى الصفة هي عين الذات كما يقول المعتزلة ولهذا نفوا صفات المعاني وعلى قولهم أن الصفة هي عين الذات.. لزم اتحاد الصفة والموصوف وهذا لا يصح لأن الصفة غير الموصوف فإذا قلنا زيدٌ عالم فالعلم غير زيد وزيد غير العلم، وليست الصفة غير الذات فقط أي خارجة عن الذات لأننا لو قلنا بذلك.. لزم تَعَدُّد القُدَماء وهو مستحيل، فهي صفةٌ غير الذات لكن قائمة بذاته تعالى فلما قلنا أنها قائمةٌ بذاته تعالى.. سلمنا من كونها خارجة عن الذات وما يلزم من ذلك وهو تعدُّد القدماء، لأن المعتزلة ردُّوا على أهل السنة والجماعة وقالوا لو كانت الصفة غير الذات للزم تعدد القدماء فأجاب أهل السنة إنما يكون كذلك إذا قلنا أنها خارجة عن الذات فقط، فأما إذا قلنا أنها قائمة بذاته تعالى فلا يلزم من ذلك تعدُّد القدماء.

أقسام الصفات الواجبة له تعالىٰ: تنقسم الصفات الواجبة له تعالىٰ إلى أربعة أقسام: نفسية، وسلبية، ومعاني على قول من يقول بعدِّها، ومعنوية على قول من يقول بعدِّها.

قوله: (تنقسم الصفات الواجبة له تعالى إلى أربعة أقسام الخ).

الصفات الواجبة في حقه تعالى تنقسم إلى أربعة أقسام كما هو معلوم، نفسية: وهي صفة واحدة وهي الوجود على قول الفخرالرازي أنها صفة لله تعالى أما على قول أبي الحسن الأشعري أن الوجود هو عين الذات.. فلم يعُدَّها من الصفات الواجبة كما تقدم، والقولان متفقان في الحقيقة لأن من قال أنها عين الذات.. نظراً لما في الخارج، ومن قال أنها غير الذات.. نظراً لما في الذهن فاتفق القولان.

وسلبية: وهي خمس صفات، وسميت بذلك لأنها سلبت عن الله سبحانه وتعالى نقائص لا تليق بجلاله وقدسه وكماله.

ومعاني:[1] وهي سبع صفات كمالية لله سبحانه وتعالى، لأنها تدل على الكمال في حق الله تعالى، أي: أثبتت ذلك فالسلبية غير موجودة لأنها منفية، أما صفات المعاني فموجودة لو كشف لنا الغطاء لرأيناها، والقائلون بعدِّها هم أهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة.

ومعنوية: وهي سبع صفات أيضاً على قول من يقول بعدِّها وهم من يقولون بثبوت الحال كما تقدم وهو صفة بين الموجود والمعدوم ومن قال بعدم ثبوت الحال أي أنه لا واسطة بين الموجود والمعدوم.. فهؤلاء لم يعدُّوها واكتفوا عن عدِّها بصفات المعاني، فاكتفوا بالقدرة عن كونه قادراً وبالإرادة عن كونه مريداً وهكذا على حسب ما تقدم وهذا الخلاف بين أهل السنة أنفسهم.

---

(١) المعاني: جمع معنى، وهو لغة: ما قابل الذات، واصطلاحاً: كل صفة قائمة بموصوف موجبةٌ له حكماً ككونه قادراً فإنه لازم للقدرة وفي الحقيقة المعاني المعنوية متلازمان. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

فالنفسية هي التي لا تتحقق الذات إلا بها، وهي الوجود فقط، والسلبية هي التي تسلب أي تنفي أضدادها، وهي: القدم والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية، والمعاني: هي الصفات الوجودية باعتبار ذاتها لا باعتبار تعلقها بصفة أخرى، وهي سبع: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والكلام، والسمع والبصر، والمعنوية: هي التي تلازم المعاني، وهي السبع الباقية.

قوله: (فالنفسية هي التي لا تتحقق الذات إلا بها[1] الخ).

كما ذكرنا أن صفة الوجود وهي الصفة النفسية الوحيدة لا تتحقق الذات إلا بها فلهذا سميت نفسية، والسلبية هي التي تسلب أي تنفي أضدادها من صفات النقص التي لا تليق بجلاله سبحانه وتعالى، وهي خمس صفات صفة القدم.. وقد سلبت الحدوث، وصفة البقاء.. سلبت الفناء، وصفة المخالفة للحوادث.. سلبت المماثلة للحوادث، فالله سبحانه لا يشبهُ شيئاً ولا يشبهُهُ شيٌ، وصفة القيام بالنفس.. سلبت الافتقار إلى شيء من مخلوقاته، وصفة الوحدانية.. سلبت التعدد فمجوعها خمس صفات.

والمعاني[2] صفات وجودية أي موجودة وهي سبع صفات وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والكلام والسمع والبصر وهي قائمة بذاته تعالى لو كشف الغطاء لرأيناها وهذا معنى باعتبار ذاتها، لا باعتبار تعلقها بصفةٍ أخرى لأنه سيأتي أن كل صفة من هذه الصفات لها تعلق، فالقدرة لها تعلق والإرادة لها تعلُّق وهكذا إلا صفة الحياة فلا تتعلق بشيء.

---

(١) اتفق جميع أهل الملل على وجود الصانع جل وعلا سوى شرذمة قليلة قالوا إن هي إلّا أرحام تدفع وأرضٌ تبلع وما يهلكنا إلا الدهر وزعموا أن حدوث العالم أمر اتفاقي بلا فاعل وهو بديهي البطلان.

(٢) **(فائدة):** صفات المعاني ثلاث: منها للكمال وهي السمع والبصر والكلام، وأربع للتأثير وهي.. القدرة والإرادة والعلم والحياة (أي لها تأثير في الإيجاد والإمداد وبينها تلازم.. فإن القدرة متوقفة على الإرادة.. إذ يستحيل أن يفعل شيئاً لا يريده، والإرادة متوقفة على العلم.. إذ يستحيل أن يريد شيئاً وهو غير عالم به والثلاثة (أي القدرة والإرادة والعلم) متوقفة على الحياة إذْ لا يوصف بذلك إلا من هو حيّ.

ومن هذه الصفات ما تعلقها عام كصفة العلم فإن تعلقها عام بالواجبات والجائزات والمستحيلات وكلامه تعالى عامٌّ أيضاً لكن تعلق الكلام تعلُّق دلالةٍ، ومنها ما تعلقها خاص كالقدرة والإرادة فلا تتعلق إلا بالممكنات فلا تتعلق بالواجبات ولا بالمستحيلات.

والمعنوية: نسبةً إلى صفات المعاني وتسمى صفات الأحوال: أي الملازمة لصفات المعاني فهي نفسها وهي كونه قادراً وكونه مريداً وكونه عالماً وكونه حياً وكونه متكلماً وكونه سميعاً وكونه بصيراً. وهي ثابتة عند من يقول بوجود الواسطة بين الوجود والعدم والتحقيق أن لا واسطة بينهما كما تقدم.

الدرس السادس

في أول الصفات الواجبة لله: وهي الوجود، ودليله

الوجود: الوجود صفة أزلية نفسية لا تتحقق الذات إلا بها، فذات ربنا تعالى لو فرضنا كُشِفَ الحجابُ عنها لشاهدناها، لأنه موجود قطعاً.

هل الوجود عين الموجود أم غيره؟ قال الأشعري: (الوجود عين الموجود) واختلفوا في تفسير هذه العبارة، فبعضهم أبقاها على ظاهرها أي أن الوجود لا يزيد شيئاً ما على الذات، ولا يخفى أن في عدِّها صفة على هذا التفسير تسامحاً، وبعضهم أولوا قائلين: ليس المراد حقيقة العينية، بل المراد أنه ليس زائداً على الذات في الخارج، فهو شيء والذات شيء آخر، والوجود على هذا التأويل أمر اعتباري.

قوله: (الوجود صفة أزلية نفسية لا تتحقق الذات إلا بها الخ).

الوجود صفة أزلية قديمة وتقدم الفرق بين الأزل والقدم وهو فرقٌ دقيق وبعضهم قال لا فرق بينهما، والمراد بالنفسية أي التي لا تتحقق الذات إلا بها فإذا نُفِيت فلا تتحقق الذات بها وإنما سميت نفسية.. لأنه يدل الوصف بها على نفس الذات.

قوله: (فذات ربنا لو فرضنا كُشِفَ الحجاب عنها لرأيناها الخ).

أي لو كشف الغطاء لرأينا ذاتَ ربِّنا سبحانه وتعالى ، إلا أن رؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا مستحيلة شرعاً لا عقلاً فهي ممكنة عقلاً لا شرعاً ولهذا يوم القيامة المؤمنون يرونَ ربهم، وفي الدنيا رؤيته تعالى ممكنة ليست مستحيلة.. لماذا..؟ لأنه موجود وكل موجود يرى وإنما لا يمكن ذلك شرعاً إلا يوم القيامة، والدليل على جواز الرؤية عقلاً أنَّ نبي الله موسى عليه السلام لما طلب الرؤية دلَّ طلبه على إمكان الرؤية في الدنيا إلا أنه لم يُجب ولا يجوز لنبي أن يجهل صفةً من صفات الله تعالى، ودليلٌ آخر أن الله تعالى

علّق ثبوت الرؤية على ثبوت الجبل لكن الجبل لم يثبت كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فالمعلق على الجائز جائز، وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه ليلة أُسرِيَ به.. فهي خصوصية في حقه وهي وإن كانت في وقت الدنيا لكنها في عالم غير الدنيا، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ٨ - ١١].

قوله: (هل الوجود عين الموجود أم غيره؟ الخ).

هذا خلاف كما تقدم بين الإمام الأشعري والفخرالرازي، فالأشعري قال: أن الوجود عين الموجود[١] لا صفة زائدة عليه فلم يَعُدّها من الصفات، واختلفوا في معنى أن الوجود عين الموجود فقيل أي: أن الوجود لا يزيد شيئاً مّا على الذات بخلاف بقية الصفات كالقدرة والإرادة وغيرها فهي صفة زائدة على الذات، لأنها صفاتٌ قائمة بالله تعالى، وهذا التفسير أبقاها على ظاهرها، وهذا بالنظر إلى ما في الخارج أما بالنظر إلى ما في الذهن فهي صفة من غير خلاف، وقيل ليس المراد حقيقتُهُ العينية أي حقيقة الذات ولا خارجة عن الذات وهكذا جميع الصفات، وإنما هي قائمة بذاته تعالى وعلى هذا التفسير فالوجود شيء والذات شيء آخر[٢].

---

(١) قال في بشرى الكريم: وأوَّلهُ المحققون بأن المراد بكونه نفس الذات.. أنه ليس له حقيقة في الخارج قائمة به قيام البياض بالجسم كما قاله المعتزلة والإمام الفخرالرازي، بل لا حقيقة له في الخارج إلا ذات الموجودة أمّا ذِهناً.. فليس مفهومه مفهوم الذات إذْ مقابله العدم ومقابلها الصفة. اهـ

(٢) قال في الصاوي على الجوهرة: فالوصف به -أي الوجود- أمر اعتباري يعتبره الشخص لا ثبوت له، مثال ذلك: كما إذا أخرجت ثوباً من صندوق مثلاً فالثوب يوصف بالظهور وهو أمرٌ اعتباري لا ثبوت له في الخارج بحيث يصح أن يُرى في نفسه بل هو أمرٌ يعتبره الشخص في نفسه فقط. اهـ

وقال غيره: (إن الوجود غير الموجود) وعليه فالوجود حال لا تتعلل بعلة، أي: لم تنشأ عن شيء لِتَخْرُج الحالُ التي تتعلل بعلة ككون الله قادراً، فإنه ناشئ عن القدرة وكونه مريداً فإنه ناشئٌ عن الإرادة، وهكذا، وعَدُّ الوجود من الصفات العشرين على هذا القول الأخير ظاهر، والواجب اعتقاده مما تقدم كله: أن الله موجود فقط من غير نظر إلى كون الجود عين الذات أم غيرها.

قوله: (وقال غيره إن الوجود غير الموجود الخ).

هذا قول الفخرالرازي صاحب التفسير وهو أن الوجود صفة لله تعالى فهي غير الذات لأنك تقول الذات موجودة لا معدومة فدل على أنها صفة زائدة على الذات وهذا بالنظر إلى ما في الذهن وعلى هذا القول فصفة الوجود معدودة من العشرين صفة الواجب حفظها لكن الواجب علينا إنما هو اعتقاد وجود الله تعالى ولا يجب معرفة هل الوجود عين الذات أم غيرها فهذا خلاف لفظي لا يلزمنا معرفته[1].

---

(١) ولله در أبي مدين التلمساني رضي الله عنه حيث يقول في حاشيته:

اللهَ قُلْ وذرِ الوجودَ وما حوىٰ ... إنْ كنتَ مُرتاداً بلوغ كمالِ

فالكُلُّ دونَ اللهِ إن حقّقتَهُ ... عدمٌ، على التفصيلِ والإجمالِ

وأعلم بأنّك والعوالمَ كلُّها ... لولاهُ.. في محوٍ وفي اضمحلالِ

من لا وجود لذاتهِ من ذاتهِ ... فوجودُهُ لولاهُ عينُ مُحالِ

والعارفونَ فَنَوا به لم يشهدوا ... شيئاً سوىٰ المتكبِّرِ المتعالي

ورأوا سواه على الحقيقةِ هالكاً ... في الحال والماضي والاستقبالِ

أهـ (الصاوي على الجوهرة)

الدليل العقلي على وجود الله، هو أن تقول: العالم حادث، وكل حادث لا بد له من محدث، فالنتيجة: العالم لا بد له من محدث، وذلك المحدث هو الله.

قوله: (الدليل العقلي على وجود الله هو أن تقول العالم حادث الخ)

الكلام على الدليل العقلي على وجود الله تعالى وأما الدليل النقلي فهو كثير كما في الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] وغير ذلك والأدلة العقلية تسمى الآيات الصامتة، والأدلة النقلية تسمى الآيات الناطقة.

وتقدم معنا أن الدليل العقلي يكون استنباطه من قواطع النقول وسواطع العقول لأن الكفار وغيرهم لا يخضعون إلا لدليلٍ عقلي، لأنهم غير مؤمنين بالقرآن وبمن جاء به.

والدليل العقلي أن تقول بطريقة القياس: العالم حادث، وهذه مقدمةٌ صُغرى، وهذا ما يتكلَّم عليه أهل المنطق، ويسمونه القياس المركب، لأن القياسَ ثلاثةُ أنواع: القياس المركب، والقياس التمثيلي وقياس الاستقراء.

وسمي بالمركب لأنه مركب من مقدمةٍ صغرى ومقدمةٍ كبرى ونتيجة، فتقول: العالم حادثٌ أي أنه وُجِد بعد العدم فليس بقديم(١) كما يقول الفلاسفة وقد كفروا بذلك فالحادث معناه.. ما كان معدوماً ثم وُجِد، وما الدليل على حدوث العالم؟، الدليل أن العالمَ حادثٌ وهذه مقدمة صغرى، وكلُّ حادثٍ لا بد له من محدث وهذه مقدمة كبرى كما سيأتي، فالنتيجة المركبة من المقدمة الصغرى والمقدمة الكبرى هو أن

---

(١) قال صاحب الجوهرة:

وكل ما جاز عليه العدمُ عليه قطعاً يستحيل القِدَمُ

العالم لا بد له من محدث وذلك المحدث هو الله وهذا هو المقصود، فهل يمكن أن يوجد هذا البيت من نفسه دون أن يبنيه أحد؟ لا، وإذا خرجت إلى الصحراء ووجدت قبَّةً مضروبة فهل سيعقل أنها نصبت نفسها؟ لا، فهذه السموات والشمس والقمر والبحار لا بد لها من محدث وهو الله سبحانه وتعالى الخالق للعالم والفاعل والمُحدِث والموجد له، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

دليل المقدمة الصغرىٰ: هو أن تقول: العالم مركب من أعراض وأجرام والأعراض متغيرة بالمشاهدة فهي حادثة، والأجرام ملازمة للأعراض، وما لازم الحادث فهو حادث، فالنتيجة: (العالم حادث).

قوله: (دليل المقدمة الصغرى الخ).

المقدمة الصغرى هي "العالم حادث" وما الدليل على أن العالم حادث؟ أن تقول: أن العالم وهو كل ما سوى الله.. مُرَكَّبٌ من أعراضٍ وأجرام.

والعـالمُ أسـمُ مـا سِـوى الـديانِ   مـن صـفة الأعـراضِ والأعيـانِ

والعـينُ مـا بنفسِـهِ يقـومُ   ومـا سـواهُ العـرضُ المرقـوم

والأعراض هي الصفات الملازمة للأعيان أي الأجرام التي تقوم بنفسها وهذه الأعراض إنما تقوم بالأجرام كالحركة السكون والطول والعرض والصغر والكبر.

والأجرام هي التي تقوم بنفسها كالسماء والأرض والجبال والحجر والخشب فهذه كلها أجرام أي أعيان تقوم بنفسها.

والأعراض متغيِّرة بالمشاهدة، وهذا مُسَلَّمٌ له، كشيءٍ ساكن ثم تحرك أو شيء متحرك ثم سكن فهذا تغيُّر، أو شيء صغير ثم كبر فهذا كله مُتغيِّر فدليلُ حدوث الأعراض.. المشاهدةُ بالعين.

بقينا في الأجرام ما الدليل على حدوثها؟

الدليل أن الأجرام ملازمة للأعراض لا تنفك عنها وما لازم الحادث فهو حادث.. فينتجُ عن ذلك أن العالم حادثٌ فهذه هي النتيجة التي نستدل بها على حدوث العالم المركب من أعراض وأجرام.

آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، ومذهب سلفنا الصالح في التوحيد هو قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] فهم لا يشكون ولا يحتاجون إلى هذه التفاصيل كلها، وهذه الفتاصيل إنما هي لمن كان في قلبه شك

دليل صحة المقدمة الكبرىٰ: هو أن تقول: لو لم يكن للعالم محدث لحدث بنفسه ولو حدث بنفسه لترجح وجوده علىٰ عدمه بدون مرجِّح، وهذا مستحيل لأنه جمع بين النقيضين وهما الرجحان والاستواء معاً.

قوله: (دليل صحة المقدمة الكبرى الخ).

تقدم الدليل على صحة المقدمة الصغرىٰ وهنا الكلام على دليل صحة المقدمة الكبرى وهي أن كل حادث يحتاج إلى محدث وهو أنه لو لم يكن للعالم محدث.. لحدث بنفسه، وهل يتصور أن شيئاً يحدث بنفسه؟ لا، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾[الطور: ٣٥] ولو حدث العالم بنفسه لترجَّح جانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح وهذا مستحيل لأنه لا يمكن لشيءٍ أن يترجَّح إلا بمرجِّح، فالوجود والعدم ككفتي الميزان لا يمكن أن تترجح إحداهما بدون مُرَجح لأن ذلك يؤدي إلى التناقض أي الجمع بين النقيضين وهما الرجحان والاستواء، فلا يجتمعان معاً و لو لم يكن هناك مُرَجِّح لبقي في حيِّز العدم بل العدم هو الأصل فلما ترجَّح وجوده على عدمه.. دلَّ على وجود المُرَجح أي المحدث الذي أوجده وهو الله سبحانه وتعالى فهذا يسمى القياس المركب من مقدمة صغرى ومقدمة كبرى ونتيجة، أما قياس الاستقراء.. فهو الاستدلال بالجزء على الكل كما في الاستقراء الذي ثبت فيه أن أقل الحيض يوم وليلة وكما في سن الإياس وكما تقول كل حيوان يُحَرِّك فكَّهُ الأسفل عند المضغ، لكنه لا يفيد القطع!! لأنه لا يلزم من ثبوت الحكم للأفراد.. ثبوته للكل فإن التمساح لا يحرك فكه الأسفل وإنما الأعلى.

وأما القياس التمثيلي.. فهو ما يستعمله الفقهاء كما قالوا في الخمر أن علة تحريمها هي الإسكار وهذا الاسكار موجود في النبيذ فينتج أن النبيذ حرام.

أما تسمية ذلك المحدث بلفظ الجلالة، وبغيره، فهي مأخوذة من لغتنا كما أنه يسمىٰ بأسماء أخرىٰ عندنا وعند غيرنا من أهل اللغات الأخرىٰ، وغالب هذه الأسماء مستفاد من الأنبياء عليهم وآلهم الصلاة والسلام.

قوله: (أما تسمية ذلك المحدث بلفظ الجلالة وبغيره الخ)[1]

لما قلنا أن العالم حادث ولا بد له من محدث فمن ذلك المحدث؟ هو الله سبحانه وتعالى فتسمية المحدث بلفظ الجلالة وغيره من بقية الأسماء هذا شيء نقلي من الكتاب والسنة عن طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واختلف العلماء هل لفظ الجلالة مشتق من فعل أو غير مشتق والراجح أنه غير مشتق من فعل، وبعضهم قال أنه مشتق وعلى من يقول أنه مشتق.. اختلفوا مشتق من ماذا؟ فقيل: مشتق من لاهَ.. بمعنى احتجب كما يقول الشاعر:

لاهَتْ فما عُرِفَتْ يوماً بخارجةٍ   يا ليتها برزت حتى رأيناها

وبعضهم قال أنه مشتق من أَلَهَ.. بمعنى عَبَدَ لأنه مألوهٌ أي: معبود، وقيل من أَلَهَ بمعنى ارتفع ومنه سميت الشمس إلاهَة لارتفاعها كما قال الشاعر:

تروّحنا من الدهناءِ قصراً   وأَعْجزنا الإلاهةَ أن تغيبا

وبعضهم من أَلِهَ بمعنى.. أقام لأنه باقٍ وقيل: من أَلِهَ بمعنى إلتجأ لأنه مُلتجأ إليه، وهذا الاختلاف هو من جهة اللغة فقط لا يترتب عليه شيء، ولا يجوز لأحد أن يسمي نفسه أو ولده بلفظ الجلالة على الإطلاق ولو تعَنُّتاً فلا يصير اسمه، وقد حكي أن امرأةً سمَّت ولدها بلفظ الجلالة فجاءت صاعقةٌ وأحرقته.

---

(١) لفظ الجلالة علمٌ على الذات الواجبة الوجود المتصفة بصفات الكمال المنزهة عن النقائص.. فقولنا: (علمٌ على الذات الواجبة الوجود).. مردودٌ به على الدهريّة الذين ينكرون الصانع ويقولون ما حكى الله سبحانه ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ (الجاثية ٢٤) وقولنا: (المتصفة بصفات الكمال) مردودٌ به على المعطّلة الذين يثبتون الذات وينفون الصفات وهم كفار كالذين قبلهم، وقولنا: (المنزهة عن النقائص) مردودٌ به على المشبهة الذين يشبهون الخالق القديم الباقي.. بالمخلوق الحادث الفاني، وقد اختلف في تكفيرهم. اهـ (بهجة الطالبين)

ولفظ الجلالة وغيره من أسمائه تعالى أسماء مأخوذة من لغتنا وله أسماءٌ أخرى قيل ألف اسم والمعتمد أن أسماء الله تعالى توقيفية[1] كما سيأتي لا يدخلها الاجتهاد[2].

---

(١) أي: تعليمية.

(٢) اختلف هل بين أسمائه تعالى تفاضل أم لا؟ فقيل: لا تفاضل وقيل: بالتفاضل، ولذلك يقولون الاسم الأعظم: أي الجامع لمعاني الأسماء والصفات، واختلفوا فيه والحق أنه لفظ الجلالة لأن حقائق المؤمنين ممزوجة به. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

أما حكم إطلاق اسم أو صفة على الله فلا يجوز إلا إذا ورد بذلك نص من الشارع، وهذا معنى قولهم: أسماء الله وصفاته توقيفية، هذا مذهب جمهور أهل السنة.

وقالت المعتزلة وبعض أهل السنة: يجوز إطلاق اسم أو صفة على الله بشرط أن لا يمنع منه الشارع إذا لم يوجبا نقصاً في حقه.

قوله: (أما حكم إطلاق اسم أو صفة على الله فلا يجوز الخ).

أي: لا يجوز إطلاق اسم أو صفة على الله تعالى إلا إذا ورد بذلك نص من الشارع لأن المعتمد أن أسماءه سبحانه وتعالى توقيفية، فلا يجوز أن يوصف سبحانه وتعالى بأنه عاقل وإن كانت صفة كمال لأنها لم ترد، أو بأنه سخيٌّ بخلاف كونه كريم فيجوز ذلك، وإن كان ورد في بعض الأحاديث: «أن له تعالى ثلاثمائة وستين خُلُقاً أحبها إليه السخاء» فهذا من جهة أنه يرضى هذا الخلق ويحبه لا أنه ضمن ما ورد في صفاته لأنه لم يرد ذلك، وقيل يجوز ما دام وصف كمال ليس فيه نقص بحيث لا يمنع منه الشارع[١]، لأن كمالاته سبحانه وتعالى لا تتناهى لأنه سبحانه متصف بكل كمال فليست صفاته تعالى محصورة في العشرين صفة الواجبة كما تقدم وإنما تلك الواجبة هي ما ثبتت بدليل قطعي، فكل صفة كمال تجب له سبحانه وتعالى وكل صفة نقص تستحيل في حقه، وأما قول بعضهم في مناجاته: يا سيدي وحبيبي.. فليس في ذلك شيء لأن هذا ليس على سبيل التسمية وإنما كونه محبوبه ونحو ذلك[٢].

---

(١) وهو اختيار ابن العربي رضي الله عنه.

(٢) **(فائدة)**: قال في الصاوي على الجوهرة: وأما أسماؤه صلى الله عليه وسلم فتوقيفية باتفاق ولا يجوز تسميته بما لم يرد ولو كان متضمناً تعظيماً والفرق أن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم بشر يتطرق له النقص بخلافه سبحانه وتعالى ولئلا يطرونه كما أطرت النصارى سيدنا عليه الصلاة والسلام قال البوصيري رضي الله عنه:

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى في نبيِّهِمِ ... واحكُمْ بما شِئْتَ مدحاً فيه واحتكِمِ

فمبلَغُ العِلمِ فيهِ أنَّهُ بَشَرٌ ... وأنَّهُ خَيرُ خلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

قال ابن فارس: أسماؤه صلى الله عليه وسلم الواردة ألفان وعشرون ونقل عن شرح المنهاج للشيخ أبي الحسن أنها أربعة آلاف. اهـ

وقالوا ما هو الأفضل العقل أو العلم.. خلاف بين ابن حجر والرملي فابن حجر والشيخ زكريا قالا: العقل، لأنه لو لم يكن عقل لم يدرك الإنسانُ العلم فالإنسان يدرك العلم بواسطة العقل، فالعقل أشرف عندهما، وهذا القول أوجه لأنه لو اختل عقل الإنسان.. لذهب علمه كله، والرملي يقول: العلم أفضل، لأن الله تعالى يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل.

علمُ العليم وعقلُ العاقل اختلفا	من الذي منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته	والعقل قال بيَ الرحمن قد عُرِفا
فأفصح العلم إفصاحاً وقال له:	بأيِّنا الله في فرقانه اتصفا؟
فبان للعقل أن العلم سيِّدُهُ	فقبّل العقل رأس العلم وانصرفا

اهـ (إعانة الطالبين، تحفة الحبيب)

واختلفوا في صفات الإدراك في حق الله تعالى هل له صفات إدراك فقيل: لا، لأنه لم يرد من ذلك شيء وبعضهم قال أنها داخلة ضمن صفتي السمع والبصر، وبعضهم أثبتها وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

الدرس السابع

في الصفة الثانية والثالثة وهما القدم والبقاء ودليلهما

القدم هو عدم افتتاح الوجود، وبعبارة أخرىٰ: عدم الأولية وهو صفة أزلية ومن الصفات السلبية.

الدليل العقلي علىٰ القدم: هو أن نقول: لو لم يكن ربنا قديماً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لاحتاج إلىٰ محدث، ولو احتاج إلىٰ محدث لاحتاج محدثه إلىٰ محدث، وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل، وهما محالان، وما أدىٰ إلىٰ المحال محال فعدم الله محال وقدمه واجب.

قوله: (القدم هو عدم افتتاح الوجود الخ).

القدم من الصفات السلبية وقد عرفوها بتعاريفَ كثيرة، وكلها بمعنى واحد، فقيل: القدم هو عدم افتتاح الوجود، وقيل: عدم الأوليَّة أي: الذي لا ابتداء لأوليته، والقديم: هو الأول الذي ليس قبله شيء، ومنهم من يقول: القدم هو نفي أو سلب العدم السابق للوجود فهذا معنى القدم، ولا قديم إلا ذاتُ الله تعالى وصفاته.

قوله: (الدليل العقلي على القدم هو أن نقول لو لم يكن ربنا قديماً لكان الخ).

الدليل النقلي على القدم: هو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣] بمعنى القديم، وأما الدليل العقلي: فهو أن نقول بفرض مثالٍ.. لو لم يكن ربنا قديماً لكان حادثاً سبحانه أي موجوداً بعد عدم لأن ضد القدم.. الحدوث، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث أي صانع يحدثه من العدم، لأن الحادثات تحتاج إلى من يحدثها من العدم، وهكذا جميع العالم، ثم صانعه إما أن يكون محصوراً أو غير محصور فإن كان محصوراً كاثنين أو ثلاثة مثلاً.. لزم الدور لاستحالة كون الشيء متقدماً على نفسه ومتأخراً عنها في آنٍ واحدٍ، فالشيء إما متقدمٌ على نفسه أو متأخّرٌ عنها، واستحالة كون الشيء

قوياً يخلق غيره وضعيفاً يخلقه غيره وهذا لا يمكن[1] فمثلاً لو قال شخص لآخر: أنا خلقتُك وأنت خلقتني.. فهذا لا يتأتى!! لأنه يلزم أن كلا منهما متقدماً على الآخر ومتأخراً عنه في آن واحد، للزوم الدور من ذلك وهو محال، وهذا إذا كان صانعه محصوراً، فإن كان غير محصور.. هذا يخلق هذا وهذا يخلق هذا فيلزم منه التسلسل إلى ما لا نهاية، وكل ما يلزم التسلسل إلى ما لا نهاية فهو محال[2] فالتسلسل والدور محالان وما أدى إلى المحال فهو محال، وعدم قدم الله محال فلا يكون سبحانه وتعالى إلا قديماً.

وذكروا الدور[3] حتى في الميراث كما إذا مات الميت وخلف أخاً وكان حائزاً للتركة وأقرَّ بابنٍ للميت، فيصح إقراره ويثبت نسبه ولا يرث أي الابن!! لأنه لو ورث لم يكن الأخ حائزاً للتركة، أي بل يكون محجوباً، ولو حجب الأخ لم يصح إقرارهُ وإذا لم يصح إقراره لم يثبت نسبُ الابن فلا يرث، فيلزم من إرثه عدم إرثه وهذا دور لكن هذا من جهة الظاهر، أما بينه وبين الله يجب أن يدفع المال كله لابن أخيه وينبغي للإبن حينئذٍ أن يعطيه شيئاً يطيِّبُ به نفسه، لكن قد يكون هذا ليس في قلبه خوف من الله فيأخذ المال كله لأن المال كله له من جهة الظاهر.

وذكروا الدور حتى في الطلاق بأن قال إن طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثاً ثم طلقها[4] وقال بعضهم:

مسألةُ الدورِ جرتْ بيني وبين من أحِبْ
لولا مشيبي ما جفا لولا جفاهُ لم أشِبْ

---

(١) ولك أن تقول الدور.. هو توقف شيء على آخر يتوقف عليه كما إذا قيل إن زيداً أحدث عمراً وإن عمراً أحدث زيداً فقد توقف كل على صاحبه. (فتح العلام)

(٢) ولك أن تقول التسلسل: هو تتابع الأشياء واحداً بعد واحد إلى ما لا نهاية له في الزمن الماضي كما إذا قيل إن زيداً أحدثهُ عمروٌ وإن عمراً أحدثه بكرٌ وإن بكراً أحدثه خالد وهكذا إلى ما لا نهاية. (فتح العلام)

(٣) أي الدور الحكمي.

(٤) او قال لأمته إن أعتقتك أو متى أعتقتك فأنت حرة قبله.. فأعتقها حصل الدور فعلى صحة الدور لا يقع طلاق ولا عتق لأنه لو وقع المنجز لوقع المعلق قبله بحكم التعليق ولو وقع المعلق لم يقع المنجز وإذا لم يقع المنجز لم يقع المعلق فقال بعضهم: لا يقع الطلاق بالكلية، والمعتمد وقوع المنجز دون المعلق.

وهذا دورٌ أيضاً.

الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه.

مثاله: لو فرضنا أن وجود الله متوقف على وجود العالم، ووجود العالم متوقف على وجود الله، فيلزم أن يوجد العالم قبل الله وأن يوجد الله قبل العالم، وهذا مستحيل طبعاً واستحالته ظاهرة.

والتسلسل: هو تتابع الأشياء إلى ما لا نهاية.

مثاله: زيد خلق عمراً، وعمر خلق بكراً، وبكر خلق خالداً وهكذا وهو محال أيضاً إذ لا بد من نهاية وإن بعدت.

قوله: (الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه) الخ.

هذا تفسير للدور كما تقدم وأتى بمثال لو فرضنا أن وجود الله متوقف على وجود العالم وهذا فرض مثال، ووجود العالم متوقف على وجود الله.. فيلزم أن يوجد العالم قبله تعالى وأن يوجد تعالى قبل العالم وهذا مستحيل لاستحالة كون الشيء متقدماً على نفسه ومتأخراً عنها.

قوله: (والتسلسل هو تتابع الأشياء إلى ما لا نهاية الخ).

كما تقدم كأن يكون هذا قبل هذا وهذا قبل هذا إلى ما لا نهاية وما لا نهاية محال إذْ لا بد من نهاية وإن بعُدت والنهاية هي المقصود الذي هو القدم[1].

---

(١) ومما يتعلق بالقدم قول بعضهم:

من قال: سبْقُ اللهِ خَلْقَ اللهِ	بزمنٍ ليس له تناهي
أو قال: بَلْ لَهُ تناهٍ.. فكِلا	قَوْلَيْهِ إفكٌ واضحٌ لَنْ يُقبلا
وذاك أنّ أوّلَ القولينِ	يَلْزَمُ منهُ عدمُ الكونينِ
لأنه توقَّفَ الإيجادُ	على زمانٍ ما لَهُ نفادُ
ولازمٌ على المقال الثاني	حدوث ربٌّ ما له من ثاني
فبطلَ اللازمُ والملزومُ	لكنَّما إلهُنا القيُّومُ..
.. لم يتقيَّدْ بزمانٍ أو مكانْ	إذْ هُوَ خالق المكانِ والزمانْ

البقاء: عدم آخرية الوجود، وبعبارة أخرى: عدم اختتام الوجود، وهي صفة أزلية قديمة ومن السلبية أيضاً.

الدليل العقلي على البقاء: هو أن نقول: لو لم يجب له البقاء لأمكن أن يلحقه الفناء، ولو أمكن أن يلحقه الفناء لما كان واجب الوجود، ولو لم يكن واجباً لكان جائزاً، ولو كان جائزاً لكان حادثاً، كيف وقد ثبت قدمه.

أو نقول: الله واجب له القدم، وكل من وجب له القدم استحال عليه العدم، فالله مستحيل عليه العدم فهو باقٍ أبداً.

قوله: (البقاء عدم آخرية الوجود الخ).

كذلك من الصفات السلبية البقاء وهو عدم آخرية الوجود أي عدم تناهي الوجود أو عدم اختتام الوجود أو ما لا نهاية لآخريته والباقي الذي ليس بعده شيء، أو تقول: هو سلب العدم اللاحق للوجود، وكلها بنفس المعنى فهذا معنى البقاء، وهي من الصفات الأزلية، وكل صفاته تعالى أزلية قديمة.

قوله: (الدليل العقلي على البقاء الخ).

لا بد من دليل عقلي لأن الكفار ونحوهم لا يخضعون إلَّا له، لأنهم غير مؤمنين بالله تعالى وهناك قاعدة تقول: كل قديم باقٍ وليس كل باقٍ.. قديمٌ.

فكل قديم لا بد أن يكون باقياً وأما كل باقٍ فليس بقديم لأن بعض العالم لا يفنى فهناك مخلوقات باقية لكنها ليست قديمة وهي ثمانية كما نظمها بعضهم بقوله:

يا سائلاً عن حادثاتٍ باقية ... العرشُ والكرسيُّ ثم العالية[1]

لوحٌ وروحٌ قلمٌ والهاوية ... وعَجْبُ ذَنَبٍ آخِرُ الثمانية[2]

---

(١) أي: الجنة.

(٢) ولبعضهم:

ثمانيةٌ حكم البقاء يعمُّها ... من الخلق والباقون في حيِّز العَدَمْ

هي العرش والكرسي ونارٌ وجنةٌ ... وعَجْبٌ وأرواحٌ كذا اللوح والقلم

فهذه المخلوقات باقية لا يلحقها الفناء كغيرها من المخلوقات لكنها ليست قديمة، فبقاؤها ليس كبقاء الله تعالى، فالله تعالى بقاؤه واجبٌ وهذه بقاؤها جائزٌ.

وأيضاً بقاؤه تعالى قائمٌ بذاته، أما هذه المخلوقات فإنها بقاؤها بإبقاء الله تعالى لها أي أنه الذي أبقاها فهي محتاجة إلى الله تعالى ليمدها بالبقاء فالدليل العقلي أن تقول أنه لو لم نوجب له سبحانه البقاء.. لأمكن أن يلحقه الفناء ولو أمكن أن يلحقه الفناء.. لما كان واجب الوجود، والله تعالى واجب الوجود ولو لم يكن واجب الوجود.. لكان وجودُهُ جائزاً ولو كان جائزاً.. لكان حادثاً مثلنا، لأن وجودنا جائز ولهذا يلحقنا العدم، وكيف يكون حادثاً وقد ثبت قدمه!!.

وقد مَرَّ معنا الدليل على القدم وبما أنه استحال عليه العدم فهو باق أبداً لا يزال أو تقول: الله واجب القدم كما تقدم وكل من وجب له القدم استحال عليه العدم.. وهذه القاعدة أقرب[1].

زاد بعضهم اثنين بقوله :

كـذاك كليم الله موسى كما رَوَوا   وحُمَّالُ عـرشي جلـةُ العشـر تُختَـتَمْ

وإنما عدَّ بعضهم سيدنا موسى عليه السلام لأنه قد خرَّ صعقاً في الدنيا لما تجلى الله تعالى للجبل.

(١) الأقسام في هذا ثلاثة: الأول: شيءٌ لا أول له ولا آخر.. وهو ذاتُ الله تعالى وصفاته. الثاني: شيء له أول وآخر.. وهو الدنيا. الثالث: شيء له أول ولا آخر له كالجنة والنار وما فيهما.

أما الجنة والنار وغيرهما مما دلت النصوص الشرعية علىٰ بقائه فليس دليل بقائه عقلياً، وإنما هو شرعي، فهو قابل للفناء عقلاً لا شرعاً والبقاء الواجب عقلاً إنما هو الله وحده.

قوله: (أما الجنة والنار وغيرهما مما دلَّت النصوص الشرعية على بقائه الخ).

هنا ذكر اثنين من المخلوقات التي لا يلحقها الفناء وهما الجنة والنار وجملتها ثمانية كما ذكرنا لكم العرش والكرسي والجنة والنار واللوح والقلم والروح وعجب الذَّنَب! فالجنة والنار وغيرهما من المخلوقات التي تبقى دليلها الشرع وليس العقل أي دلَّ الشرع على بقائها أما بقاء الله تعالى فدليله عقلي وكذلك شرعي، فيجوز عقلاً أن يلحقها الفناء لا شرعاً لأنه ورد في الشرع أن هذه المخلوقات باقية، والإنسان عليه أن يُسخِّر عقله للشرع، فلو لم يَرِدْ ما يدل على بقائها في الشرع.. لجاز أن يلحقها الفناء لكن لما ورد في الشرع بقاؤها استسلمنا للشرع.

ومثل الجائز عقلاً لا شرعاً.. النظر إلى الله تعالى في الدنيا فإنه ممكنٌ عقلاً لأن الله تعالى موجود وكل موجود يُرىٰ، لكن ورد في الشرع أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا فاستسلمنا للشرع مع أنه ممكنٌ عقلاً، وهذا في غير نبينا عليه الصلاة والسلام، أما هو فقد رأىٰ ربه ليلة أُسرِيَ به في زمن الدنيا لكن في مكانٍ غير الدنيا.

والبقاء الواجب عقلاً إنما هو لله وحده وكذلك شرعاً، إلَّا أن الدليل الشرعي إنما يخاطِبُ مَنْ كان مُؤمناً بالله تعالى فإذا سأل غيرُ مؤمنٍ على الدليل فنجيبه بالدليل العقلي.

الدرس الثامن

في الصفة الرابعة، وهي المخالفة، ودليلها

المخالفة للحوادث: هي عدم مشابهته تعالىٰ لها في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، وهي صفة قديمة أزلية، ومن الصفات السلبية.

قوله: (المخالفة للحوادث: هي عدم مشابهته تعالىٰ لها الخ).

الحوادث هي ما سوى الله تعالى، وهي جمع حادث، والحادث هو الذي وجد بعد عدم، وجميع العالم كله حادث كما تقدم وليس أحد قديم إلا الله تعالى وصفاته.

ومعنى المخالفة للحوادث.. أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ولا شيءٌ من مخلوقاته يشبهه قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فهذا معنى المخالفة للحوادث لكن وجوه المخالفة في أشياء كثيرة كما سيأتي وهي عشرة أنواع فليس في صورة فقط، والمماثلة المستحيلة باختصار أن تقول: هي سلب العرَضِيَّة والجرمية ولوازمها عن الله تعالى، فالجرم تقدم معنا: أنه الشيء الذي يقوم بنفسه، والعرَض: الذي لا يقوم بنفسه وإنما بغيره، ولوازم الأعراض: المحَل، بمعنى أن الصفة لا تكون بنفسها هكذا بل لا بد من محل توجد فيه وتقوم به وهو الجرم، ولوازم الجرم: المُخصِّص: أي الذي يخصص وجوده من عدمه.

قوله: (هي عدم مشابهته تعالى لها لا في الذات ولا في الصفات الخ).

أي أن معنى مخالفته للحوادث هي عدم مشابهته بشيء من الحوادث، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لأن الأشياء كلها حادثةٌ والله تعالى قديم، فهل تشبهُ الذاتُ القديمة الذات الحادثة أو تشبه الصفاتُ القديمة الصفاتِ الحادثة؟... لا،[1] وإنما من جهة التسمية لا غير، وهي موافقة الاسم للاسم كالقدرة، فإن للإنسان قدرة وكالإرادة، فإن للإنسان إرادة فهذا

---

(١) وكل ما جاز عليه العدمُ ... عليه قطعاً يستحيل القِدَمُ

من موافقة الاسم، وأما في الحقيقة فإن هذه صفات قديمة وهذه صفات حادثة فلا تشبهها في شيء.

وهذه الصفة قديمة كبقيّة الصفات وهي الصفة الثالثة من الصفات السلبية الخمس.

تنحصر المماثلة المستحيلة للحوادث في عشرة أشياء، وهي:

١- أن يكون جرماً من الأجرام، وقال بعض الفرق: إنه جسم لا كالأجسام ولا يكفرون بهذا الاعتقاد.

٢- وأن يكون عرضاً من الأعراض.

٣- وأن يحويه زمانه.

قوله: (تنحصر المماثلة المستحيلة للحوادث في عشرة أشياء الخ).

ذكرنا أن المماثلة المستحيلة بالاختصار هي سلب العرضية والجرمية ولوازمهما عن الله تعالى، وأما بالبسط فهي ترجع إلى عشرة أنواع كما سيأتي.

قوله: (١- أن يكون جرماً من الأجرام).

الله تعالى ليس بجرم لأننا لو قلنا ذلك فقد شبهناه بالحوادث، لأن الجرم حادث والعالم مركب من أجرام وأعراض كما سبق الكلام عليه، والأعراض عرفنا حدوثها بالتغير، والأجرام ملازمة للأعراض وما لازم الحادث فهو حادث، فإن قلنا أن الله سبحانه وتعالى جرم، فيكون حادثاً وإذا كان حادثاً فهو يحتاج إلى محدث، وبهذا رجعنا لما تقدم في الكلام على دليل القدم.

قوله: (وقال بعض الفرق إنه جسم لا كالأجسام الخ).

المشبهةُ قسمان: قسم يشبهون الله تعالى بمخلوقاته، بأن له يدٌ ورجلٌ وغير ذلك أي مثل بني آدم.. فهؤلاء يكفرون وهم المجسِّمة.

وقسم يتحاشون عن هذا، فيقولون: له وجه لا كالأوجه وله يد لا كالأيدي.. فهؤلاء اختُلف في كفرهم، والمعتمد لا يكفرون بهذا الاعتقاد لأنه قد ورد في القرآن ما يوهم التشبيه، لكن يجب تنزيه الله تعالى عن ذلك.

فقد اتفق العلماء على تأويل ما يوهم التشبيه وصرفه عن ظاهره.

قوله: (٢- أن يكون عرضاً من الأعراض).

الله تعالى ليس بعرَض، لأن العرض يحتاج إلى محل وهي متغيرة وكل متغير حادث والله سبحانه وتعالى ثبت قِدَمُه.

قوله: (٣- وأن يحويه زمان).

الله تعالى لا يحويه زمان.. لماذا؟ لأن الزمان مخلوق وهو موجود من قبل أن يُخلق الزمان والمكان، وهو على ما كان عليه من قبل خلق الزمان والمكان فلا يحويه زمان كالحوادث، وكما قال بعضهم: كان الله ولم يكن شيءٌ قبله.

٤- وأن يضمه مكان.

٥- وأن يكون في جهة من الجهات الست، وزعمت بعض الفرق أنه في جهة العلو، ويقال لهم الجهوية.

٦- وأن تكون له جهة خاصة، كأن يكون له يمين أو شمال.

قوله: (٤- وأن يضمه مكان).

كذلك الله تعالى لا يضمه مكان لأن المكان مخلوق وهو موجود من قبل خلق الزمان والمكان، فهؤلاء الذي يقولون في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] بمعنى أنه مستقر عليه وأن الاستواء بمعنى التمكن والجلوس.. هؤلاء جعلوا له مكاناً يحويه، وهذا تشبيهٌ، ويكفي في الرد على هؤلاء أن تقول لهم: هَلِ العرشُ قديمٌ أو حادث؟ فإن قالوا: قديمٌ.. كفروا، لأنهم أثبتوا القِدَم لغير الله تعالى، وإن قالوا: حادث.. فأين هو من قبل أن يخلق العرش؟ فهل كان يحتاج إلى عرش؟ لا، فهو الآن على ما هو عليه كان، قبل أن يخلق المكان، أي العرش، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ؟

قال: الاستواءُ معلوم -أي معلومٌ معناه في اللغة، والكيفُ.. مجهول، أي فنفوِّض أمره إلى الله تعالى، والإيمان به.. واجبٌ، والسؤال عنهُ.. بدعةٌ[١].

ولما سئل الإمام أحمد عن هذه الآية قال: استوى كما قال، لا كما يخطر بالبال.

ولما سئل الإمام الشافعي عن ذلك قال: آمنتُ بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل.

---

(١) ثم قال رضي الله عنه للسائل.. وما أظنُّك إلا ضالًا، فأمَر به فأُخرج.

قوله: (٥- وأن يكون في جهة من الجهات الست[1]).

الجهات إنما وجدت بعد خلق العالم، والله تعالى على ما كان عليه قبل أن يخلق العالم ولا جهات، فلا نقول: إنه في جهة الفوق أو التحت أو الجنوب أو الشمال، فهو تعالى منزهٌ عن هذا لأن هذا كله مخلوق، ولهذا يُروَىٰ أن أربعةَ أملاكٍ اجتمعوا في مكان فقال الأول: جئتُ من فوق السماء السابعة، وقال الثاني: جئتُ من تحت الأرض السابعة، وقال الثالث: جئتُ من أقصى المشرق، وقال الرابع: جئتُ من أقصى المغرب، وكلهم قالوا جئنا من عند الله جلَّ جلاله.

ومن كلام سيدنا الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: من قال أن الله تعالى من شيء أو في شيء أو على شيء.. فقد أشرك، لأنه لو كان من شيء.. لكان حادثاً، ولو كان في شيء.. لكان محصوراً، ولو كان على شيء.. لكان محمولاً، والله منزهٌ عن هذا كله.

قوله: (وزعمت بعض الفرق أنه في جهة العُلوّ الخ).

الجَهويةُ: هم الذين يقولون بالجهة في حقه سبحانه وتعالى، ومعتقِدُ الجهةِ لا يكفر، وبعضهم يقول: إنَّ من اعتقد جهة العلو لا يكفر لما فيها من الشرف والرفعة، ومن اعتقد جهة السُّفل.. كفر لأن فيها دناءةً وخسة.

قوله: (٦- وأن تكون له جهة خاصة الخ).

---

(١) قال الحبيب عبدالله بن علوي الحداد: إذا أردت أن تنفي الجهة في حقه تعالى وتعلم أنه غير محتاج لجهة.. فأثبت حدوث العالم، فإذا ثبت فلا خفاء في ذلك، فإنه كان قبل وجود الموجودات وأين يكون عند قيام الساعة وعندما يطوي السماوات والأرض بيمينه فيُعدمها.. فيُعلم غناه عن الجهة فأين كان قبل ذلك وبعده؟.

ومن كلام القطب الرباني أبي بكر بن عبدالله العيدروس رضي الله عنه في التوحيد في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] قال: فعلم أن لا جهة ثمَّ، لأن القائم أقرب إلى السماء من الساجد.. جلَّ الله عن الأوهام وتعالى عن إحاطة العقول والأفهام، وقال رضي الله عنه في حديث: «لا تفضلوني على يونس بن متّى» لأنه صلى الله عليه وسلم رقي إلى العرش والكرسي ويونس هبط إلى أسفل الأرضين وكانا سواءً في القرب بين يدي الله تعالى اهـ (بهجة الطالبين)

كذلك الله منزهٌ عن أن تكون له جهة خاصة كاليمين أو الشمال فلا يكون ذلك في حقه تعالى، لأن هذا من صفات المخلوقين.

٧- وأن يوصف بالكِبَرِ: أي كثرة الأجزاء.

٨- وأن يوصف بالصغر: أي قلتها.

٩- وأن يكون محلاً للحوادث.

١٠- وأن توصف أفعاله بالأغْراض، وإن كانت لحكمة تنزه الله عن ذلك كله

وإذا حدثتك نفسك عن ذات الله، فقل: لا يعرف الله إلا الله، ومشابهته لشيء مخلوق مستحيلة عقلاً فلا مجال للوسوسة.

قوله: (٧- وأن يوصف بالكبر أي كثرة الأجزاء).

لا يوصَفُ الله تعالى بالكِبَرِ أي كثرة الأجزاء فالشيء إذا كان مركباً من جزء وجزء وجزء مثلاً.. يصير كبيراً والله تعالى مُنَزَّهٌ عن هذا، نعم الله تعالى أكبر من كل شيء أي: كِبَرُ عظمةٍ وقدرٍ وجلالٍ، لا كِبَرَ جسمٍ لأنه تعالى ليس بجسم.

قوله: (٨- وأن يوصف بالصِغَر.. الخ).

الشيء إذا قلَّت أجزاءه يصير صغيراً والله تعالى منزه عن هذا، لأنه ليس بجرم وإنما هذا من أوصاف الجرم [1].

قوله: (٩- وأن يكون محلًا للحوادث).

الله منزهٌ عن أن يكون محلاً للحوادث، لأن الحوادثَ لا بد لها من محل تستقر فيه والله منزهٌ عن هذا، فليس هو محل للحوادث وليست الحوادث حالة به، نعم صفاته حالة بذاته تعالى أي: قائمة به تعالى فليست عين الذات ولا خارجة عنها لأن المعتزلة

---

(١) قال ابن حنبل:

وليس معنى النفي للتركيبِ	عن ذاتِ ذا المهيمن الرقيبِ
أن الإله جُزءٌ لا يقبلُ	تجزُّءاً إذْ ذاك ليس يُعقَلُ
بلِ المرادُ أن خالِقَ البَشَرْ	لا يقبلُ الكِبَرَ كلّا والصِّغَرِ
إذْ ذاك من عوارِضِ الجزميَّةْ	عن ذا تعالتْ ذاتُهُ العليَّة

(بهجة الطالبين)

نفَوا صفات المعاني وقالوا إن الله تعالى يتكلم بذاته ليس بكلام وإنه يعلم بذاته ليس بعلم، أما أهل السنة فقالوا: إن الله تعالى يتلكم بكلام ويسمع بسمع ويبصر. ببصر. إلا أن هذه الصفات ليست خارجة عن الذات وليست عين الذات بل قائمة بذاته تعالى لأننا لو قلنا: إنها ليست عين الذات.. للزم تعدد القدماء، ولو قلنا أنها عين الذات للزم اتحاد الصفة بالموصوف، فنقول: أنها صفة قائمة بذاته تعالى لا هي عين الذات ولا هي خارجة عن الذات فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قوله: (١٠- وأن توصف أفعاله بالأغراض الخ).

أفعال الله تعالى لا تُعَلَّل فلا يفعل شيئاً لغرض أي لعلة من العلل ولهذا قال صاحب الزبد:

خلقَـــــهُ لا لاحتياجِـــــهِ الإلهْ

فالله خلق العالم وهو غير محتاج إليه وخلق العباد وهو غير محتاج لعبادتهم وإن كان ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] أن تلك العبادة عِلّةٌ، بمعنى أن الله تعالى خلق الجن والإنس ليعبدوه.. لا، فاللام هنا ليست لام التعليل، وإنما لام الصيرورة، فهو خلقهم لغير علة لكن صار في العاقبة أنهم يعبدونه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨] ففرعون لما التقط سيدنا موسى عليه السلام، هل التقطه ليكون عدواً وحزناً له؟ لا، بل التقطه ليكون له قرةَ عين، كما قالت امرأته: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩] فاللام لام الصيرورة لا لام التعليل، لكن صار في العاقبة عدواً له.

نعم جميع ما يخلقه تعالى.. يكون لحكمة فلا يخلق شيئاً عبثاً كما قال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

وأما الذي يفعل الشيء لغرض.. فهذا هو الحادث، فالإنسانُ مثلاً يطلب العلم ليكون عالماً، وهكذا، ففَرْقٌ بين الغَرَضِ والحكمةِ.

وكلُّ شيءٍ له أربعُ عِلَلٍ فهذا الكتاب مثلاً له هذه الأربع العلل:

١ - العلة الصورية.. وهي طوله كذا وعرضه كذا.

٢ - العلة المـاديَّة.. وهي كونه من ورق وجلد وحبر.

٣- العلة الغرضية[1].. وهي المقصود من هذا الكتاب وهي القراءة والتعلم.

٤ - العلة الفاعلية.. وهي من ألفه وطبعه وصنعه.

وهذا البساط له الأربع العلل

١ - الصورية.. طوله وعرضه.

٢ - والمـادية.. أنه من الصوف والألوان.

٣- والغرضية.. أنه صنع لأجل الجلوس عليه.

٤ - والفاعلية.. من قام بصنعه، وهكذا كل شيء له هذه الأربع العلل، والله تعالى أفعاله لا تعلل بشيء من هذه العلل وإنما يخلق الشيء لحكمة قد نعرفها وتظهر لنا وقد لا نهتدي لمعرفة ذلك، حتى في بعض عبارات الفقهاء يقولون: الحكمة منها تعبديّة أي لا يعقل معناها.

قوله: (وإذا حدثتك نفسك عن ذات الله[2] الخ).

أي إذا خطر لك شيء من ذلك فقل لا يعرفُ اللهَ إلا اللهُ، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

(١) ويقال لها: الغائية.. وهي الباعثة على المقصود والغاية.

(٢) (فائدة): سئل بعض العلماء عن الله تعالى فقال: إن سألت عن أسمائه؟ فقد قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وإن سألت عن أقواله؟ فقد قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وإن سألت عن أفعاله؟ فقد قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وإن سألت عن ذاته؟ فقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. اهـ (هداية الطالبين)

[الشورى: ١١] ومن كلام الإمام الحداد رضي الله عنه: إذا أردت أن تنفي الجهة عن الله تعالى أي أنه ليس في جهة من الجهات.. فأثبت حدوث العالم، فإذا ثبت حدوث العالم.. فأين كان هو قبل خلق العالم؟ فالله الآن على ما كان عليه، لأن الجهات إنما خُلِقت بعد خلق العالَم، والعالم حادثٌ وهذا ثابت، وقبل خلق العالَم لا جهةَ فاللهُ تعالى على ما كان عليه[1] فمشابهته تعالى لشيءٍ مخلوقٍ.. مستحيلةٌ عقلاً، ولا مجال للوسوسة، لأنه قد يأتي الشيطان ويوسوس للإنسان كما في الحديث: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق السماء ومن خلق الأرض فيقول الله فيقول من خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله ورسله» وفي رواية: «فليقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن» وفي رواية: فليقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي حتى تنتفي تلك الوسوسة.

(١) معتقِد الجهة لا يكفر كما قاله العز بن عبد السلام وقيَّده النووي بكونه من العامَّة، وابنُ أبي جمرة بكونه يعسر عليه فهمُ نفيها وقال بعضهم: إن اعتقد جهة العلو لا يكفر لأن فيها شرفاً ورفعة في الجملة وإن اعتقد جهة السفل كفر لأن فيها خسة ودناءةً كما ذكر ذلك العلامة القباني اهـ (فتح العلام)

الدليل العقلي على المخالفة للحوادث: أن نقول: لو لم يكن ربنا جل وعلا مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها. ولو كان مماثلاً لها لكان حادثاً مثلها، إذ ما صدق على أحد المثلين يصدق على الآخر، كيف وقد ثبت قدمه عقلاً.

قوله: (الدليل العقلي على المخالفة للحوادث الخ).

الدليل العقلي على مخالفته تعالى للحوادث أنه لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها، ولو كان مماثلاً لها لكان حادثاً مثلها، لأن ما ثبت للشيء.. يثبت لمماثله، فلو كان الله تعالى مماثلاً للحوادث لكان حادثاً، وكيف يكون ذلك وقد ثبت قدمه جل وعلا عقلاً كما تقدم معنا؟ فلهذا يجب مخالفته للحوادث، فكل ما خطر ببالك فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك.

النصوص التي توهم التشبيه مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح: ١٠]، وقول الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا»، وغير ذلك من النصوص الكثيرة، فيها مذهبان: مذهب السلف ومذهب الخلف:

١- فمذهب السلف فيها: التسليم، وتفويض أمرها إلى الله مع تنزيهه الكامل عما لا يليق به. ٢-ومذهب الخلف: تأويلها تأويلاً متمشياً مع اللغة، فيقولون في قوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، أي استولىٰ و﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٠] أي قوته و«ينزل ربنا» أي أمره، وهكذا.

قال بعضهم: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم، والله أعلم.

قوله: (النصوص التي توهم التشبيه الخ).

أي: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توهم التشبيه.. ما الجواب عنها؟

وهي كثيرة كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] [طه: ٥] لأن الاستواء معناه

---

(١) سأل الزمخشري الإمام الغزالي عن هذه الآية فأجاب.. إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفيةٍ أو أينيّةٍ.. فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأينٍ أو كيف وهو مقدَّسٌ عن ذلك، ثم جعل يقول:

قـل لمـن يفهَـمُ عنـي مـا أقـولْ ... قَصُـرَ القـولُ فـذا شرحٌ يطـولْ

ثُـمَّ سِرٌّ غـامِضٌ مِـنْ دونـهِ ... قَصُـرتْ واللهِ أعنـاقُ الفحـولْ

أنـتَ لا تعـرف إيـاك ولا ... تـدْرِ مـن أنـتَ ولا كيـفَ الوصـولْ

لا ولا تـدري صـفاتٍ ركِّبَـتْ ... فيـك حـارتْ في خفاياهـا العقـولْ

أيـن منـك الـروحُ في جوهرهـا ... هـل تراهـا فـترى كيـف تجـولْ؟

وكـذا الأنفـاسَ هـل تحصُـرُها ... لا، ولا تـدري متـى عنـك تـزولْ؟

أيـن منـك العقـلُ والفهـمُ إذا ... غلـبَ النـومُ؟ فقـل لي يـا جهـولْ

أنـت أكْـلُ الخبـزِ لا تعرفُـهُ ... كيـف يجـري منـك، أم كيـف تبـولْ؟

فـإذا كانـت طويـاك التـي ... بـين جنبيـك كـذا فيهـا ضـلولْ

كيف تدري من على العرش استوىٰ؟ ... لا تقل: كيف استوى؟ كيف النزولْ؟

الاستقرار والجلوس وهذا من صفات الحوادث، فيجب تنزيهُ الله تعالى عنه بتأويل هذه الآية وصرف المعنى الظاهر الذي هو الجلوس والاستقرار إلى معنى يليق به تعالى فما هو الذي حملنا على التأويل وجعلَنا لم نأخذ بالمعنى الظاهر.؟

الجواب.. أننا إذا حملناه على ظاهره ولم نؤوله.. وقعنا في التشبيه، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فلوجود هذا الدليل الآخر.. أوّلناهُ، فلو لم يوجد هذا الدليل الآخر.. لحملنا المعنى على ظاهره، كما هو مقررٌ إذا كان شيءٌ يحتمل الحقيقة ويحتمل المجاز، ولا توجد هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.. فنحمله على الحقيقة، فإذا قال شخص: رأيتُ أسداً فنحمل ذلك على معناه الحقيقي، وهو الأسد المفترس، فإذا قال: أنا لم أقصد هذا وإنما قصدت الرجل الشجاع.. فلا نقبل منه ذلك لعدم وجود قرينة مانعة، بخلاف ما إذا قال: رأيت أسداً يخطب على المنبر فيقبل منه.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وُجدت قرينة أخرى تصرفه عن معناه الظاهر، وهي قولُه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] فمعنى استوىٰ أي استولى، وهذا سائغٌ في المعنى اللغوي كما يقول الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ ... من غير سيفٍ ودمٍ مِهْراقِ

فالاستواء هنا بمعنى الاستيلاء والظهور.

كيف يحكي الربُّ أم كيف يُرىٰ؟ ... فلعمري ليس ذا إلا فُضولْ

فهو لا أين ولا كيف لَهُ ... وهو ربُّ الكيف، والكيفُ يحولْ

وهو فوق الفوقِ لا فوق لَهُ ... وهو في كلِّ النواحي لا يزولْ

جلَّ ذاتاً وصفاتاً وسما ... وتعالىٰ قدرُهُ عما نقولْ

وكما في قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] فليس المراد بالفوقية في هذه الآية أن فرعون بَرَكَ أو جلس فوق رؤوسهم.. لا، وإنما معنى ذلك أننا غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا.

فهو استواء يليق بجلاله وقدس كماله، على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، كما قال الإمام أحمد لما سئل عن الاستواء: استوى كما قال، لا كما يخطر بالبال، وكما قال الإمام الشافعي: آمنت بلا تشبيه وصدَّقتُ بلا تمثيلْ.

وفي قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ما يوهم التشبيه، فيجب صرف ذلك عن معناه الظاهر وهي اليد الجارحة.

وقد يعبِّر اللهُ تعالى باليد كما هنا وقد يعبِّر باليدين كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقد يعبر بالجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] فهذا كله يدل على أنه ليس المراد.. اليد الجارحة، وإنما المراد باليد.. أي: القوة، وقد تُفَسَّر بالقدرة.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربُّنا كل ليلة إلى السماء الدنيا» ليس المراد النزول الحقيقي، لأن النزول والصعود والمجيء والذهاب من صفات الحوادث، والله تعالى منزَّهٌ عن ذلك، فالمراد نزول أمره، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن» فمعناه بين صفتين من صفاته، وهما القدرة والإرادة وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] أي رعايتي وحفظي، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] أي ذاته، وكل هذا الذي يوهم التشبيه فيه مذهبان.. مذهب السلف، ومذهب الخلف والمراد بالسلف.. المتقدمون من أهل القرون الثلاثة الأُوَل والمراد بالخلف.. مَنْ بعدَهم.

ومذهب السلف التسليم.. ويقال له: مذهب أهل التفويض والتسليم أي: يفوِّضون معناه، ويقولون: اللهُ أعلَمُ بمرادِه في ذلك ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فلا يعيِّنون وجه التأويل مع تنزيهه تعالى عما لا يليق به أي: مع اعتقادهم أن معناه الظاهر غيرُ مُراد، فهذا مذهب السلف وهو أسلَم، وأما مذهب الخلف والمراد بهم العلماء المتبحِّرون في هذا الفن فيؤوِّلون ذلك تأويلاً متمشّياً مع اللغة على حسب ما يليق بجلاله وقدس وكماله تعالى، فيقولون في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي استولى، وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٠] أي قوته أو قدرته كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أي بقدرتي، وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] أي كناية عن الحفظ والرعاية، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] أي ذاته، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ينزل ربنا كل ليلة» أي ينزل أمره وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي جاء أمره أو ملائكته وهكذا، ويسمى هذا مذهب أهل التأويل، بل ورد التأويل أيضاً عن السلف، ومن ذلك ما يُروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] قال: النور العظيم، فهذا تأويل واردٌ عن السلف أيضاً، فالمراد بالسلف أي معظمهم، والتأويل الذي هو مذهب الخلف أحكم[1]، ومذهب السلف.. أسلم، قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

وكُن في أحاديث الصِّفات وآيِها على مَذهبِ الأسلافِ حيثُ السلامةِ

أي أسلم لك أن تفوِّضَ معناه إلى الله، وتقول: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله.

---

(١) في آخر حكم سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه: يا من استوىٰ برحمانيته على عرشه، فصار العرش غيباً في رحمانيته كما صارت العوالم غيباً في عرشه. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

الدرس التاسع

في الكلام على رؤية الله، وفي الصفة الخامسة وهي القيام بالنفس ودليلها

رؤية الله تعالىٰ في الآخرة: موضع خلاف بين المعتزلة، وأهل السنة.

فالأولون نفوها قائلين: لو كان الله مرئياً لكان مقابلاً للرائي بالضرورة، ولو كان مقابلاً للرائي للزم أنه في جهة وحيز، وهذا ممنوع.

وأجاب أهل السنة، فقالوا: إن قولكم: (لكان مقابلاً للرائي بالضرورة) ممنوع، فلزوم الجهة والحيز ممنوع إذ الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيها مقابلة الرائي وإنه في جهة. غاية الأمر أن هذه لازمة عادة لا عقلاً.

فالرؤية جائزة عقلاً عند أهل السنة من غير كيف، وممتنعة عقلاً عند المعتزلة، ولكل أدلة من الكتاب والسنة لتأييد مذهبهم لا يتسع لها نطاق هذه الدروس.

قوله: (رؤية الله تعالى في الآخرة موضع خلاف الخ).

المؤمنون في الجنة يرون ربهم والأدلة في ذلك كثيرة من القرآن والسنة كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] جاء تفسيرها في الحديث بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته» قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

وأكبرُ من هذا رضا الربِّ عنهُمُ ... ورؤيتهم إياهُ من غير حاجبِ

والمعتزلة نفوا الرؤية وأوّلوا هذه الآيات وتمسَّكوا بقوله تعالى لنبيه موسى عليه السلام ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقالوا: إنَّ ﴿لَن﴾ للتأبيد، أي لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأجاب أهل السنة: أن ﴿لَن﴾ لا تفيد التأبيد على الإطلاق، فقد تفيده وقد

لا تفيده بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠] فلو كانت تفيد التأبيد.. فما فائدة قوله: ﴿أَبَدًا﴾؟

وقوله تعالى حكاية عن سيدتنا مريم: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] فلو كانت تفيد التأبيد لما قيدت عدم الكلام باليوم!! فدل على أنها لا تفيد التأبيد، بل إنَّ طلبَ نبيِّ الله موسىٰ للرؤية.. يدل على جواز رؤية الباري عقلاً في الدنيا.. لماذا؟ لأنه لو كان ذلك الشيء مستحيلاً لما طلبه نبي الله موسىٰ، فطلبه للرؤية يدل على جوازها لأنه لا يجوز لنبيٍّ أن يجهل ما يستحيل في حق الله تعالى، بل لا يجوز ذلك للمؤمن العادي فكيف بنبيٍّ مُكَلَّم[1]، وغاية ذلك أنه طلب الرؤية فلم يُعطَها، فهذا دليلٌ في الرد عليهم وليس دليلاً لهم يحتجُّون به.

فرؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً لكنها ممنوعة شرعاً، لقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] وإنما كانت جائزة عقلاً لأن الله تعالى موجود وكل موجودٍ يُرىٰ.

ومما يدل على جوازها أيضاً أن الله تعالى علَّق الرؤية على استقرار الجبل، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] واستقرار الجبل جائز، وما عُلِّق على جائز.. فهو جائز، ولكن الجبل أندكَّ ولم يستقر.

---

(١) ولهذا أنشد الزمخشري في الكشاف يهجو أهل السنة لقولهم بجواز الرؤية وقال:

لجماعةٍ سَمَّوا هواهم سُنَّةً ... وجماعةٌ حُمُرٌ لَعَمْرِي موكَفةْ

قد شبَّهوهُ بخلقه فتخوَّفوا ... شُنْعَ الورى فتستَّروا بالبَلْكَفَةْ

فَرَدَّ عليه بعض أهل السنة بقوله:

شبَّهت جهلاً صدرَ أمةِ أحمدٍ ... وذوي البصائر بالحمير الموكَفةْ

وجَبَ الخسارُ عليك فانظر منصفاً ... في آية الأعرافِ فهي المنصفةْ

أتُرىٰ الكليمُ أتى بجهلٍ ما أتىٰ؟ ... وأتىٰ شيوخُكَ ما أتوا عن معرفَةْ

إن الوجوه إليه ناظرةٌ بذا ... جاءَ الكتابُ فقُلتُمُ هذا سَفَهْ

نطقَ الكتابُ وأنت تنطق بالهوىٰ ... فهوَىٰ الهوىٰ بك في المهاوي المُتلِفَةْ

ومعنى البلكفة: أي بلا كيف اهـ. (الباجوري على الجوهرة)

فرؤيته تعالى عقلاً جائزة في الدنيا والآخرة وأما شرعاً فهي ممنوعة في الدنيا جائزة وواقعة في الآخرة.

وكذلك احتج المعتزلة لعدم رؤيته تعالى في الآخرة بأنه تعالى لو كان مرئياً لكان مقابلاً للرائي بالضرورة، لأن الإنسانَ لا يرى الإنسانَ إلا إذا كان مقابلاً له، ولو كان مقابلاً للرائي للزم أنه في حيِّز على قولهم، والله تعالى منزَّهٌ عن الجهات؟ فأجاب أهل السنة عن ذلك بقولهم: إن قولكم (لكان مقابلاً للرائي بالضرورة).. ممنوع، أي غير مقبول!! لأن قولكم إنما هو من جهة العادة، لأن الرؤيةَ معنىً يخلقه تعالى في قلب من يريد أن يكرمه برؤيته من غير انحصار ولا إحاطة ولا جهة من الجهات، فلا يلزم منه أن يكون في جهة وغير ذلك [1] قال سيدنا الحداد رضي الله عنه:

وتنظـــرهُ بـــالعين وهْـــوَ مُقَـــدَّسٌ عـن الأيـن والتكييـف والحـدِّ والحصـرِ

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم «إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يديَّ»[2] وفي رواية: «إني أراكم من أمامي ومن خلفي» حين نهاهم أن يسبقوه بالركوع والسجود إذا كان يؤمهم وأن ينصرفوا قبل انصرافه من الصلاة[3].

أي: أطلعه الله على ذلك وأراه إياهم وليس من باب الكشف وعليه.. فلا يلزم مقابلة الرائي، وبعضهم يقول أنه كانت له عينان صغيرتان خلفه يرى بهما.

ذكر مختار بن محمد الحنفي في رسالته أنه عليه الصلاة كان بين كتفيه عينان مثل سَمِّ الخياط يبصر منهما ولا تحجبهما الثياب؛

---

(١) قال سيدنا الإمام الحسن بن صالح البحر رضي الله عنه: إن رؤية الحق سبحانه وتعالى إنما هي بالقلب والسر كما يتراءى لكل واحدٍ منهم على انفراده وليست كرؤية المخلوقين، لأنه جلَّت قدرته منزَّهٌ عن ذلك، وفي الجنة يتراءى لهم في تصريفات نعمه ومظاهر آياته وصفاته، لأنه لو احتجب عنهم.. لما وجدوا لذة النعيم، هذا في عموم أهل الجنة، وأما الخصوص.. فتجليه لهم تجلٍّ خاص لأنه يخطبهم إلى رؤيته ومعاني ذلك كثيرة ولا يليق الخوض فيها. اهـ (بهجة الطالبين)

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد في مسنده.

وذكر الإمام النووي رحمه الله في قوله عليه الصلاة والسلام: «إني والله لأُبصِرُ من ورائي كما أُبْصِر من بين يدي..»، قال العلماء: إن الله خلق له صلى الله عليه وسلم إدراكاً في قضاء يُبصِرُ به من ورائه، وقد انخرقت العادة له بأكثر من هذا، وقال القاضي عياض: قال أحمد بن حنبل وجمهور العلماء: إن هذه الرؤية.. رؤية عينٍ حقيقةً. (اهـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى)

أما كون الرائي يقابل مَنْ يراه.. فهذا من جهة العادة لا من جهة العقل، وقياسهم هذا فاسد لأنه قياسٌ للخالق بمخلوق أي: قاسُوه على أنفسهم والله تعالى ليس كمثله شيء وتقدم أن الحكم العادي يجوز أن يتخلف إما معجزةً لنبي أو كرامةً لولي، وهذه كرامةٌ أكرمهم الله تعالى بها، وأيضاً هذا من باب ربط الأسباب بمسبباتها، فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبَّب لأن الملازمة عادية، فالنار قد توجد بدون إحراق، وقد يوجد السكين ولا يوجد القطع كما حصل في قصتي سيدنا إبراهيم المتقدمتين، والذي لا يجوز أن يتخلف هو الحكم العقلي ولهذا قال الشاعر[1]:

يـــراه المؤمنـــون بغـــير كيـــفٍ ... وإدراكٍ وضربٍ مـــــن مثـــــالِ

فينســـــون النعـــــيم إذا رأوْه ... فيـــا خســـران أهـــلِ الاعتـــزالِ

---

(١) هو الإمام علي بن عثمان الفرغاني رحمه الله في "بدء الأمالي". اهـ (بهجة الطالبين)

أما رؤيته تعالىٰ فلم تقع يقظة إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علىٰ قول ابن عباس، ونفتها السيدة عائشة، وأما غير سيدنا محمد فلم تصح له قطعاً، بل ذهب بعضهم إلىٰ تكفير من زعمها في اليقظة، وأما رؤيته تعالىٰ في المنام فقال بعض العلماء منهم: تقع لمحمد وعيسىٰ من الأنبياء والأولياء، وقال غيره: لا يصح ذلك.

قوله: (أما رؤيته تعالى في الدنيا فلم تقع يقظة إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخ).

كثير من الأولياء يرون ربهم في المنام، وبعضهم قال: لا يصح ذلك، وأما رؤيته تعالى في اليقظة فلم تقع إلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه رأى ربه بعينَي رأسه ورؤيته صلى الله عليه وسلم لربه وقعت في وقت الدنيا لكن فوق السماوات السبع أي في مكان غير الدنيا وذلك ليلة الإسراء والمعراج، وهذا قول ابن عباس بل هو قول الجمهور، والذي أنكر ذلك إنما هي سيدتنا عائشة، واستدلت بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ورُدَّ بأن هذا ليس بدليل لأن المنفي هنا هو الإدراك بمعنى الإحاطة، والله تعالى لا يدركه أحد، أي لا يحيط به أحد، فالخلاف إنما هو في الرؤية لا في الإدراك فاستدلالها بهذه الآية غير صحيح[1].

---

(١) **(فائدة)**: المنفي في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] شيئان الأول: رؤية الأبصار في الدنيا. الثاني: الإدراك بمعنى الإحاطة في الدنيا والآخرة ونظم بعضهم معنى ذلك أيضاً بقوله:

ولا يحيطُ عالمٌ بذاتِهِ ... علماً كما قال، ولا صفاتِهِ

ولو رآه خلقُهُ تعالى ... لأكثروا الإعظام والإجلالا

فدَلَّ ذاكَ أنَّه على صفةْ ... من الكمال لم تنَلْهُ معرِفَةْ

غايةُ علم العلما ومنتهى ... إدراكِ أصحابِ العقولِ إنما

أن يعلموا أن لهذا الخلقِ ... مخترِعاً أوجَدَهُ بالحقِ

مُتَّصفاً بصفةِ الكمالِ ... مُنزَّهاً عن ضِدِّها المحال

(بهجة الطالبين)

وأما غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. فلم تصح له قطعاً[1]، واختلفوا إذا ادّعىٰ إنسانٌ رؤيته تعالى يقظةً في الدنيا.. فبعضهم قال: يكفر بذلك، لقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وخبر: «إنكم لن ترون ربكم حتىٰ تموتوا» نسأل الله أن لا يحرمنا النظر إلى وجهه الكريم، وأن يجعلنا من أهل الوجوه الناضرة التي هي إلى ربها ناظرة.

(١) قال سيدنا الحبيب عبدالله بن محسن العطاس رضي الله عنه: أبصار أهل الدنيا لكونها محدودة.. لا تقدر على رؤية الله تعالى، ولا حتى على أمور البرزخ!! لضعف البصر الدنيوي، وأما في الآخرة فتقوى أبصارهم ويمدهم الله بقوة فيها حتى يقدروا على رؤيته سبحانه وتعالى. اهـ (بجهة الطالبين)

معنىٰ قيامه بنفسه: عدم احتياجه إلىٰ محل، أي ذات يقوم بها وعدم احتياجه إلىٰ مخصص وجوده علىٰ عدمه، وهو صفة قديمة أزلية ومن الصفات السلبية أيضاً.

قوله: (معنىٰ قيامه بنفسه عدم احتياجه إلى محل الخ).

القيام بالنفس صفةٌ من الصفات السلبية الخمس لأنها سلبت عن الله تعالى نقائص لا تليق بجلال الله وقدسِ وكماله، وما معنىٰ قيامه بنفسه؟ أي عدم احتياجه وافتقاره إلى مَحَلٍّ ولا إلى مخصص قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

والمراد بالمَحَلِّ أي ذات يقوم بها، لأن الصفة لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بالجرم، والله تعالى لا يحتاج إلى محل، أي ذات يقوم بها، لأن الذي يحتاج إلى ذات يقوم بها إنما هي الصفة، وكونه تعالى صفة محال لاتصافه تعالى بالصفات الوجودية كالقدرة والإرادة ونحوهما[1].

والمراد بالمخصص: أي مَنْ يخصص وجوده على عدمه لأن الأصل في الأشياء العدم والله سبحانه هو الذي أوجد الأشياء كلها من العدم فكيف يحتاج إلى مخصص؟ وهذه الصفة من الصفات السلبية وهي صفةٌ قديمةٌ أزلية.

---

(١) لأن الصفة لا تتصف بصفة لما يلزم على ذلك من قيام المعنىٰ بالمعنىٰ كقيام القدرة بالبياض.. وهو باطل. اهـ (فتح العلام)

الدليل العقلي علىٰ قيامه بنفسه: أن تقول في دليل القسم الأول، وهو أنه لا يفتقر إلى محل أي ذات يقوم بها لو لم يكن مستغنياً عن المحل لاحتاج إلىٰ محل يقوم به وهذا محال، لأنه لو احتاج إلى محل يقوم به لكان صفة وكونه صفة محال أيضاً، لأنه لو كان صفة لما اتصف بصفات المعاني، لأن الصفة لا تقوم بالصفة بل بالذات.

ودليل القسم الثاني، وهو أنه تعالىٰ غير مفتقر إلى مخصص: أنه لو لم يكن تعالىٰ قائماً بنفسه مستغنياً عن مخصص يخصص وجوده على عدمه، لاحتاج إلى مخصص، ولو احتاج إلى مخصص لكان حادثاً، كيف وقد سبق ثبوت قدمه واستحالة عدمه؟.

قوله: (الدليل العقلي على قيامه بنفسه أن تقول في دليل القسم الأول الخ).

الأشياء من ناحية الاحتياج إلى مَحَلٍّ أو مخصص.. أربعة أقسام: القسم الأول: ذات الله تعالى.. وهي لا تحتاج إلى محل ولا إلى مخصص فلا يحتاج سبحانه إلى محل يقوم به، لأنه ليس صفة ولا يحتاج إلى مخصص يوجده من العدم لأنه هو الموجد لكل شيء.

القسم الثاني: صفات الله تعالى لها محل يقوم بها أي تستقر فيه لأنها قائمة بذاته تعالى، ولكن لا نقول أنها تفتقر أو تحتاج إلى محل.. أدباً، فالقدرة مثلاً نقول: هي صفة قديمة قائمةٌ به تعالى فلها إذاً محل لكنها لا تحتاج إلى مخصِّص لأنها صفة قديمة مثل ذات الله تعالى.

القسم الثالث: ذاتنا نحن المخلوقون، قبل إيجادنا نحتاج إلى مخصص يوجدنا من العدم ولا نحتاج إلى محل.

القسم الرابع: صفاتنا وهي تحتاج إلى مخصص وتحتاج إلى محل، فهذه أربعة أقسام[1].

---

(١) الأشياء بالنسبة إلى المحل والمخصص على أربعة أقسام نظمها بعضهم بقوله:

ذاتُ المهيمنِ إلى المحِلُّ لا تحتاج لا، ولا مُخَصِّصٍ تلا

والدليل العقلي على قيامه بنفسه أن تقول في القسم الأول أنه لا يفتقر إلى محل أي ذات يقوم بها.. لماذا؟ لأنه لو لم يكن مستغنياً عن المحل لاحتاج إلى محل يقوم به وهذا محال، ولو قلنا أنه محتاج إلى محل يقوم به.. فيكون صفة، وهذا محالٌ أيضاً لأن الذي يحتاج إلى محل.. هو الصفة، ولو كان صفة.. لم يصح اتصافه بالصفات، لأن الصفة لا تتصف بصفة، أي لا تقوم بها بل بالذات، وقد ثبت اتصاف الله تعالى بصفات المعاني وغير ذلك، فهذا دليل القسم الأول.

ودليل القسم الثاني: أن تقول أنه تعالى لا يحتاج إلى مخصِّص لماذا؟ لأنه لو لم يكن قائماً بنفسه مستغنياً عن مخصص، أي يخصص وجوده على عدمه.. لاحتاج إلى مخصص ولو احتاج إلى مخصص لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث وهكذا رجعنا إلى دليل القدم كما تقدم، ويلزم من ذلك! إما الدور أو التسلسل إلى ما لا نهاية وهذا محال، لثبوت قدمه واستحالة عدمه كما سبق، فهذا دليل القسم الثاني.

أما صفاته ففي مِحِلِّهِ وعن سبيل الافتقارِ نَزِّهِ

والجِزمُ يحتاجُ لثاني ذينِ أما صفاته فللأمرينِ

قوله لثاني ذينِ: أي المخصِّص والمعنى أن أجرامنا قبل إيجادها تحتاج إلى مخصص. اهـ (بهجة الطالبين)

الدرس العاشر

في الوحدانية ودليلها

الوحدانية: الوحدانية سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال وهي صفة قديمة تدل علىٰ نفي الكموم الخمسة، والكموم جمع كم، والمراد بالكم العدد والكمية، وإليك هذه الكموم:

١-الكم المتصل في الذات: ومعناه تركب ذاته العلية من أجزاء.

٢-الكم المنفصل في الذات: أي أن تكون ذات تماثل ذاته العلية.

٣-الكم المتصل في الصفات: أي أن تكون له صفتان من نوع واحد.

٤-الكم المنفصل في الصفات: أي أن تكون لغيره صفة تماثل صفته.

٥-الكم المنفصل في الأفعال: أي أن يكون لغيره فعل مثل فعله.

أما الكم المتصل في الأفعال فهو ثابت لا معنىٰ لنفيه، فتتعدد أفعاله تعالىٰ من الخلق والرزق وغير ذلك.. هذا هو معنىٰ القدر عند الأشاعرة كما سيأتي في الدرس الثالث عشر.

قوله: (الوحدانية سلب التعدُّد في الذات والصفات الخ).

الكلام على آخر صفة من الصفات السلبية، وهي الوحدانية، ومعناها: سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.

والوحدانية صفة قديمة تدل على سلب الكموم الخمسة كما سيأتي، والكموم: جمع كَمّ، والسلب معناه: النفي، والكم معناه: العدد والكمية.

ففي الذات نفي الكم المتصل والمنفصل، وفي الصفات نفي الكم المتصل والمنفصل أيضاً، وفي الأفعال نفي الكم المنفصل فقط.

أما الكم المتصل بالأفعال فهو ثابت لأن أفعال الله تعالى متعددة.

فالكم المتصل في الذات.. معناه تركُّب ذاته العلية من أجزاء، ونفي ذلك أن تقول: ذاتُ الله تعالى غيرُ متركبةٍ من أجزاء، لماذا؟ لأنها لو كانت متركبة من أجزاء.. فالألوهية إن قلنا أنها تتعلق بجميع الأجزاء.. لزم من ذلك تعدد القدماء، والقديم لا يكون إلَّا واحداً، وإن قلنا أنها تتعلق بجزء منها أي من هذه الأجزاء.. لزم التخصيص من غير مخصِّص، وهذا يؤدي إلى الاستحالة لما فيه من الجمع بين الضدين، فيقال: لماذا خصص هذا الجزء دون بقية الأجزاء لأنه لا بد أن تكون الأجزاء متساوية فليست ذاته مركبة من أجزاء ولا تكون ذات الله تعالى إلا واحدة[1]

والكم المنفصل في الذات.. معناه أن تكون ذاتٌ تماثل ذاته العلية، فتقول في نفي ذلك: ليس هناك ذات قديمة، أي إله غير الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١][2]

---

(١) هذه الأبيات لابن حنبل في معنى وحدانية الذات:

وواحدٌ في الذات من حاز العُلا ... أي: أنه غير مُرَكَّبٍ علا

إِذْ لو تركَّبَ لكانَ جسما ... وذا محالٌ، ثمَّ أيضاً إمَّا:

بِكُلِّ جزءٍ صفةُ الألوهِيَّةْ ... تقوم أو ببعضٍ فقط فَلْتَدْرِيَةْ

فأَوَّلٌ مِنْهُ تَعَدُّدٌ لَزِمْ ... وآخِرٌ منه الحدوث بنحتِمْ

لأن الأستواءَ للأجزا.. وجَبْ ... فالبعضُ ذا مخصَّصٌ بلا رِيَبْ

وليس معنى النفي للتركيبِ ... عن ذاتِ ذا المهيمن الرقيبِ

أن الإله جُزءٌ لا يقبَلُ ... تجَزُّؤاً، إِذْ ذاكَ ليس يُعقَلُ!؟

لأنه إذَنْ يصيرُ جوهرا ... فرداً، وذا أمتِناعُهُ تقرَّرا

بل المرادُ أن خالق البَشَرْ ... لا يقبَلُ الكِبَرَ كلَّا والصِّغَرْ

إِذْ ذاك من عوارض الجرمِيَّةْ ... عن ذا تعالتْ ذاتُهُ العليَّةْ

اهـ (بهجة الطالبين)

(٢) (فائدة): سورة الإخلاص نفت أصول الكفر الثمانية وهي: ١- الكثرة بمعنى التركيب. ٢- والعدد. ٣- والنقص بمعنى الاحتياج. ٤- والقلة بمعنى البساطة. ٥- والعلة. ٦- والمعلول. ٧- والشبيه. ٨- والنظير....!!.

ولأن الله تعالى علَّق أنه لو كان هناك إله آخر لفسدتا، أي السماوات والأرض ومن فيهن، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢][(١)] ولكن لم تفسدا.. فليس هناك إله آخر ، ويسمى هذا دليل التمانع كما سيأتي، فهذا الذي تقدم نفي الكم المتصل والمنفصل في الذات.

أما الكم المتصل في الصفات.. فمعناه: أن تكون له صفتان من نوع واحد، ونفي ذلك أن تقول ليس له تعالى صفتان من نوع واحد، فليس له قدرتان بل قدرة واحدة، وليس له إرادتان بل إرادة واحدة، وليس له عِلمان بل علم واحد، فيمتنع أن تكون له صفتان من نوع واحد لماذا؟

لأنه لو فرضنا أن له قدرتين.. إما أن تكون كل منهما لها تأثير معاً، فيلزم من ذلك حصول أثرٍ واحد من مؤثرين وهو مستحيل، وإما أن يكون تأثيرهما مرتبا وهذا عبث، لأن إحداهما إذا أثرت فما فائدة الأخرى إذاً؟ فلو أوجدت الأولى الشيءَ فالثانية ماذا ستوجِد؟ فيكون تحصيل حاصل.

وإمَّا أن يكون تأثير لواحدةٍ منهما فقط.. فتكون الثانية عاطلةً مُستغنى عنها! فليس له تعالى صفتان من نوع واحد وإنما صفة واحدة.

والكم المنفصل في الصفات.. معناه: أن تكون لغيره صفة تماثل صفته، ونفي ذلك أن تقول: ليس لغيره صفةٌ تماثل صفته تعالى، لأن صفاته تعالى قديمةٌ وصفاتِ غيره حادثة، وصفاتُ الله تعالى لها تأثير، أما صفات غيره فليس لها تأثير وإنما هو

أما الكثرة والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١].

والنقص والقلة.. بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ٢].

والعلة والمعلول.. بقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣].

والشبيه والنظير.. بقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

فناهيك بسورة الإخلاص دليلاً. اهـ (الصاوي على الجوهرة).

(١) وقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢].

كسب، والتأثير إنما هو من الله تعالى ومن اعتقد التأثير لغيره تعالى.. كفر، فليس لأحد تأثير لا لنبي ولا لسلطان ولا لشيطان، وقدرة الإنسان إنما تأثيرها بقدرة الله، وإرادته بإرادة الله، فليس لغير الله صفة تماثل صفته تعالى، فهذا معنى نفي الكم المتصل والمنفصل في الصفات.

وأما الكم المنفصل في الأفعال.. فمعناه.. أن يكون لغيره فعلٌ مثل فعله وهذا كذلك منفي، لأنه لا يعقل أن يكون لأحدٍ فعلٌ أو تأثيرٌ كفعله تعالى، فهو المنفرد بالملك والتدبير، لا يفتقرُ إلى معينٍ ولا وزيرٍ ولا نصيرٍ.

بقينا في الكم المتصل في الأفعال.. أما هو فلا معنى لنفيه بل هو حاصل، لأن أفعال الله تعالى متعددة، فهو الذي يُحيي ويميت ويُسعد ويشقي ويَرزق ويَخلق، وهذا هو معنى القدر عند الأشاعرة، كما سيأتي الكلام عليه وعلى الفرق بين القضاء والقدر، وسيتكلم الآن على أدلة نفي الكموم.

الدليل العقلي على الوحدانية ونفي الكموم الخمسة: أن نقول في دليل نفي الكم المتصل في الذات: لو تركبت ذاته العلية من أجزاء للزم من مركب لها ولو كان لها مركب لكانت حادثة مثل المخلوقات، كيف وقد سبق دليل قدمه؟.

قوله: (الدليل العقلي على الوحدانية ونفي الكموم الخمسة: أن نقول في دليل نفي الكم المتصل في الذات الخ).

سيذكر الآن الدليل العقلي على الوحدانية وأن الله تعالى واحدٌ في ذاته وواحدٌ في صفاته وواحدٌ في أفعاله، وتقدم معنا الكلام على الكموم الخمسة ونفي الكم المتصل والمنفصل في الذات، ونفي الكم المتصل والمنفصل في الصفات وأما الأفعال فنفي الكم المنفصل فيها فقط، والكم معناه العدد والكمية كما تقدم.

فما الدليل على نفي الكم المتصل في الذات وأن الله تعالى واحدٌ في ذاته؟ تقدم معنا في نفي الكم المتصل في الذات أن ذات الله تعالى ليست مركبة من أجزاء، وليس معنى ذلك أن الله تعالى جوهر فرد، لأن الجوهر الفرد غير مركب من أجزاء لأنه لا يقبل الانقسام لدقته، فالشيء إذا قُسِّم إلى أن وصل إلى ما لا يقبل القسمة هو الجوهر الفرد[1] فليس معنى أن ذاته غير مركبة أنه جوهر فرد، لا، وإنما معنى ذلك أنه لا يوصف بالكبر والصغر لأن ذلك من عوارض الأجرام وتعالت ذات ربنا عن ذلك، فما دليله إذاً؟ الدليل أنه لو تركبت ذاته العلية من أجزاء للزم وجود مركب لها ولو كان لها مركب لكانت حادثة وكيف وقد سبق قدمه بالبراهين القطعية أنه تعالى أو تقول لو كانت ذاته مركبة من أجزاء فالألوهية إما أن تكون متعلقة بجميع الأجزاء أو ببعض الأجزاء، فإن تعلقت بجميع الأجزاء.. لزم تعدد القدماء، وهذا مستحيل إذْ لا قديم إلا واحد وهو الله تعالى.

---

(١) **(فائدة)**: الفرق بين الجرم والجسم أن الجرم أعم لأنه يطلق على المركب وغيره كالجوهر الفرد، وأما الجسم فلا يطلق إلا على المركب.

والجوهر الفرد: هو ما لا يقبل الانقسام لِدِقّته كأصغر الرمل. اهـ (بهجة الطالبين)

وإن تعلقت ببعض الأجزاء.. لزم تخصيص ذلك الجزء بدون مخصص، لأن الأجزاء متساوية، فيقال ما الذي خصص هذا دون هذا أي ما الذي رجحه على غيره من بقية الأجزاء والترجيح بدون مرجح مستحيل كالعدم والوجود فهما متساويان ولا يمكن ترجيح الوجود على العدم إلا بمرجح وهو وجود الصانع، لأن الأصل العدم فالكتاب هذا مثلاً الأصل فيه العدم، لكن قد وجد فما الذي رجح وجوده؟ هو وجود المؤلف الذي ألفه وطبعه، فهنا وجد المرجح، أما هناك فتخصيص ذلك الجزء بالألوهية دون الباقي.. يلزم منه تخصيص شيء بدون مرجح وهذا مستحيل لأن الأجزاء متساوية فهذا دليل نفي الكم المتصل بالذات.

ونقول في دليل الكم المنفصل في الذات: لو تعددت الآلهة لما وجد شيء من العالم وهو باطل لأنه موجود فعلاً، فيلزم عدم التعدد وثبوت الوحدانية، وإنما لزم من التعدد عدم وجود العالم لأنهما -أي الإلهين أو أكثر- إما أن يختلفا وإما أن يتفقا.

فإذا فرضنا اختلافهما، كأن يريد أحدهما وجود العالم والآخر عدمه مثلاً، فلنفي هذا دليل يسمى دليل التمانع وهو أن نقول: لو فرضنا اختلاف الإلهين في الإرادة، فإما أن تنفذ إرادة كل منهما أو لا تنفذ إرادتهما، أو تنفذ إرادة أحدهما، فالأول: باطل لاجتماع النقيضين، والثاني والثالث: يستلزمان عجزهما معاً، لأن ما صدق على أحد المثلين يصدق على الآخر.

وإذا فرضنا اتفاقهما فلنفيه دليل يسمى دليل التوارد وهو أن نقول: إما أن يوجد الشيء كلاهما معاً وذلك باطل لاستحالة حصول أثر واحد من مؤثرين، وإما أن يوجداه مرتباً وهو أيضا باطل: لأن فعل الثاني تحصيل حاصل، وإما أن يشتركا في الإيجاد بأن يوجد أحدهما بعضه والآخر البعض الآخر، وهذا يوجب عجزهما معاً لأن كل واحد سد على الآخر طريق قدرته.

قوله: (ونقول في دليل الكم المنفصل في الذات الخ).

أي ما هو الدليل على نفي الكم المنفصل في الذات؟ أنه لو كانت الآلهة متعددة كاثنين أو ثلاثة لما وجد شيء من العالم، وعدم وجود العالم باطل.. لأن العالم موجود وبذلك يلزم عدم التعدد وثبوت الوحدانية، وإذا قيل لماذا يلزم من التعدد عدم وجود العالم؟ أجيب لأنه إذا كان هناك إلهان أو أكثر فلا يخلو إما أن يختلفا وإما أن يتفقا، فإذا فرضنا اختلافهما، أي إذا اختلف الإلهان كما إذا كان هناك رئيسان لدولة واحدة فلا بد من أن يكون بينهما اختلاف، وكذلك هنا كأن يريد أحدهما وجود العالم والآخر يريد عدمه.. فهل يجتمع العدم والوجود؟ لا، لأنه يلزم اجتماع نقيضين وهو مستحيل وإذا أردنا أن ننفي هذا نأتي بدليل التمانع ونقول لو فرضنا اختلاف الإلهين في الإرادة بأن

كان هذا يريد وجود العالم وهذا لا يريد وجوده فإمّا أن تَنْفُذَ إرادتهما أي: الذي يريد نَفَذَتْ إرادته والذي لا يريد أيضا نَفَذَتْ إرادته.. فيلزم اجتماع النقيضين إرادة وعدم إرادة وهذا باطل.

وإمّا أن لا تَنْفُذَ إرادتهما وهذا باطل أيضاً لأن ذلك يستلزم عجزهما وإما أن تنفذ إرادة أحدهما فقط دون الآخر فالذي لم تنفذ إرادته ليس بإله لأنه عاجز وهذا إن افترضنا اختلافهما، وإذا فرضنا اتفاقهما بأن اتفق الإلهان فلنفي هذا نأتي بدليل التوارد فنقول: إما أن يُوجد الشيءَ كلاهما معاً هذا يريد إيجاده وهذا يريد إيجاده.. فهذا باطل لاستحالة حصول أثر واحدٍ من مُؤَثِّرين وإنما يكون من واحد.

وإما أن يوجداه مُرتّباً وهذا باطلٌ أيضاً لماذا؟ لأن فعل الثاني يكون بمثابة تحصيل حاصل فإذا قد أوجده الأول فما الذي سيوجده الثاني؟ وإما أن يشتركا في إيجاده بأن يوجد أحدهما بعضه ويوجد الثاني بعضه الآخر فهذا باطل لأنه يوجب عجزهما معاً لأن كل واحدٍ منهما عجز عن أن يوجده كاملاً أو لأن كل واحدٍ منهما سدّ على الآخر طريق قدرته.

فلا يوجد إلّا إله واحد وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] أي لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله لفسدتا ومن فيهن.

ونقول في دليل الكم المتصل في الصفات: لو تعددت له صفتان من جنس واحد للزم ما يلزم من تعدد الآلهة المار الآن، ونقول في دليل الكم المنفصل في الصفات: لو كان لغيره صفة تشبه صفاته لكانت حادثة لأن الصفة تتبع الموصوف وجوداً وعدماً ولو كانت حادثة لكانت صفة الباري حادثة مثلها، لأن ما صدق على أحد المثلين يصدق على الآخر وحدوث صفة الباري ممنوع عقلاً كما لا يخفىٰ.

قوله: (ونقول في دليل نفي الكم المتصل في الصفات الخ).

أي نقول في نفي الكم المتصل في الصفات أنه لو كان له تعالى صفتان من جنس واحد فإما أن يكون متعلقهما واحد وهو مستحيل لاستحالة حصول أثر واحد من مؤثرين كما تقدم في الشريكين، فلو فرضنا أن له قدرتان سبحانه وهذا مثالٌ وتعلقت القدرتان معاً على إيجاد زيد مثلاً.. لزم حصول أثر واحد من مؤثرين وهذا مستحيل كما مر.

وإن كان تأثيرهما مرتباً بأن أوجدته القدرة الأولى ثم الثانية.. لزم تحصيل حاصل وهو عبث، وإن كان التأثير لإحداهما فقط.. لزم تعطيل الثانية فليس له تعالى صفتان من نوع واحد، وهذا نفي الكم المتصل في الصفات.

قوله: (ونقول في نفي الكم المنفصل في الصفات الخ).

أي نقول في نفي ذلك أنه ليس لغيره تعالى صفة قديمة مؤثرة قائمة بغير الله تعالى والذي ينسب لغيره تعالى إنما هو الكسب والاختيار لا الخلق والإيجاد، فالتأثير والإيجاد إنما هو فعل الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] لأنه لو كان لغيره صفة تشبه شيئاً من صفاته تعالى، أي في كونها تؤثر.. لكانت حادثة، لماذا؟ لأن الصفة تتبع الموصوف وجوداً وعدماً والموصوف حادث فلا تكون صفته إلا حادثة لأنه يستحيل أن تكون صفة قديمة لذاتٍ حادثة كما يستحيل أن تكون للذات القديمة صفة حادثة، ولو كانت الصفة التي لغيره حادثة لكانت صفة الله

تعالى حادثة مثلها لأن ما صدق على أحد المِثْلين.. يصدُقُ على الآخر وهذا مستحيل
لأن كون صفاته تعالى حادثة يمتنع عقلاً، لأنه تعالى قديم فلا تكون صفاته إلا قديمة
فهذا نفي الكم المنفصل في الصفات.

ونقول في دليل الكم المنفصل في الأفعال: لو صح أن يكون لغيره فعل أو تأثير للزم أن يكون مقدوراً له لعموم قدرته، وإلا للزم عجزه عن ذلك الشيء وهو يستلزم العجز عن سائر الممكنات وذلك محال.

قوله: (ونقول في دليل الكم المنفصل في الأفعال الخ).

بقينا في الكم الخامس وهو الكم المنفصل في الأفعال فقط، أما المتصل فلا، فنقول في نفيه ليس لأحدٍ فعل وتأثير كفعله تعالى، لأنه لو صح أن يكون لغيره فعل أو تأثير.. للزم أن يكون اللهُ تعالى مقدوراً لذلك الغير لعموم قدرته، وإلَّا لكان عاجزاً، وكونه تعالى مقدوراً عليه لا يجوز بحال، فليس لغيره فعل وتأثير كفعلِهِ وتأثيره تعالى، وكما في النار فإنها لا تحرق بذاتها وطبيعتها وإنما يخلق الله تعالى فيها خاصية الإحراق، والسكين لا يقطع بذاته وإنما يخلق الله تعالى فيه القطع عند مباشرته للمقطوع، والدواء لا يؤثر بذاته وإنما يخلق الله فيه خاصية الشفاء وهكذا، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

ومذهب المعتزلة أن النار لا تحرق بذاتها ولكن بقوة أودعها الله تعالى فيها من حين خلقها ولا يكفرون بهذا بخلاف الطبيعيين فإنهم يكفروا باعتقادهم لأنهم ينسبون الأشياء إلى الطبيعة وأن الأشياء تؤثر بطبيعتها بدون إرادة من الله تعالى.

والمذهب الرابع هو مذهب العقليين الذين يقولون بوجود ملازمة عقلية بين السبب والمسبَّب لا يجون أن تتخلّف وهؤلاء لا يكفرون باعتقادهم هذا ولكن يخشى عليهم الكفر لأن اعتقادهم هذا يؤدي إلى إنكار معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وعندنا أن هذه الملازمة عادية يجوز أن تتخلف معجزة لنبي أو كرامة لولي.

وسيأتي الكلام على أفعال العبد وتأثير المؤثرات.

وأما الكم المتصل في الأفعال فلا معنى لنفيه لثبوته بتعدد أفعاله تعالى فهو المحيي والمميت والرازق والخالق وغير ذلك.

الدرس الحادي عشر

في حكم أفعال العبد وتأثير المؤثرات

وفي الصفة السابعة وهي العلم، وفي القضاء والقدر

أفعال العبد فيها ثلاثة مذاهب: مذهب أهل السنة، ومذهب المعتزلة، ومذهب الجبرية.

فمذهب أهل السنة: أن الله تعالى خالق أفعال العبد جميعها سواء كانت خيرية أم شرية، نعم للعبد الكسب فقط، والمراد بالكسب مجرد مقارنة قدرة العبد التي ليس لها تأثير لقدرة الله ونقل عن بعض أهل السنة: أن للعبد نوع اختيار في فعله.

قوله: (فمذهب أهل السنة أن الله تعالى خالق أفعال العبد الخ).

والله خالقٌ لفعل عبدِهِ[1] ... بقدرة قدَّرها من عندِهِ

ويقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] فهو سبحانه خالق أفعال العبد جميعها، فهي كلها مخلوقةٌ لله تعالى سواءٌ الاختيارية منها والاضطرارية والذي ينسب للعبد إنما هو الكسب والاختيار دون الخلق والتأثير، وعلى الكسب والاختيار يترتب الثواب والعقاب، لأن معنى الكسبِ: هو نسبة الفعل لقدرة العبد

---

(١) سئل الجنيد بن محمد رضي الله عنه عن التوحيد؟ فقال: أن ترى جميع حركات العباد وسكناتهم فعل الله تعالى: فإذا عرفت ذلك فقد وحّدته.

(تنبيه) العارف لا يشهد فعلاً لسوى الله تعالى وقد قال العارف في ذلك:

ولي في خيال الظِّلِّ أكبرُ عبرة: ... لمن كان في بحر الحقيقة راقي

شخوصٌ وأشكال تمرُّ وتنقضي ... فتفنى جميعاً والمحرِّكُ باقي

وأنشد بعضهم في هذا المعنى:

وما الخلق في التمثال إلّا كثَلْجَةٍ ... لها صورةٌ لكن تبدَّت عن الماءِ

فذو الكشف لم يشهَدْ سوى الماءِ وَحْدَهُ ... تبدَّى بوصف الثلج من غيرِ إخفاءِ

ومن حجبتْهُ صورةُ الثلج جاهلٌ ... تغطّى عليه الأمرُ من كمِ أضواءِ

أهـ (الصاوي على الجوهرة)

وإرادته الحادثتين من غير تأثير البتة، وعليه يترتب المدح والذم والثواب والعقاب، أي إنما التأثير من الله تعالى[1].

والفاعل قسموه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: فاعل بالاختيار.. ومعنى الفاعل بالاختيار.. أي: هو الذي يتأتى منه الفعل ويتأتى منه الترك إن شاء فعل وإن شاء ترك فهذا ما يكون إلا لله تعالى[2].

والثاني فاعل بالطبع.. وهو الذي يتأتى منه الفعل دون الترك، ويتوقف على وجود شرط وانتفاء مانع، كالنار، فهي تحرق لكن لا تقدر أن تطفيء نفسها، إلا إذا أطفأها أحد فهذا معنى أن يتأتى منها الفعل دون الترك، وتتوقف على وجود شرط، وهو وجود المحروق، وانتفاء مانع، أي عدم وجود بلل من ماء ونحوه، فهذا الفاعل بالطبع.

والثالث: فاعل بالعلة أي بالسبب أو الغرَض: وهو الذي يتأتى منه الفعل دون التَرك كذلك لكن لا يتوقف على شرط، كحركة الخاتم بحركة الأصبع فلو حرَّكْتَ الأصبع.. تحرك الخاتم، فإنه يتأتى منه الفعل دون الترك، فهذا هو الفاعل بالعلة، والله تعالى لا يفعل شيئاً لعلة أو لغرض، لأن الغرض: هي العلة الباعثة على الفعل والحكم

---

(١) سئل سيدنا الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ونفعنا به.. ما قولكم في أفعال العباد؟ فأجاب بقوله: الذي نعتقده وندينُ الله به: أنه ما يكون كائنٌ من خير وشرٌ ونفعٍ وضرٌ إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ومذهبُنا هذا.. برزخٌ بين مذهبين، أحدهما: مذهب الجبريَّة القائلين بأن العباد مجبورون على ما يأتون ويذرون، مضطّرون في كل حال.. تضاهي أفعالهم أفعال الناسي والمكره، بل أفعال المجنون والنائم وهذا مذهبٌ يعرف بطلانه ببديهة العقل لو لم يدل دليلٌ على كونه باطلاً.

والثاني: مذهب المعتزلة القائلين بأن أفعال العباد الاختيارية خلقٌ لهم وأنهم إن شاءوا.. فعلوا، وإن شاءوا.. تركوا.

وأما ماهية الكسب الذي نقول به: فهو شيءٌ يعرفه الإنسان من نفسه، إذْ لا يعزُبُ عن عاقلٍ تميزٌ بين أفعاله الاختيارية والاضطرارية، وأنه في الاضطرارية منها مجبور وفي الاختيارية غير مستقل. اهـ (بهجة الطالبين)

(٢) قال بعض العارفين:

إذا ما رأيت الله في الكون فاعلاً ... رأيت جميع الكائنات ملاحا

وإن لم ترى إلا مظاهرَ صُنعِهِ ... حُجِبْتَ، فصَيَّرْتَ الحسان قباحا

لأن الأغراض تستلزم الافتقار والله تعالى غني عمَّن سواه، فلا يفعل شيئاً لغرضٍ من الأغراض، قال صاحب الزبد:

خَلَقَــــــهُ لا لاحْتِيَاجِــــــهِ الإلَهْ

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فاللام ليست للتعليل وإنما هي للصيرورة والعاقبة فهو غير محتاج لهم ولعبادتهم، فلا تنفعه طاعة الطائع ولا تضره معصية العاصي، وكما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] فاللام أيضاً للصيرورة لا للتعليل، فلم يلتقطوه ليكون لهم عدواً، وإنما ليكون قرة عين، لكن كان عاقبته أن صار لهم عدواً[1]

قوله: (ونقل عن بعض أهل السنة أن للعبد نوع اختيار الخ).

هذا هو المعتمد لأجل يترتب على ذلك الثواب والعقاب والمدح والذم، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [القصص: ٦٨] أي الخير والشر، وخلق للخير أهلاً وللشر أهلاً، ﴿وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] أي يختار الخيرَ، فمن وافق اختيارُه اختيارَ الله تعالى فهو سعيد، ومن خالف اختيارُه اختيار الله فهو شقي[2]، فلو قلنا أنه ليس للعبد

---

(١) **(فائدة)**: فِعْلُ المكلف بالنسبة إلى خطاب الله تعالى على ثلاثة أقسام: ١- ما يتعلق به خطاب الوضع وخطاب التكليف.. وهو ما صَحِبَته قدرة العبد وإرادته مثل: إذا شجَّ شخصاً أو قتل دابةً. ٢- ما لا يتعلق به واحدٌ منهما.. وهو ما لم تصحبه قدرةٌ ولا إرادة كحركة المرتعش. ٣- ما يتعلق به خطاب الوضع فقط.. وهو ما صحبته قدرةُ العبد دون إرادته كحركة النائم والسكران. اهـ (بهجة الطالبين)

(٢) سئل الحبيب الإمام العارف بالله عبدالله بن محسن العطاس رضي الله عنه: كيف يُلام العبد على الفعل المذموم وقد كتب الله عليه ذلك؟ فأجاب بقوله: لأنه قد بيَّن له الطريقين.. طريق الخير وطريق الشر، وأخذ العهد على جميع الخلق في يومِ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ [الأعراف: ١٧٢] فالمؤمنون لم يخالف فِعلُهم قولَهم وحفظوا العهد، والكفار نقضوا العهد لأن فعلهم خالف قولهم، والحق سبحانه وتعالى له الحجة البالغة على عباده. وقال رضي الله عنه أيضاً: لما خلق الله الخلق.. قضى بالخير لمن يشاء منهم وقضى بالشر لمن يشاء منهم ثم اختار لهم الخير قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] فالاختيارُ بعد الخلق، وأَمَرَ الخلق أن يختاروا ما اختاره لهم من الخير فمن وافق اختياره اختيار الله.. فهو الموفق، ومن لم يوافق اختيار الله.. فهو المخذول، والكفار وإن سبقت إرادة الله لهم بالشقاوة.. مأمورون من الحق بالإسلام، ومعاقبون على تركه، لأنهم قد قالوا: بل وخالفوا لتكون لله الحجة البالغة قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] اهـ (بهجة الطالبين).

اختيار لصرنا كمذهب الجبريَّة القائل: بأن العباد ليس لهم اختيار وأنهم مقهورون على ما يأتون ويذرون تشبه أفعالهم أفعال الناسي والمكره بل أفعال المجنون والنائم، وكالريشة في أرض فلاة تسفها الرياح من كل جانب وهذا مذهب باطل لأنه يؤدي إلى إبطال إنزال الكتب وإرسال الرسل والعياذ بالله تعالى.

ومذهب المعتزلة: أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه.

ومذهب الجبرية أن العبد ليس له كسب، بل هو مجبور أي كالريشة المعلقة في الريح تقلبها كيف شاءت ومثل العبد غيره من الحيوانات والفرق بين القول الأول والأخير دقيق.

وقال بعض العلماء لا أرى فرقاً حقيقياً بين مذهب أهل السنة والجبرية، وعلى كل من الأقوال فثوابه محض فضل وعقابه محض عدل ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قوله: (ومذهب المعتزلة: أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية الخ).

أي أن المعتزلة يقولون أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية لكن ليس من عنده وإنما بقوةٍ خلقها الله فيه، فلما قالوا هكذا لم يكفروا، وأما أفعال العبد الاضطرارية فلا خلاف فيها، والنار عندهم تحرق بذاتها لكن بقوة خلقها الله فيها أي أودعها فيها عند خلقها، والماء يروي بذاته لكن الري خلقه الله فيه وأودعه سابقاً، والسكين كذلك هذا مذهبهم.

أما أهل السنة فالإحراق إنما يكون عند مباشرة النار للمحروق.. أي يخلق الله الإحراق عند المباشرة، وكذلك السكين عند مباشرته للقطع.. يخلق الله تعالى القطع، لا أن الله تعالى قد خلق ذلك من قبل، فهذا هو الفرق بينهما.

قوله: (ومذهب الجبرية الخ).

هذا مذهب باطل، وهو أن العبد ليس له كسب ولا اختيار، بل هو مجبور كالريشة في وسط الريح تقلبها كيف شاءت، وهذا المذهب بطلانه بديهي لو لم يَدُلَّ دليلٌ على كونه باطلاً، لأنه يؤدي إلى عدم فائدة إرسال الرسل وإنزال الكتب[1].

---

(١) قال شاعرهم مورداً على أهل السنة:

مـا حيلـةُ العبـدِ والأقـدارُ جاريـةٌ عليـه في كُـلِّ حـالٍ أيُّهـا الرائـي؟

قوله: (والفرق بين القول الأول والأخير الخ).

أي أن الفرق بين القول الأول وهو مذهب أهل السنة والأخير وهو قول الجبرية دقيق.. وهو الاختيار، وبعضهم يقول لا فرق بينهما!! بلى هنالك فرق بينهما، لأن الإنسان يميز بين أفعاله الاختيارية والاضطرارية، لأنه في أفعاله الاختيارية له اختيار بخلاف الاضطرارية فليس له اختيار فيها كحركة الارتعاش فهي اضطرارية بدون اختيار، أما إذا تحركتَ لفعل شيء معين فهذا باختيارك فهناك فرق وكالمجنون إذا رمى بنفسه إلى بئر فالناس يترحَّمون عليه ويقولون مسكين وشهيد لماذا؟ لأنهم يعرفون أن ذلك بدون اختياره، أما العاقل إذا رمى بنفسه إلى البئر فإن الناس سيذكرونه بسوء، ويقولون: هذا قاتل نفسه، وربما يقولون: لا تصلوا عليه.

فالإنسان يميِّز بين أفعاله الاختيارية والاضطرارية، فهناك إذاً فرق كبير بين مذهب أهل السنة ومذهب الجبرية.

والخلاصة كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: أن من نسب المشيئة والكسب إلى نفسه.. فهو قَدَرِيٌّ، ومن نفاهما عن نفسه.. فهو جَبَرِيٌّ، وكلاهما بعيد عن الصراط المستقيم، ومن نسب المشيئة إلى الله تعالى والكسب إلى العبد.. فهو سُنِّيٌّ صُوفِيٌّ[1].

ألقاهُ في اليَمِّ مكتوفاً وقال لَهُ ... إياكَ إيَّاكَ.. أن تَبْتَلَّ بالماءِ!

فأجاب بعض أهل السنة بقوله:

إنْ حفَّهُ اللُّطفُ.. لم يَمْسَسْهُ مِنْ بلَلٍ ... ولم يُبالِ بتكتيفٍ وإلقاءِ

وإنْ يَكُنْ قَدَرُ المولى بِغَرْقَتِهِ ... فَهْوَ الغريقُ ولو ألقي بصحراءِ

(١) قال سيدنا الإمام الحداد رضي الله عنه في تثبيت الفؤاد: مذهب القدريَّة خيرٌ من مذهب الجبريَّة، وإن كانا باطلين!! لأن الأوَّلين (أي القدرية) إنما نسبوا إلى أنفسهم قدرةً، وأما الآخرين (أي الجبرية) فإنهم عطلوا الأحكام الشرعية وهذه هي الزندقةُ بعينها. وقال أيضاً: فلينظر الإنسان كل أمرٍ إذا شاء فعله وإذا شاء تركه.. فهو محلُّ التكليف والثواب والعقاب وهو غير كلام أهل الجبر: أنه مكتوب عليَّ ومقدَّرٌ عليَّ، وكلهم محجوجون فمن أين علموا أنه كُتِبَ عليهم؟؟ وقد احتج إبليس -لعنه الله- بين يدي الله بهذه الحجة فما نفعَته قال الله سبحانه وتعالى له: لأيِّ شيءٍ ارتكبتَ معصيتي؟ وعصيت أمري؟ قال يا رب هذا أمرٌ قد كتبتَهُ عليَّ، قال الله سبحانه وتعالى: متى علمتَ أني كتبتُه وقدرته عليك.. قبل الفعل؟ أم بعده؟ قال: بعده، قال تعالى: بهذا أخذتك. اهـ (بهجة الطالبين)

قوله: (وعلى كل الأقوال فثوابه محض فضل الخ).

أي أن الثواب والعقاب محض فضل وعدل من الله تعالى، كما قال ابن رسلان:

يُثِيبُ مَنْ أَطَاعَهُ بِفَضْلِهِ　　وَمَنْ يَشَأْ عَاقَبَهُ بِعَدْلِهِ

وهذا جائز في حق الله تعالى له أن يعكس ذلك فلا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونْ.

تأثير المؤثرات: فيه ثلاثة مذاهب: مذهب أهل السنة، ومذهب المعتزلة ومذهب الطبيعيين.

فمذهب أهل السنة: أن الله يخلق التأثير عند ملامسة المؤثر لما أثر فيه فيخلق الإحراق عند ملامسة النار، والقطع عند ملامسة السكين وهكذا.

ومذهب المعتزلة: إن الله أودع قوة التأثير في المؤثرات، فأودع قوة الإحراق في النار من حين خلقها وقوة القطع في حد السكين وهكذا.

ومذهب الطبيعيين: أن هذه المؤثرات تؤثر بطبعها، وهؤلاء محكوم بكفرهم.

قوله: (تأثير المؤثرات فيه ثلاثة مذاهب الخ)[1] .

تأثير المؤثرات.. بعضهم يقول: فيها أربعة مذاهب ، مذهب الأشعريين ومذهب المعتزلة ومذهب العقليين ومذهب الطبيعيين، وهنا الحبيب ذكر ثلاثة مذاهب فقط، ولم يذكر مذهب العقليين ، والعقليون لا يكفرون باعتقادهم بخلاف الطبيعيين، لأن العقليين يقولون أن النار لا تحرق بذاتها ولكن بين السبب والمُسبَّبْ ملازمةٌ عقلية لا ينفك أحدهما عن الآخر، ومذهب أهل السنة والجماعة أن هذه الملازمة عادية يجوز التخلف معها إما معجزة لنبي أو كرامة لولي أو معونة لمسلم، ومذهب العقليين قد يؤدي ويفضي إلى إنكار معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، لأنه لو لم يجز الانفكاك والتخلف على قولهم.. لأحرقت النارُ سيدنا إبراهيم ولكنها تخلفت لما أحرقه النمروذ ولم تؤثر فيه لأنها لا تحرق بطبيعتها وإنما يخلق الله الإحراق عند مباشرتها للأشياء، فلما سلب الله تعالى منها الإحراق.. لم تؤثر، وكذلك السكين لما أراد نبيُّ الله إبراهيم ذبح

---

(١) الحاصل: أن من اعتقد أن الأسباب العادية تؤثر بطبعها وذاتها فهو كافر بالإجماع، أو بقوة خلقها الله فيها فهو فاسق مبتدع وقيل كافر، ومن اعتقد أن المؤثر هو الله لكن جعل بين الأسباب ومسبباتها تلازما عقلياً بحيث لا يصح تخلفه فهو جاهل وربما جره ذلك إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فإنه قد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة، وأما من اعتقد أن المؤثر هو الله تعالى وأن بين الأسباب ومسبَّباتها تلازماً عادياً بحيث يصح تخلفه.. فهو المؤمن الناجي إن شاء الله تعالى. اهـ (فتح العلام)

ولده إسماعيل لم يؤثر مع أن نفس السكين هذا هو الذي ذبح به الكبشَ الذي أُنزل من الجنة، لكنه لم يؤثر في إسماعيل لأن الله تعالى سلب منه القطع فدل ذلك على أن السبب والمُسبَّب ليس بينهما ملازمة عقلية فيجوز الانفكاك إما معجزة لنبي أو كرامة لولي كما هنا.

والمعتزلة يقولون أن النار تحرق بنفسها والسكين يقطع بذاته لكن بقوة وقدرة أودعها الله فيهما عند خلقهما وقس عليهما؛

أما الطبيعيين فتقدم أنهم كفار لأنهم يقولون أن النار تحرق بذاتها وبطبعها من غير أن يقولوا بقوة أودعها الله فيها، وهذا كفر لأنهم اعتقدوا التأثير لغير الله تعالى.

وأما مذهب أهل السنة أن الله يخلق التأثير عند ملامسة المؤثِّرُ لما أثَّر فيه، لا كما يقول المعتزلة: أن الله خلق التأثير وأودعه فيها من حين خلقها، بل يخلق ذلك التأثير عند مباشرة الأشياء، فيخلق الإحراق في النار عند مباشرته للمحروق، ويخلق القطع في السكين عند قطعه للأشياء، ويخلق الري عند الشرب، ويخلق الشبع عند الأكل، ويخلق الشفاء عند تناول الدواء وهكذا[1]

---

(١) (فائدة): نظم بعضهم من يقول بنسبة التأثير لغير الله عز وجل فقال:

وَمَنْ يَقُلْ: لِسَبَبٍ تَأثِيرُ ... بِنَفْسِهِ.. حَتْمٌ لَهُ التَّكْفِيرُ

وَمَنْ يَقُلْ: لِقُوَّةٍ أَوْدَعَهَا ... فِيهِ إلهُنَا، وَإِنْ نَزَعَهَا..

مِنْهُ فَلا يَمْنَعُ مِنْ تَأثِيرِهِ ... فَعَنْهُمُ الخِلافُ فِي تَكْفِيرِهِ

(تنبيه): قال سيدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنه: إسناد المسبَّبات للأسباب لا يقدح في التوحيد كما هو واضح إلا إن قطع نسبته عن الله تعالى أو جعل للسبب أصلاً في الإيجاد، وأمّا جَعْلُهُ فاعلاً مجازاً.. فلا بأس به، ولا حُرمة ولا كراهة فضلاً عن أن يكون كفراً. اهـ (بهجة الطالبين)

العلم صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق جهل ولا خفاء، وهي من صفات المعاني.

الآيات التي يوهم ظاهرها أن علم الله مكتسب: كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٢] يأتي فيها المذهبان السابقان في الدرس الثامن وهما التأويل والتسليم.

قوله: (العلم صفة قديمة أزلية الخ).

تكلم الحبيب عن صفات المعاني وهي سبع صفات منها العلم، وعلم الله تعالى محيط بجميع الأشياء وما هو تعريف العلم؟

العلم: صفة قديمة أزليةٌ قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل معلوم على ما هي به انكشافاً تاماً لا يحتمل نقيضاً بوجه من الوجوه، وتعلق العلم.. عام لأن لهذه الصفات تعلق منها ما له تعلق بالجائزات ومنها ما تعلقه بالممكنات ومنها ما تعلقه عام ومنها ما ليس لها تعلق، والذي تعلقه عام اثنان، العلم تعلقه عام بالواجبات والجائزات والمستحيلات، والكلام أيضاً تعلقه بالواجبات والجائزات والمستحيلات، لكن تعلق العلم تعلق انكشاف، وتعلق الكلام تعلق دلالة، فعلم الله محيط بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات وليس بالممكنات فقط، فهو تعلقٌ عام على وجه الإحاطة كما قال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢] فلا يخفى عليه شيء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥] فهو سبحانه يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويعلم ما تحت قاع البحار، ويعلم أعداد مكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار ويعلم عدد ذر الرمال، ويعلم هذا الشخص وما في صلبه من ذرية وأولاد

أولاده إلى يوم القيامة هذا كله يعلمه الله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] فهو الذي خلق كل هذا، ويعلم هذه الأشياء على ما هي به، أي على حقيقتها من غير سبق جهل لأن الله تعالى قديم، فلا نقول: أنه كان يجهل ثم علم لأن هذا علم المخلوق الذي هو حادث، أما علم القديم فلا يوصف بأنه كان يجهل ثم علم، ويعلم الأشياء من غير خفاء، فلا يقال: أنه كان خافياً عليه ثم اطَّلع عليه، لا، لأن ذلك إنما يكون في علم المخلوقين.

قوله: (الآيات التي يوهم ظاهرها أن علم الله مكتسب الخ).

أتى الحبيب هنا بإشكال وهو ما ورد في بعض الآيات مما يوهم ظاهره أن علم الله تعالى مكتسب يعني حادث، كما تقدم معنا في نصوص القرآن والأحاديث التي توهم التشبيه ومذهب السلف والخلف في ذلك.

وهنا آيات ظاهرها أن علم الله تعالى مكتسب، يعني لا يعلم الشيء إلَّا بعد ظهوره وأنه كان قبل ذلك لا يعلمه.. فهذا لا بد من تأويله كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ ﴾ [الكهف: ١٢] ظاهره أنه كان لا يعلم ثم علم، لا، فليس المراد به هذا.

وإنما المراد بقوله ﴿لِنَعْلَمَ ﴾ أي لنعلم علم الظهور، لأن الله تعالى عالم بكل الأشياء لكن لنعلم علم الظهور، أي لأجل نظهرُ للخلق هذه الأشياء[1] وليس ليعلمه هو لأنه لا يخفى عليه شيء فهذا هو المراد وهنا يقول الحبيب في ذلك يأتي فيها المذهبان السابقان وهما مذهب السلف والخلف، فالسلف يفوضون أمره إلى الله تعالى مع تنزيه عما لا يليق به، والخلف يؤولون ذلك على حسب ما يليق بجلال الله وقدسه وهو هذا الذي ذكرنا فيقولون في هذه الآية ليعلم علم الظهور.

---

(١) أو أن المراد بـ((نَعْلَمَ)) مفتوح النون واللام.. ((نُعْلِمَ)) مضموم النون ومكسور اللام كما قاله الشيخ الملوي. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

للعلم تعلق تنجيزي قديم فقط على المعتمد فيعلم جميع الأشياء في الأزل سواء أكانت قديمة أم حادثة، كلياتها وجزئياتها، ومن زعم من الفلاسفة أن الله لا يعلم الجزئيات، فلا يخفاك أنه كافر.

قوله: (للعلم تعلق تنجيزي قديم فقط الخ).

للعلم تعلق تنجيزي فقط لا تعلُّق صلوحي[1]، وهو قديم لأن الله تعالى يعلم الأشياء في القدم، فهو سبحانه يعلم جميع الأشياء في الأزل كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ولما خلق القلم قال له: اكتب قال ماذا أكتب يا رب؟ قال اكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة»، فيعلم جميع الأشياء في الأزل ويسمى اللوح المحفوظ، وأيضاً علم الله القديم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] وسواءٌ كانت هذه الأشياء قديمة أو حادثة، فهو يعلمها بكلياتها وجزئياتها ولا يخفى عليه شيء منها.

قوله: (ومن زعم من الفلاسفة أن الله لا يعلم الجزئيات الخ).

قال بعضهم:

بثلاثةٍ كفر الفلاسفةُ العِدى	**إذ أنكروها وهي حقٌّ مُثبتة**
علمٌ بجزئيٍّ، حدوث عوالمٍ	**حشرٌ لأجسادٍ وكانت مَيِّتة**

أي كفرت الفلاسفة بهذه الأشياء الثلاثة بإنكارهم أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات وإنما يعلم الكليات، وبإنكارهم حدوث العالم وقالوا: أنه قديم، وبإنكارهم حشر الأجساد بعد الموت وهذا كله كفر.

---

(١) قال سيدي نفع الله عند تفسيره للتعلق الصلوحي: أي أن قدرة الله صالحة لذلك فهل يوجد في الدنيا نهر من عسل أو جبل من ياقوت؟ لا، لكن قدرة الله صالحة لهذا وإن لم يكن موجوداً، فلا يقال: أن عدم وجوده معناه أن الله تعالى غير قادر! فهذا تعلق صلوحي، وأما التعليق التنجيزي: أي في الشيء الحاصل الذي قد أوجده الله تعالى فتعلق العلم تعلق تنجيزي لا صلوحي.

علم الله في الأزل بصفات المخلوقات يسمى: القدر عند الماتريدية، كما أن إيجاد الله المخلوقات على صفتها المتقنة يسمونه: القضاء، أما على مذهب الأشاعرة، إرادة الله في القدم المخلوقات على ما هي متصفة به فيما لا يزال، كما أن القدر عندهم إيجاد الله المخلوقات على قدر محدود وحالة مخصوصة كما أراد تعالى إِذَنْ فالقدر حادث عند الأشاعرة قديم عند الماتريدية وبعكسه القضاء عند كل منهما.

قوله: (علم الله في الأزل بصفات المخلوقات يسمى القدر الخ).

الأزل قالوا هو اللوح المحفوظ الذي ليس قبله شيء، والمراد بعلم الله في الأزل بصفات المخلوقات أي: كون هذا مثلاً رزقه وأجله كذا وشقياً أو سعيداً وكونه مسلماً أو كافراً أو تقيّاً أو طويلاً أو قصيراً أو قبيحاً أو حسناً أو غير ذلك، فهذا معنى صفات المخلوقات.

وهنا تكلم الحبيب على القضاء والقدر، فهذا الذي تقدم من صفات المخلوقات علم الله تعالى به يسمى القدر عند الماتريدية، وتقدم معنا الكلام عن أبي منصور الماتريدي، وهم أيضاً من أهل السنة والجماعة، وأن أتباعه قليلون وهم من وراء النهر وأما أتباع أبي الحسن الأشعري فهم كثير بل جمهور أهل السنة والجماعة، فالماتريدية فسّروا القدر بالعلم.. فيكون على هذا من صفات الذات لا من صفات الأفعال، وفسروا القضاء بأنه إيجاد الله المخلوقات على صفتها المتقنة فيكون من صفات الأفعال فهذا هو الفرق بين القضاء والقدر عند الماتريدية، أما على مذهب الأشاعرة فالفرق بين القضاء والقدر أن القضاء هو: إرادة الله تعالى المتعلقة بالأزل، والقدر: هو إيجاد الله تعالى الأشياء على الوجه المعين بحسب إرادته، فيكون القضاء من صفات الذات والقدر من صفات الأفعال بعكس مذهب الماتريدية، فهذا هو الفرق

بين القضاء والقدر عند الأشاعرة والماتريدية، وهو فرق دقيق فيكون القضاء عند الأشاعرة بمنزلة الأساس والقدر بمنزلة البناء، فبينهما فرق[1].

وكذلك في قولهم شؤون يبديها لا يبتديها على قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩][2] فمعنى شؤون يبديها: أي يظهرها وهذا هو القدر، لا يبتديها.. لأن الأشياء كلها قد سبقت في الأزل، السعادة والشقاوة والخير والشر، والسبقُ في الأزل.. هو القضاء، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله والإمام الحداد يقول في راتبه الشهير: آمنا بالله واليوم الآخر، تبنا إلى باطناً وظاهر، ويقول رضي الله عنه: بسم الله والحمد لله والخير والشر بمشيئة الله، فراتبه ليس مجرد أذكار بل توحيد خالص.

قوله: (على قدر محدود وحالة مخصوصة الخ).

---

(١) والقضاء عندهم بمنزلة تصوير النقَّاش الصورة في ذهنه والقدر بمنزلة رسمها، وقد نظم بعضهم ذلك بقوله:

إرادةُ اللهِ مَعَ التعلُّقِ ... بِأزلٍ قضاؤهُ فحقِّقِ

والقدرةُ الإيجادُ للأشياءِ على ... وجهٍ معيَّنٍ أرادَهُ عَلا

وبعضهم قد قال: معنى الأوَّلِ.. ... العلمُ مع تعلُّقٍ بالأزلِ

والقدرُ.. الإيجادُ للأمورِ ... على وِفاقِ علمِهِ المذكورِ

اهـ (بهجة الطالبين)

(٢) حُكي أن الشيخ ابن الشجري كان يُقرِّر في درسه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فسأله سائلٌ وقال له: ما شأن ربك الآن؟ فأطرق رأسه وقام متحيِّراً فنام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم: السائل الخضر فإذا أتاك في غدٍ وسألك.. فقل له: شؤون يبديها ولا يبتديها.. يرفع أقواماً ويخفض آخرين، فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بما ذُكِر، فقال له: صلِّ على مَنْ علَّمك، ومشى مُسرعاً. اهـ (الباجوري الجوهرة).

وورد أن في كل يوم لكل إنسان مائة ألف نفس وأربعة وعشرين ألف نفس في كل نَفَسٍ يموت مائة ألف -أي من جميع المخلوقات- ويولدُ مائة ألفَ وتحملُ مائة ألف ويُفرَّجُ عن مائة ألف ويُعزُّ مائة ألف ويُذَلُّ مائة ألف ويُعتق من النار مائة ألف، وقيل في كل نفس ستمائة ألف ومع هذا كله الملائكة أكثر المخلوقات، فقد قال الصنهاجي في كنز الأسرار: إن بني آدم عُشر الجن وبني آدم والجن عشر حيوانات البر، وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وهكذا إلى الكرسي إلى العرش. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

أي على قَدَرٍ معيَّن لكن على حسَبِ إرادته تعالى.

قوله: (إذَنْ فالقدر حادث عند الأشاعرة).

أي بناءً على مذهب الأشاعرة أن القدر عندهم إيجاد الله تعالى الأشياء على وجهٍ معين فيكون القدرُ حادثاً لأنه من صفات الأفعال وتقدم معنا أن أفعاله تعالى تتجدد لأنه يخلق ويسعد ويشقي ويعطي ويرفع ويذل، وبناءً على مذهب الماتريدية أنه علم الله في الأزل فهو قديمٌ، فيكون من صفات الذات، والقضاء عند كلٍّ منهما بعكس القدر كما مر، فالخلاف بين الأشاعرة والماتريدية إنما هو لفظي.

والخلاصة أن مسألة القضاء والقدر مسألةٌ غامضة لا تنكشف إلا يوم القيامة كما قال الإمام الحداد رضي الله عنه[1]

والخير يكون بقضاء الله وإرادته ورضاه، والشر بقضاء الله وإرادته دون رضاه، فالأمر والرضا لا يتعلقان إلَّا بالخير، لأن الله تعالى يأمر بالخير ولا يأمر بالشر، ولا يرضى إلا بالخير، ولا يرضى بالشر ولا يرضى بالكفر كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]

وأما الإرادة.. فتتعلق بالخير والشر فالكفر مثلاً أراده الله لكن لم يأمر به ولم يرضه، ومثل الكفر غيره من المعاصي بخلاف الإيمان فإنه تعالى أراده وأمر به ورضي به، فهذا هو الفرق وهو كله بإرادة الله تعالى[2]

---

(١) وقال سيدنا الإمام الحداد نفع الله به: الأشياء كلها من القضاء والقدر لا من الأسباب، والأسباب مظهرٌ لها ومنه طول العمر بالبر وقصره بالفجور، فإذا بَرَّ وطال عمره، أو فجَر وقصُرَ عمره فهو مقضيٌّ عليه أنْ يفعله ومقضيٌّ عليه أن يحصل له من العُمْرَين ما حصل. اهـ (بهجة الطالبين).

وقال رضي الله عنه: مسألة القضاء إنما هي اعتقادٌ في الباطن لا مسألة احتجاج وإظهارٍ فتُعتَقَد، ولا تكون في الأعمال أليس تحريكُ يدك باختيارك؟ فهذا هو الكسب والاكتساب، ولا يُظهرها ويتكلم بها للعامّة إلا مَنْ أراد أن يَضِلَّ أو يُضلّ والقضاء والقدر بحرٌ عميق اهـ (بهجة الطالبين).

(٢) قال سيدنا الإمام الحبيب عبدالله بن محسن العطاس رضي الله عنه: فعلى العبد أن يرضى بالقضاء من حيث هو قضاءٌ.. مطلقاً، وليس له أن يرضى بالمقضي من حيث هو شرٌّ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] ففرقٌ بين

يجب الإيمان شرعاً بالقضاء والقدر، وقد نهى الشارع عن الخوض في سر القدر، لأنه مما لا تدركه عقول البشر، ولهذا لا يجوز الاحتجاج على الله بالقضاء والقدر في شيء حتى على مذهب الجبرية المار آنفاً وأما أهم مباحثه: فهي مبحث أفعال العبد الذي تلقيته الآن في هذا الدرس.

قوله: (يجب الإيمان شرعاً بالقضاء والقدر الخ).

أركان الإيمان ستة منها: «وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى» وأول ما خلق الله تعالى القلم أي قلم القدرة فقال له تعالى: «اكتب» فقال ماذا أكتب يا رب؟ قال: «اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة» فجرى القلم بذلك وفي رواية: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام» قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢ – ٥٣] وقال تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ١ – ٢] فهذا هو القلم، وقيل أن أول شيء خلقه الله تعالى هو اللوح المحفوظ، وقيل نوره صلى الله عليه وسلم.

ومرةً خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وبيده كتابان، أي: مكتوبان، ثم قال في الكتاب الذي بيده اليمنى «هذا كتاب رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم لا يزيد فيهم ولا ينقص منهم»، ثم قال في الكتاب الذي بيده اليسرى: «هذا كتاب رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم لا يزيد فيهم ولا ينقص منهم» ثم نبذ الكتابين وقال: «فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة

القضاء والمقضي ولكن لا ينبغي أن يُنسب الشر إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال رضي الله عنه: ليس لمن يفعل شيئاً من المعاصي أن يحتج بالقضاء ويقول رضيتُ بالقضاء، فالقضاء لا يعلمه إلا الله، ونحن لا نعلم إلا المقضي، والمقضيُّ: هو الذي يظهر على العباد مما سبق به القضاء وله حكمان: إيجادي وهو الذي يظهر على الإنسان، وإيجابي: وهو وجوب التوبة من هذا الإنسان إذا كان في معصية فمن أتبَعَ الإيجاديَّ الإيجابيَّ بالتوبة من المعصية.. فقد رضي بالقضاء، ومن لم يتُبْ وقال رضيت بالقضاء.. فقد أخطأ، والحجة قائمةٌ عليه لأن الذي قضى عليه بالمعصية أوجب عليه التوبة منها، فكيف يخالف أمر الله ويقول: رضيتُ بالقضاء؟ اهـ. (بهجة الطالبين)

وفريقٌ في السعير» فقالت الصحابة: يا رسول الله أفلا نتكِلُ على كتابنا؟ فقال: «لا، اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له فمن كان من أهل الجنة فسيُيَسَّرُ لعمل أهل الجنة حتى يموت على عمله فيدخل الجنة ومن كان من أهل النار فسيُيَسَّر لعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخلها»[١] فلا يجوز الاتكال على القضاء والقدر

قوله: (وقد نهى الشارع عن الخوض في سر القدر الخ).

أي: وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا» فأمر بالإمساك عن الخوض في هذه الثلاثة الأشياء ولما سئل سيدنا علي كرم الله وجهه عن القضاء والقدر؟ قال: طريقٌ مظلمٌ.. فلا تسلُكْهُ وبحرٌ عميقٌ.. فلا تلِجْهُ، وسِرٌّ قد خفيَ عليك.. فلا تُفَتِّشْهُ، فيكفي أن تقول: آمنا بالله[٢].

قوله: (لأنه مما لا تدركه عقول البشر الخ).

نعم هذا مما لا تدركه العقول، ولهذا فالاحتجاج على الله تعالى بالقضاء والقدر هذا مذهب إبليس! لأن أول من احتج هو لما أخرجه الله تعالى من الجنة قال يارب: لماذا آخذتني بشيء قد كتبتَهُ عليَّ؟ لأن هذا مكتوب في الأزل والله تعالى قد قضى به فقال الله تعالى له: متى علمتَ أني كتبتُهُ عليك؟ قبل الفعل أم بعده؟ قال بعد الفعل، فقال الله تعالى: بهذا أخذتُك، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] فلا يمكن للإنسان أن يحتج إذا وقع في شيء من المعاصي ويقول:

---

(١) الحديث ذكره سيدي بمعناه في سياق الشرح [رواه الطبراني] في الأوسط الكبير والسيوطي [الجامع الكبير] وغيرهم.

(٢) أخرج البيهقي: عن الربيع بن سليمان قال: كنت جالساً عند الشافعي وذُكِرَ القدر فأنشأ يقول:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ.. لم يكنْ

خلقتَ العباد على ما علمتْ ... ففي العلم يجري الفتى والمُسِنْ

على ذا مننتَ وهذا خذلتْ ... وهذا أعنتَ وذا لم تُعِنْ

فمنهمْ شقيٌّ ومنهم سعيدْ ... ومنهم قبيحٌ ومنهم حسنْ

هذا مقدرٌ ومكتوب علي!! لا، لأن احتجاجه هذا أعظم من المعصية التي وقع فيها وهذا من فعل المشركين قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨] بل الذي ينبغي للإنسان إن فعل الخير.. إذا شاء ينظر إلى بدايته الذي هو توفيق الله وهدايته حتى ينتفي منه العُجب بالعمل.

واللهِ لـــــولا اللهُ مـــــا اهتـــــدَينا

لأن الله الذي وفقه لهذا الخير، وإن شاء ينظر إلى نهايته وهو الثواب ورضاء الله ودخول الجنة، لكنَّ النظر إلى البداية أكمل! حتى ينتفيَ عنه العجب، أما إذا عمل شرّاً فلا ينظر إلا إلى نهايته، وهو غضب الله وسخطه وناره، ولا ينظر إلى بدايته لأن ذلك سيحمله على الاحتجاج على القضاء والقدر، ويقول: هذا مكتوب ومقدّر علي، ولا يجوز الاحتجاج على القضاء والقدر حتى على مذهب الجبرية القائلين أن العبد ليس له كسب وإنما هو مقهور ومجبور كالريشة في الصحراء تفيئُها الريح لا يمكن له أن يحتج.

قوله: (وأما أهم مباحثه الخ).

أي أن أهم مباحث القضاء والقدر هي مبحث أفعال العبد والخلاف الذي فيها بين أهل السنة والمعتزلة والجبرية على ما تقدم.

الدليل العقلي على العلم هو: أنه لو لم يكن عالماً لكان جاهلاً، ولو كان جاهلاً لما كان مريداً.

قوله: (الدليل العقلي على العلم هو أنه لو لم يكن عالماً لكان جاهلاً الخ).

الدليل النقلي على العلم كثير كما جاءت به الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] وغير ذلك.

وأما الدليل العقلي على العلم فهو أن تقول كما هنا: أنه لو لم يكن عالماً لكان جاهلاً، ولو كان جاهلاً لما كان مريداً[١] وهكذا وقد ثبتت الإرادة له بالأدلة.

أو تقول: لو كان جاهلاً لما صحَّ أن يكون إلهاً، وكيف يكون جاهلاً وقد خلق السماوات والأرض وما بينهما، فهل كل هذا يتصور من جاهل؟ فلو كان جاهلاً لما أَوْجَدَ شيئاً من هذه المخلوقات فالله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء وهذا الكون هو صُنعُ الله العالمِ الخبير البصير.

---

(١) لأن الإرادة فرع العلم إذ الجاهل بالشيء لا يصح أن يريده.

الدرس الثاني عشر

في الصفة الثامنة وهي الإرادة، وما تعلق بها

الإرادة ويمعناها المشيئة عند الجمهور: صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه، كما أن القدرة تبرز ما خصصته به الإرادة.

مثاله: وجه الزنجي يجوز عليه البياض والسواد فالإرادة خصصته بالسواد والقدرة أبرزت ذلك السواد وهي من صفات المعاني.

ويشمل الممكنُ الخيرَ والشر عند أهل السنة، وقالت المعتزلة: لا تتعلق إرادة الله بالشرور والقبائح.

قوله: (الإرادة ويمعناها المشيئة[1] عند الجمهور الخ).

القدرة: هي صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامُهُ على وَفْقِ الإرادة، ووظيفة القدرة.. إبراز المعدوم وإعدام الموجود، فإن تعلقت بالمعدوم أوجدته، أو بالموجود.. أعدمته.

أما الإرادة فوظيفتها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه من ستة تقابلها أي: تخالِفُها ستة كما سيأتي، وهي: صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى كسائر الصفات، وهي من صفات المعاني، والإرادة والمشيئة بمعنى واحد.

والقدرة والإرادة لا تتعلقان إلا بالممكنات، فلا تعلُّقَ لهما بالواجبات ولا بالمستحيلات.

والإرادة هي التي تخصِّص أولاً، والقدرة هي التي تبرزه وتظهره كما في هذا المثال الذي أتى به الحبيب، فوجه الزنجي بل لون جميع جسده يجوز أن يكون أبيضَ ويجوز أن يكون أسودَ بل كل وجهٍ وليس فقط وْجه الزنجي، فالإرادة خصَّصت وجه

---

(١) وهي لغةً: مطلق القصد.

الزنجي بالسواد، فلا يقال لماذا لم يكن أبيض!! لأن الله تعالى هو الذي أراد أن يكون أسودَ فهذا خصصته إرادة الله.

والقدرة هي التي أبرزت ذلك السواد من العدم، وكذلك وجه التركي يجوز عليه السواد والبياض، لكن الإرادة خصصته بالبياض والقدرة أبرزت ذلك البياض من العدم.

قوله: (ويشمل الممكنُ الخيرَ والشر الخ).

أي لما قال في التعريف يخصص بها الممكن.. فالممكن يشمل الخير والشر، وإرادة الله تعالى تتعلق بالخير والشر كما قال سيدنا الحداد في راتبه: والخير والشر بمشيئة الله، بخلاف الأمر والرضا فلا يتعلقان إلا بالخير كما تقدم، وهذا مذهب أهل السنة، وما يوهِمُ عندنا من أن الشرَّ ليس بمشيئة الله كما في الدعاء (والشر ليس إليك).. فمعناه: لا ينسب ولا يضاف إليك أدباً كما في قوله تعالى حكايةً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] أو معناه: لا يُتقرب به إليك أدباً.

أما المعتزلة فيقولون: إن إرادة الله تعالى لا تتعلق بالشرور والقبائح، لأنه لو أرادهما لمَا عذّب عليهما، ولا نقول أن هذا أدبٌ منهم بل هو نفي لبعض تخصصات الإرادة[1] فالله سبحانه أراد الخير وأراد الشر، لكن الخير أراده وأمر به ورضيه.

وأما الشر فإنه أراده ولم يأمر به ولم يرضه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]

ويحكى أن القاضي عبد الجبار[1] وهو من رؤساء المعتزلة اجتمع في مجلس مع الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وهو من أكابر أهل السنة، فقال عبدالجبار: سبحان

---

(١) لأنه يلزم من كلام هذه الطائفة أن كثيراً من أفعال العِباد واقعٌ على خلاف مراده تعالى.. وهو شنيعٌ جداً. اهـ (فتح العلام)

من تنزَّه عن الفحشاء، يعني بذلك أن الله تعالى يريد الخير ولا يريد الشر، كما هو مذهب المعتزلة ينسبون الخير إلى الله والشر إلى العبد، فقال الأستاذ أبو إسحاق مجيباً له بعد أن فهم أنه قال هذا الكلام على سبيل الاعتراض على أهل السنة: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء فقال عبدالجبار: أيُريد ربنا أن يُعصَى؟ أي إذا كان الأمر كما تقول أنت، فقال الأستاذ: أيُعصَىٰ ربُّنا قهرا؟ فقال عبدالجبار: أرأيت إن منعني الهُدى وقضَى عليَّ بالردى.. أحْسَنَ إليَّ أَمْ أساء؟ فقال الأستاذ أبو إسحاق: إن منعك ما هو لك.. فقد أساء، وإن منعك ما هو له.. فهو يختصُّ برحمته من يشاء، فانقطع عن الجواب كأنه ألقمهُ حجراً[٢].

وكذلك قصة الإمام الشافعي لما دخل عليه إبليس في صورة آدمي وقال: يا إمام.. ما تقول فيمن خلقني لِمَا اُختارْ!! واستعملني فيما اُختارْ!! ثم إنْ شاء أدخلني الجنةَ وإن شاء أدخلني النارَ؟! أعدَلَ في ذلك أم جارْ؟؟ قال الإمام الشافعي: فنظرتُ في مسألته فألهمني الله تعالى أن قلتُ: يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت.. فقد ظلمك، وإن خلقك لما يريد هو.. فـ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فاضمحلَّ إبليس، وقال له: لقد فتنتُ بهذا سبعين ألفاً من العُبَّاد أخرجتُهم من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة لكن إنما أخرجهم بسبب جهلهم حيث لم يكن معهم أساس من العلم كما حصل للإمام عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه حين كان يتعبد في خلوته وإذا بنورٍ سطع من موضع خلوته إلى عنان السماء فإذا بهاتفٍ يُسمع من

---

(١) هو: عبدالجبار الهمداني المعتزلي قاضي قزوين حين دخل على الصاحب بن عبَّاد وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني.

(٢) اختلف العلماء في جواز نسبة الشر والقبح كالكفر والمعاصي إلى الله تعالى، كأن يقال: خلق الله، أو أراد الله كفر زيد وزنا عمرو (سبحان الله) والراجح جواز ذلك في مقام التعليم دون غيره، وهذا الخلاف جارٍ أيضاً في نسبة الأمور الخسيسة إلى الله تعالى، كأن يقال الله خالق القردة والخنازير والأصح الجواز في مقام التعليم فقط. اهـ (فتح العلام)

فالأدب عدم نسبة شيء من الشرور والقبائح إليه عز وجل وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] أي كسباً بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨].

ذلك النور يقول: يا عبدي عبدالقادر لقد أسقطت عنك التكاليف، وفي رواية: وأبحت لك المحرمات، قال: فعلمت أنها مكيدة من الشيطان ونظرت أن الله تعالى لم يسقط التكاليف عن أحد من الأنبياء ولا حتى سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم فكيف يسقطها عني، فقلت: إخسأ يا لعين فجعل ذلك النور ينقص شيئاً فشيئاً حتى صار رماداً أسود فقال لي: بماذا حفظك الله من هذه المكيدة وقد فتنت بها كذا كذا من العباد أخرجتهم إلى ديوان الزندقة؟ فقلت: بالعلم.

تخصص الإرادةُ الممكنَ بأحد المتقابلين (المتنافيين) من الممكنات المتقابلات الست[1] وهي:

١- الوجود ويقابله العدم. ٢- والصفات يقابل بعضها بعضاً كالسواد يقابله البياض أو الحمرة مثلاً، والجمال ويقابله القبح وهكذا. ٣- والأزمنة يقابل بعضها بعضاً كالقرن الأول ويقابله القرن الثاني أو الرابع عشر مثلاً. ٤- والأمكنة يقابل بعضها بعضاً، كشبه الجزيرة العربية ويقابلها الهند أو الصين مثلاً ٥- والجهات يقابل بعضها بعضاً، كالشرق ويقابله الغرب وفوق ويقابله تحت وهكذا. ٦- والمقادير يقابل بعضها بعضاً، كالثُّقْلِ وتقابله الخفة والطول ويقابله القِصَرُ مثلاً، وقد نظم بعضهم الممكنات المتقابلات في بيتين وهما:

الممكنـــــاتُ المتقـــــابلاتُ ... وجودنـــا والعـــدم الصـــفاتُ

أزمنـــــةٌ أمكنـــــةٌ جهـــــاتُ ... كـــذا المقـــاديرُ روى الثقـــاةُ

قوله: (تخصيص الإرادة الممكن بأحد المتقابلين الخ).

الكلام على الممكنات التي تخصصها الإرادَةُ بأحد المتقابلين وهي ستة، ما هي؟..

الأول: الوجود ويقابله العدم لأنهما نقيضان فالوجود والعدم كما قلنا لكم ككفتي الميزان لا يمكن لأحدهما أن يترجح على الآخر إلا بمخصِّص والذي خصَّص وجود العالم على عدمه أي رجَّحه.. هي إرادة الله تعالى والقدرة أبرزته وإلا لكان العالم في حيز العدم بل العدمُ هو الأصل فالذي رجح وجوده على عدمه هو وجود الخالق والصانع والموجد جل وعلا.

الثاني: الصفات يقابل بعضها بعضاً كالسواد يقابله البياض والجمال يقابله القبح فكون هذا الشيء جميلاً ولم يكن قبيحاً!! ذلك لأن الإرادة تعلقت به وأبرزته القدرة هكذا، وهذا أراد الله تعالى كونه قبيحاً، فكل شيء بإرادة الله تعالى، والسعادة كذلك

---

(١) الكلام على الممكنات المتقابلات الست.

تقابلها الشقاوة، والغنى يقابله الفقر، فهذا كله بإرادة الله وقد ورد: «إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لكفر، ومنهم من لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لكفر، ومنهم من لا يصلح له إلا المرض ولو عافيته لكفر..الخ».

الثالث: الأزمنة يقابل بعضها بعضاً، فأنت مثلاً لماذا وجدت في هذا الزمان ولم توجد في زمان الصحابة أو في زمن الإمام الشافعي؟ والإمام الشافعي لماذا وجد في زمانه ولم يوجد في زماننا هذا؟.. ذلك لأن إرادة الله تعلقت بهذا كلِّه، ونحنُ أراد اللهُ سبحانه أن نكون في هذا القرن الرابع عشر.

الرابع: الأمكنة يقابل بعضها بعضاً فأنت مثلاً موجودٌ في جزيرة العرب ولم تكن موجوداً في الهند ولا في الصين فهذا بإرادة الله تعالى.

الخامس: الجهات يقابل بعضها بعضاً فكون فلان في المشرق وهذا في المغرب وهذا في الجنوب وهذا في الشمال.. كله بإرادة الله تعالى، وكون الملائكة فوق وبني آدم تحت كذلك، وقس عليه.

السادس: المقادير يقابل بعضُها بعضاً كالثُّقل تقابله الخفةُ، فكون الحديد ثقيلاً والقطن خفيفاً وفلان طويلاً وفلان قصيراً هذا كله أراده الله تعالى، وهكذا.

وهذه المتقابلات الست نظمها بعضهم بقوله كما هنا:

المكنـــاتُ المتقـــابلاتُ وجودُنـــا والعـــدمُ، الصـــفاتُ
أزمِنَـــةٌ، أمكنـــةٌ، جهـــاتُ كـــذا المقـــاديرُ.. روى الثقـــاتُ[1]

فالأولى: الوجود والعدم، والثانية: الصفات، والثالثة: الأزمنة، والرابعة: الأمكنة، والخامسة: الجهات، والسادسة: المقادير.

---

(١) معنى كونها متقابلات.. أي: متنافيات ومتخالفات فالوجود يقابل العدم وبالعكس.

أما الواجب والمستحيل فلا تتعلق بهما كالقدرة، لأنها إذا تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه لأن عدَمَهُ مستحيل، ولا يصح أن توجده لأن ذلك تحصيل حاصل، وإذا تعلقت بالمستحيل فينعكس ما قيل في الواجب.

قوله: (أما الواجب والمستحيل فلا تتعلق بهما كالقدرة الخ).

لما قلنا أن القدرة والإرادة لا تتعلقان إلا بالممكنات ولا تتعلقان بالواجبات ولا بالمستحيلات!! لماذا؟ لأنه يستحيل ذلك فلا يمكن أن تقول: هل الله تعالى قادرٌ على أن يخلق إلهاً آخر؟ أو هل هو قادرٌ على أن يخلق له ولداً؟ سبحانه وتعالى عن ذلك لأن ذلك مستحيل لأن الإرادة والقدرة لا تتعلقان بذلك لأنها إذا تعلقت بالواجب كفرض مثال فأعدمَتْهُ.. يلزم من ذلك قلبُ الحقيقة فيصير الواجب مستحيلاً، وأيضاً الواجب كما تقدم معنا هو ما لا يتصور في العقل عدمه، فكيف تعلقت به وأعدمته؟ فلا يصح أن تعدمه لأن عدَمَهُ مستحيل، وإذا تعلقت بوجود الواجب ! كيف وهو موجودٌ بالفعل؟ فيكون هذا تحصيلُ حاصل، وإذا تعلقت بالمستحيل فلا يصح أن توجده! لأن المستحيل هو الذي لا يتصور في العقل وجوده، فلا يصح أن توجده، فلو مثلاً أوجدته.. فيلزم من ذلك قلب الحقيقة فيصير المستحيل واجباً، وإذا تعلقت بإعدام المستحيل، فكيف يكون ذلك وهو معدومٌ بالفعل أي حقيقةً فيكون هذا تحصيل حاصل فهو بعكس ما قبله[1]

---

(١) قال العلامة الباجوري في شرح الجوهرة: وما في اليواقيت للشعراني عن ابن العربي أن الله تعالى يقدر على خلق المحال عقلاً، وأنه دخل الأرض المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم وهي مدينة إنما تدخلها الأرواح فرأى فيها ذلك بعينه.. كلام لا يجوز اعتقاد ظاهره وقد نُقِلَ أنه مدسوسٌ عليه وقد شنَّع السنوسي في شرح الصغرى على ابن حزم في قوله: الله قادر أن يتخذ ولداً وإلا لكان عاجزاً!! ولم يقل أن العجز إنما يكون إذا كان المتعلق من وظائف القدرة بأن يقبل الوجود لذاته ويلزم عليه أن المولى قادرٌ على إعدام قدرته بل وعلى إعدام ذاته (سبحانه) وفي ذلك غاية الفساد. اهـ

هل الإرادة بمعنى الرضا أم لا؟

مذهب أكثر أهل السنة أن الإرادة ليست بمعنى الأمر ولا بمعنى الرضا، ولهذا قد يريد الله شيئاً ويأمر به ويرضاه، كإيمان من علم إيمانَهُ فإنه أرده وأمر به ورضيه.

وقد لا يريد شيئاً ولا يأمر به ولا يرضاه ككفر من علم إيمانه فإنه لم يرده ولم يأمر به ولم يرضه، وقد يريد شيئاً ولا يأمر به ولا يرضاه، ككفر من علم كفره، فإنه أراده ولم يأمر به ولم يرضه، وقد يأمر بشيء ويرضاه ولا يريده كإيمان من علم كفره، فإنه أمر به ورضيه ولم يرده، وقال غيرهم من المعتزلة: إن الإرادة لا تُغايِرُ الأمر والرضاء فلا يريد إلا ما يأمر به ويرضاه.

قوله: (مذهب أهل السنة الخ).

عندهم ثلاثة أشياء إرادة وأمر ورضا: هل هذه الثلاثة مترادفة أو هناك فرق بينهما؟ هذه مسألة خلافية بين أهل السنة والمعتزلة.. فأكثر أهل السنة يقولون أن الإرادة ليست بمعنى الأمر والرضا فهي تغايرهما، أما الأمر والرضا فإنهما متلازمان، وعليه فللأشياء أربعة أحوال تدل على هذا التغاير، الأول: أن الله تعالى قد يريد شيئاً ويأمر به ويرضاه -اجتمعت الثلاثة كلها- كإيمان من علم إيمانه، كإيمان سيدنا أبي بكر الصديق وكإيمان الإمام أبي حنيفة وكإيمان الإمام الشافعي فهذا أراده الله تعالى وأمر به ورضيه ولو لم يُرِده لما كان حاصلاً، قال صاحب الزبد:

لم يزَلِ الصدِّيقُ فيما قد مضى — عند إلهه بحالة الرضا

الثاني: أن الله تعالى: قد لا يريد شيئاً ولا يأمُر به ولا يرضاه.. -انتفت الثلاثة كلها- ككُفرِ من علم إيمانه، ككفر سيدنا أبي بكر الصديق وكفر الإمام الشافعي، فهذا لا يريدهُ الله ولا أمر به ولا رضيه، لأنه لو أراده.. لحصل وعدم حصوله دلَّ على أن الله تعالى لم يرده ولم يأمر به ولم يرضه.

الثالث: أن الله تعالى قد يريد شيئاً، ولا يأمر به ولا يرضاه.. ككفر من علِمَ كفرَه.. ككفر أبي جهل فهذا أراده الله، ولو لم يُرده لما حصلَ، لكن هل أمر به ورضيه؟ لا.

الرابع: أن الله تعالى قد يأمر بشيء ويرضاه ولا يريده. كإيمان من علمَ كفره.. كإيمان أبي جهل فإنه لم يُرِده ولو أراده لأسلم ولكنه أمر به ورضيه لأنه أمر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى الإسلام فهو يرضاه ولم يرده لأنها سبقت عليه الشقاوة في الأزل، فهذه الأربعة الأقسام هي مذهب أهل السنة والجماعة تدل على المغايرة بين الإرادة وبين الأمر والرضاء.

قوله: (وقال غيرهم من المعتزلة أن الإرادة الخ).

أي أما عند المعتزلة فإن الإرادة لا تغاير الأمر والرضا فلا يريد إلا ما يأمر به ويرضاه وغير ذلك لا يريده[1]

والإنسان قد يستشكل !! كيف يأمر الله بشيء وهو لا يريده؟ مثلوا لذلك بمثال: إذا كان شخص عنده عبد وهذا العبد مخالفٌ له ليس تحت أمره، وأراد أن يشتكيَ عبدَهُ إلى الأمير أو الملك، فحضر العبدُ عند الملك فأمرَهُ السيدُ بشيء لا يريده (أي السيد) وإنما يريد أن يُقيم الحجة عليه حتى يعلمَ الملكُ أن هذا العبدَ غيرُ ممتثلٍ لأمره لأنه لو لم يفعل السيدُ ذلك واقتصر على شكواهُ بالقول فقط فإن العبدَ سيُنكر لا محالة ويقول للملك: إنه دائماً ممتثلٌ لأمر سيِّده، فأمره السيِّدُ بشيءٍ لا يريده ولكن ليُظهر للملك أن عبدَهُ عاصٍ.. ليُعاقبه، ولله المثل الأعلى، فالله قد يأمر بشيء وهو لا يريده حتى يقيمَ الحجةَ عليه.

---

(١) وذهب الكعبي ومعتزلة بغداد إلى أن إرادته تعالى لفعل غيره.. أمرُهُ به، ولفعله.. علمُه به. اهـ (الباجوري الجوهرة)

تعلق الإرادة مع ما تختص به

للإرادة مع ما تختص به تعلقان: الأول صلاحي قديم، وهو صلاحيتها للتخصيص في الأزل، كزيد مثلاً فإنه صالح في الأزل باعتبار هذا التعلق لِأَنْ تخصصه بأن يكون موجوداً أو يكون معدوماً.

قوله: (للإرادة مع ما تختص به تعلقان الخ).

تقدم معنا تعريف الإرادة بأنها صفة قديمة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من ستة تقابلها ستة، وما معنى التعلق؟ معنى التعلق: طلبُ الصفة أمراً زائداً على قيامها بالذات[1]، وصفات المعاني منها ما تعلقه عام، وهما: العلم والكلام، لكن تعلق العلم تعلق انكشاف، أي: ينكشف لله تعالى به جميع الأشياء من غير سبق خفاء، وأما تعلق الكلام.. فهو: تعلق دلالة، أي: دلَّ كلامه على الواجبات والجائزات والمستحيلات.

وأما الإرادة والقدرة فلا يتعلقان إلا بالممكنات والجائزات فلا يتعلقان بالواجبات ولا بالمستحيلات.

ومنها ما ليس له تعلق وهي الحياة، ثم إن صفات الله تعالى منها ما هو صفاتُ كمالٍ، أي: ليس لها تأثير في الإيجاد والإعدام، وهي السمع والبصر والكلام[2].

ومنها ما هو صفاتُ تأثيرٍ، أي: له تأثير في الإيجاد والإمداد والإعدام، وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة، وبين هذه الأربعة تلازم!! لأن القدرة تستلزم الإرادة، فالإنسان مثلاً كيف يفعل شيئاً وهو لا يريده، فهذا مستحيل، والعلم يستلزم القدرة، فكيف أن الإنسان مثلاً يريد شيئاً وهو غير عالم به، وهذه الثلاثة.. الحياةُ

---

(١) وقيل: نسبةٌ بين المتعلِّق والمتعلَّق به، من النسب الإضافية التي يدركها الذهن، ولا وجود لها في الخارج.

(٢) يجب الاعتقاد أن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر وأن الانكشاف بهما غير الانكشاف بالعلم، ولكلٍّ حقيقةٌ يُفَوَّضُ علمها إلى الله سبحانه وتعالى وليس الأمر على ما نعهدهُ من أن المشاهدة تفيد وضوحاً فوق العلم !! لأن جميع صفاته تعالى كاملة وليس سمعه وبصره بآلةِ أذن وعين لأنه تعالى ليس جِسْماً ولا مُرَكَّباً. اهـ (فتح العلام)

تستلزمها كلَّها، لأن العلم والإرادة والقدرة لا تصدر إلا عمَّن هو حي، فبين هذه الصفات الأربع تلازم، وهنا قال الحبيب: إن للإرادة مع ما تختص به تعلقان: الأول صلاحي قديم، وهو صلاحيتها للتخصيص في الأزل، وهو علم الله القديم، كزيد مثلاً أو غيرِه، فإنه صالحٌ في الأزل لأَنْ تخصِّصَهُ الإرادةُ باعتبار هذا التعلق الصلاحي أن يكونَ موجوداً أو معدوماً، فإذا تعلقت القدرة بإيجاده ووجد زيد.. فهذا تعلق تنجيزيٌّ حادث، وسيأتي الكلام عليه في تعلقات القدرة، كما إذا كان هناك مثلاً مهندسٌ كبير يستطيع أن يبنيَ قصراً أو نحوَه فإنه قبل أن يصنَعَهُ هو صالحٌ للبناء، وإن كان لم يفعله الآن، لكن في إمكانه أن يفعلَهُ فهذا معنى التعلق الصلاحي أو الصلوحي، فإذا أنشأ القصرَ وبناه.. فهذا تعلق تنجيزي حادث، وهذا مثال تقريبي.

ويحكى أن الملك النعمان بعد أن بنى له المهندس سنمّار قصراً كبيراً جميلاً وكان قد طلب منه أن يبني له أجمل قصر على الإطلاق؛

صعد معه إلى سطح القصر. وسأله هل تستطيع أن تبني أحسن من هذا القصر، فقال: نعم، فأمر جنوده أن يلقوه من أعلى القصر. فمات خوفاً من أن يبني أحسن منه لغيره فصار هذا مثلاً لمن يعمل خيراً ويكافئ بشر.

والثاني تنجيزي قديم، وهو تخصيص الله الممكنَ بالصفة التي هي فيه كطول عُمْرٍ فإن الإرادة خصصته به في الأزل، وهذا معنى القضاء عند الأشاعرة كما مر في الدرس الحادي عشر، وأما تخصيص الله الشيءَ بصفةٍ حالَ وجوده.. فهو إظهار للتنجيزي القديم، وجعله بعضهم تعلقاً تنجيزياً حادثاً.

قوله: (والثاني تنجيزي قديم وهو تخصيص الله الممكن الخ).

كما قلنا أن التعلق الثاني تنجيزي أي خصصته الإرادة بصفة قدرها الله في الأزل، كطول عُمْرِ زيدٍ مثلاً في الأزل وهذا هو معنى القضاء عند الأشاعرة، كما إذا أراد المهندس أن يعمل شيئاً كبناء أو نحوه، فإنه أولاً يصوره في ذهنه أو في خريطةٍ فالقضاء بمنزلة التصوير في الذهن أو الخريطة وهذا معنى تخصيص الله للممكن بالصفة التي هي فيه، وتنفيذه بمنزلة القدر كما تقدم.

وأما تخصيصُ اللهِ الشيءَ بصفةٍ حالَ وجودِه لا في الأزل.. فهو إظهار للتنجيزي القديم، كما قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] أي: من قبل أن نظهرها ونحدثها، وإلا فهو قد سبق في علم الله تعالى أنه مكتوب، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢] بأن يكون كذا وكذا، فهي شؤن يبديها ولا يبتديها ومثل السعادة والشقاوة والرزق وطولِ العمر، فإنها قد سبقت في علم الله تعالى، فإذا تعلقت الإرادة بها.. أوجدتها القدرة، وهذا معنى إظهارها، وجعل بعضهم هذا التعلق: تنجيزياً حادثاً، لأنه قد وجد، فهو بالنظر إلى إظهاره، أما بالنظر إلى أنه قد سبق في علم الله تعالى فهو قديم، كما في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥] فما معنى ﴿مُحْدَثٍ﴾ مع أن القرآن قديم؟ يعني إنزاله وإظهاره الذي هو مُحدَث، أما هو.. فقديم، لأن كلام الله قديم.

الدليل العقلي على الإرادة: أن نقول: لو لم يكن مريداً لكان كارهاً، ولو كان كارهاً لكان عاجزاً، أو نقول: الله صنع العالم بالاختيار، وكل من كان كذلك وجبت له الإرادة، فالله وجبت له الإرادة.

قوله: (الدليل العقلي على الإرادة أن نقول: لو لم يكن مريداً الخ).

الدليل العقلي على الإرادة ظاهر، بأن نقول: لو لم يكن مريداً لكان كارهاً، أي مُكرَهاً ولو كان كارهاً لكان عاجزاً لأن المُكرَهَ عاجزٌ حيث أنه لا يقدر على تنفيذ ما يريد، فإذا كان عاجزاً.. لما وجدت هذه المخلوقات والمصنوعات وغير ذلك، لأنه لا يُوجد هذه الأشياء إلا من هو قادر، وكيف يكون ذلك وقد ثبتت إرادته، لأن هذه المخلوقات قد وجدت بإرادته جل وعلا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤-١٦] فهذا هو دليل الإرادة العقلي، أو نقول: أن الله سبحانه صنع العالم بالاختيار والفاعل بالاختيار لا يكون إلا الله سبحانه وتعالى كما تقدم[(١)] إن شاء فعل وإن شاء ترك كما قال صاحب الزبد:

خلقـــهُ لا لاحتياجـــهِ الإلهْ ... ولـــو أراد تَرْكَـــهُ لمـــا ابْتـــداهْ

فهذا بالاختيار.. وكل من كان كذلك، يعني: يصنع بالاختيار.. وجبت له الإرادة، وهذا دليل عقلي آخر.

---

(١) أي في تقسيم الفاعل إلى ثلاثة أقسام: الأول فاعل بالاختيار. الثاني: فاعل بالطبع. الثالث: بالعلة.

الدرس الثالث عشر

في الصفة التاسعة وهي القدرة وتعلقاتها

وفي الصفة العاشرة وهي الحياة

القدرة: القدرة صفة قديمة أزلية قائمة بذات ربنا جلَّ وعلا يوجد بها ويعدم ومن صفات المعاني، وتختص بالممكنات دون الواجبات والمستحيلات كما مر هناك في الدرس الثاني عشر.

تعلقات القدرة وأقسامها: للقدرة تعلقان:

١- صلاحي قديم، وبعبارة أخرى صلوحي قديم، وهو: صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام. ٢- وتنجيزي حادث، وهو تعلقها بالممكنات إيجاداً وإعداماً بالفعل، وقال الأشعري: لا تتعلق بالممكنات من حيث الإعدام، بل إذا أراد الله إعدام شيء قطع عنه الإمدادات.

قوله: (القدرة صفة قديمة أزلية الخ).

القدرة قريبة من الإرادة إلا أن وظيفة القدرة الإيجاد والإعدام كما قلنا لكم، والإرادة وظيفتها التخصيص[1]، وهي أي: القدرة صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

فإذا أراد الله تعالى شيئاً فالقدرة هي التي تتعلق بذلك الشيء وتوجده بعد تخصيص الإرادة له، وهي كالإرادة تختص بالممكنات كما تقدم دون الواجبات والمستحيلات فتعلقهما واحد.

كذلك للقدرة تعلقان وأقسام كما سيأتي فالتعلق الأول: صلاحي قديم كما تقدم في الإرادة أو صلوحي قديم بمعنى أن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاد أيِّ شيء يريده

---

(١) أي تُخصِّص الممكن ببعض ما يجوز عليه.

من الممكنات فلا يلحقها عجز، وإن كان ذلك الشيء لم يوجد لكن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاده فلا نقول أن الشيء إذا كان غير موجود أن الله تعالى غير قادر على إيجاده؟! لا، لأن قدرة الله صالحة لإيجاده[1] وهذا تعلق في الأزل فإذا أوجدَتْ ذلك الشيء صار تنجيزياً حادثاً.

والثاني: تنجيزي حادث وهو تعلقها بالممكنات إيجاداً وإعداماً بالفعل، لا أنها صالحة له فقط كالتعلق الصلوحي، لأنه قد وجد ذلك الشيء أي أوجدته القدرة بالفعل والأول ليس بالفعل وإنما بالقوة كما يذكرون الفقهاء في السماع بالقوة وبالفعل، ما هو الفرق بينهما؟ السماع بالقوة أي لو زال ذلك العارض من لغطٍ ونحوه لسمع، وأما بالفعل أن يسمع بالفعل وهذا التنجيزي هو تعلقها بالممكنات إيجاداً وإعداماً بالفعل.

قوله: (وقال الأشعري: لا تتعلق بالممكنات من حيث الإعدام الخ).

أي هذا قول الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وهو أن القدرة لا تتعلق بالممكنات من حيث الإعدام وإنما من حيث الإيجاد فقط وأما الإعدام فإذا أراد الله إعدام شيء.. قطع عنه الإمدادات.. فيُعدَمَ، لا أنَّ القدرة تتعلق بإعدامه كتعلقها بالإيجاد، لأن الشيء إنما يقوم بإمداد من الله تعالى، أَيَّ شيءٍ كان، فإذا قطع الله تعالى عنه ذلك الإمداد.. فني ذلك الشيء والخلاف إنما هو لفظي[2]

---

(١) يحكى أن إبليس –لعنه الله- سأل سيدنا إدريس عليه السلام: هل يقدر المولى أن يدخل الدنيا في قشرة بندقة؟ فَنَخَسَهُ في عينه بالإبرة ففقأها قال بعضهم: وأرجو أن تكون اليمنى.

وقال له: إن المولى قادر أن يدخل الدنيا في سم الخياط، بمعنى أنه يصغِّر الدنيا أو يوسِّع سم الخياط، وإلَّا كان مُحالاً فإن تداخُل الأجرام المتكاثفة واجتماعها في حيِّزٍ واحد.. مستحيل وإنما لم يُفَصِّل سيدنا إدريس عليه السلام الجواب لإبليس.. لأنه مُتَعَنِّت، وشأن المتعنِّت الزجر، وإنما فقأ عينه لأنه أراد بهذا السؤال إطفاء نور الإيمان، فأطفأ نور بصره لأن الجزاء من جنس العمل. اهـ (الباجوري على الجوهرة).

(٢) قال بعض العارفين:

يـا مَـنْ بـأسرعَ مـن لحـظٍ يُمَـدِّدُني   في كُـلِّ أسرَعِ مـــن لحــظٍ بإيجــادِ

إذ لـولا ألايجـادُ بالإمـدادِ صرتُ فنـا   إذْ لا يــدومُ وجـــودٌ دون إمـــدادِ

كما اختلفوا هل تتعلق القدرة والإرادة بالشيء الممكن الذي يعلم الله تعالى أنه لا يوجد في الأزل، كولد العقيم وإيمان أبي جهل.. فبعضهم يقول.. لا تتعلقان به نظراً إلى جريان علم الله تعالى أنه لا يكون، أي لأنه عَلِمَ الله تعالى أنه لا يوجد، فيكون كالمستحيل.

وبعضهم قال: أنهما صالحتان لذلك.. بناءً على تعلقهما به نظراً إلى أصله في الأزل.

وينقسم تعلقها التنجيزي الحادث فيما يتعلق بنا إلى ثلاثة أقسام:

١- إيجادنا بالفعل بعد العدم. ٢- وإعدامنا بالفعل بعد الوجود.٣- وإيجادنا بالفعل بعد البعث ونحوه.

ويزاد على هذين القسمين: تعلق القبضة: بمعنى أن الممكن في قبضة القدرة، إن شاءت أبقته على حاله، وإن شاءت أعدمت الموجود وأوجدت المعدوم من الممكنات، وهو على ثلاثة أقسام:

١- تعلقها بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا.٢- وباستمرار الوجود بعد العدم. ٣- وباستمرار العدم بعد الوجود.

قوله: (وينقسم تعلقها التنجيزي الحادث فيما يتعلق بنا الخ).

أي ينقسم التعلق الثاني للقدرة وهو التنجيزي الحادث فيما يتعلق بنا معاشر المخلوقين إلى ثلاثة أقسام:

الأول: إيجادنا بالفعل بعد العدم كما قال الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١] أي ثُمَّ كان مذكورا، لأن العالم كله كان معدوماً فأوجده الله تعالى من العدم، وهذا معنى الحادث، فالقدرة تعلقت بوجودنا.. فوُجِدنا.

الثاني: إعدامنا بالفعل بعد الوجود، كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ * وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فالناس كلهم موتى وكل الخلائق كذلك حتى لا يبقى إلا الحق جلَّ وعلا قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

الثالث: إيجادنا بالفعل بعد البعث ونحوه، وهي النشأة الأخرى[1] وهي إحياءُ الله للخلائق وخروج الناس من قبورهم للبعث، لكِنْ هذه النشأة ليس بعدها إعدام مرة أخرى، وإنما حياة سرمدية أبدية، أهل الجنة في النعيم الدائم، وأهل النار في العذاب السرمد، قال الإمام الشافعي رحمه الله: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وليس بعد هذه الساعة إلا ساعتين إما ساعة نعيم دائم، أو ساعة عذاب دائم.

وذكر الحبيب أنه يزاد على هذين التَعَلُّقين تعلق ثالث وهو: تعلق القبضة، لأن كل شيء هو في قبضة الحق سبحانه وتعالى، أي تحت إرادته ومشيئته، كما يقال: فلانٌ في قبضتي، أي: تحت تصرفي وتحت حكمي، فالممكن في قبضة القدرة إن شاءت أبقته على حاله بدون تصرف فيه، وإن شاءت أعدمت الموجود، فإن تعلقت بالموجود أعدمته وإن تعلقت بالمعدوم أوجدته، لأنه تحت القبضة وهذا التعلق الأخير على ثلاثة أقسام:

الأول: تعلقها بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا، أي: بإمكانها أن نستمر في العدم ولا نوجد أبداً.

الثاني: باستمرار الوجود بعد العدم، فهذا ممكن كأهل الجنة، أي: نستمر ولا نُعدَم.

الثالث: باستمرار العدم بعد الوجود، وكذلك هذا ممكن، بحيث لا يبعثنا الله تعالى بعد الموت.

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٤٧] وقال عز من قائل عليم: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

أما العدم الأزلي، فلا تتعلق القدرة به، لأنه واجب كما أنها لا تتعلق بوجودنا بعد البعث، لكن شرعاً لا عقلاً، فأقسام القدرة سبعة بالتفصيل.

قوله: (أما العدم الأزلي فلا تتعلق القدرة به الخ).

الأصل في الأشياء العدم، ثم أوجدها الله تعالى، ولا هناك قديم غير الله تعالى، كان الله ولم يكن ثَمَّ غيرُه، وكان عرشه على الماء[1]، والقدرة لا تتعلق بالعدم الأزلي لأنه واجب وإنما تتعلق بالممكنات، فلا تعلق لها بالواجبات ولا بالمستحيلات، وهي كذلك لا تتعلق بوجودنا بعد البعث، لأنها لو تعلقت به لأعدمتنا، والإنسان بعد البعث لا يعدم لأنها حياة سرمدية أبدية، وهذا من جهة الشرع، أما من جهة العقل فهو ممكن كما تقدم معنا في رؤية الحق جل وعلا في الدنيا فإنها غير ممكنة شرعاً لكن ممكنة عقلاً.

وذكرنا لكم أنهم اختلفوا في الممكن الذي يعلم الله تعالى أنه لا يوجد في الأزل هل تتعلق القدرة به أم لا؟ كولد العقيم، فهو ممكن وليس مستحيلاً، لكن عَلِمَ الله أنه لا يوجد.. فهل القدرة تتعلق به أم لا؟[2]، وكذلك إيمان أبي لهب فإنه ممكن من الممكنات ولكن يعلم الله أنه لا يوجد فهل تتعلق القدرة به أم لا؟

قال بعضهم: تتعلق به القدرة.. نظراً إلى أصله في الأزل لأن أصلَه ممكن، وقدرة الله متعلقة بالممكنات، وبعضهم قال: لا تتعلق به القدرة نظراً إلى جريان علم الله تعالى بعدم وجوده.

---

(١) حديث شريف كما في البخاري وغيره.

وسئل سيدي نفع الله به ما معنى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] فأجاب بقوله: كان الله ولم يكن غيره ثم خلق الماء ثم خلق العرش على الماء، بعضهم قال فوق السماوات السبع فالأرض طبقات بعضها أسفل من بعض والسماوات درجات بعضها أعلى من بعض وما بين الأرض العليا التي نحن عليها وبين السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وما فوقها خمسمائة عام وفوق السماء السابعة الماء وفوق الماء العرش وليس معنى ذلك إثبات الجهة فالكلام على العرش لا على ذات الله سبحانه وتعالى.

(٢) والإرادة كالقدرة في ذلك.

الدليل العقلي على القدرة: هو أن نقول: لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لما أحدث شيئاً من المخلوقات، كيف وهي محدثة.

الحياة: الحياة صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى تصحح له الاتصاف بصفات المعاني كالقدرة، والإرادة، والعلم.

قوله: (الدليل العقلي الخ).

هذا ظاهر أن تقول لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً ولو كان عاجزاً لم يوجد شيء من هذه المخلوقات لأن العاجز لا يقدر على فعل شيء، فكيف بخلق السماوات والأرض؟ وكيف يكون عاجزاً وقد أوجدها الله بالفعل؟.

قوله: (الحياة صفة قديمة الخ).

الحياة: هي صفةٌ أزلية قديمةٌ تصحح من قامت به أن يتصف بصفة الإدراك[1] وصفة الإدراك، أي صفات المعاني كلها، وصفة الحياة ثابتة في كتاب الله قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾[الفرقان: ٥٨] وقال: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ ﴾[غافر: ٦٥] وهذه الصفة ليس لها تعلق بالواجبات ولا بالجائزات ولا بالمستحيلات وإنما وظيفتها أنها تصحّح له الاتصاف بصفات المعاني فلا يتصف بالقدرة إلا من هو حي ولا بالإرادة إلا من هو حي ولا بالعلم إلا من هو حي ولا بالسمع ولا بالبصر إلا من هو حي.

---

(١) لما سئل سيدي نفع الله به عن صفة الإدراك قال: بعضهم أثبتها وبعضهم استغنى عنها بالسمع والبصر والعلم ونحوه ولأنها لم ترد في شيء من النصوص وعلى من أثبتها فتكون زيادة على صفات السمع والبصر وغيرها كما يقولون في بعض المخلوقات لها إدراك. اهـ وسيأتي الكلام عليها.

الدليل العقلي على الحياة: هو أن الله سبحانه وتعالى متصف بالقدرة والإرادة والعلم، وكل من كان كذلك فقد وجبت له الحياة، فالله وجبت له الحياة.

قوله: (الدليل العقلي على الحياة الخ).

هذا ظاهر كذلك أن تقول أن الله تعالى متصف بالقدرة والإرادة والعلم ولا يتصف بكل ذلك إلا من هو حيّ، فوجبت له سبحانه الحياة وبعض الأشياء واضحة ولا تحتاج إلى توضيح كما قيل:

وليس يصح في الأفهام شيءٌ ... إذا أحتاج النهارُ إلى دليلِ

الدرس الرابع عشر

في الصفة الحادية عشر، وهي الكلام

الكلام عند أهل السنة: صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى يعبر عنها بالعبارات المختلفات ليست بحروف ولا أصوات، منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء.

إنما سمي هذا العلم علم الكلام لكثرة اختلافهم في صفة كلام الله، وبعضهم يقول: سمي بذلك لأنهم يقولون الكلام على كذا، والكلام على كذا قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فسيدنا موسى كليمُ الله ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم حبيب الله ونبي الله إبراهيم.. خليل الله والنبي صلى الله عليه وسلم يسمى أيضاً خليلُ الله فهو حبيب الله وخليل الله جمع الله له بين الخلة والمحبة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الله» وهو كليم الله كلمه الله ليلة الإسراء بل جمع الله له فيها بين رؤيته وكلامه، وأما نبي الله موسى فإنما كلمه الله تعالى من غير رؤية، قال الشيخ البرعي:

ولـــو قابلـــتَ لفظـــة ((لـــن تـــراني)) بِـ((ما كذب الفؤادُ)).. فهمت معنى![1]

أي فهمت الفرق بين مقام الحبيب ومقام الكليم.

قوله: (الكلام عند أهل السنة.. صفة قديمة أزلية الخ).

كلام الله تعالى قديم لا يوصف بحرف ولا صوت، وإنما هي معانٍ قائمة بذاته تعالى، وهي قديمة والحروف والأصوات المؤدية لهذه المعاني حادثة، قال تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] .

---

(١) وقال أيضاً رحمه الله:

وإن ذكــروا نجــيَّ الطــورِ فــاذكُرْ نجِــيَّ العــرش مفتقــراً لتَغْنَــى

فــإنَّ الله كَلَّـــمَ ذاك وحيـــاً وكلَّـــمَ ذا مُشـــافهةً وأدْنَـــى

مثاله كالروح فإنها لا تكون إلا في الجسد، فالحروف والأصوات بمنزلة الأجساد، وكلام الله تعالى بمنزلة الروح، وكما أن المعنى لا يقول إلا بالحروف، فالحروف هي التي تؤدي إلى هذا المعنى الذي هو كلام الله تعالى النفساني القائم بذاته تعالى[1].

وصفة الكلام كسائر صفات الله تعالى فهي صفة قديمة كما قال صاحب الزبد:

كلامـــــه كوصـــــفهِ القـــــديمِ لم يُحـــــدثِ المســـــموع للكلـــــيمِ

فكما أن صفاته تعالى جميعها قديمة فكذلك كلامه قديم، والمراد بالكلام.. الكلام النفساني القائم بذاته تعالى.

قوله: (يعبَّر عنها بالعبارات الخ).

أي يعبَّر عنها بعبارات مختلفة، لكن ليست بحروف ولا أصوات، لأن المتكلم قديمٌ أزلي لا يشبه كلامه كلام الخلق، فالقرآن الكريم وغيره من الكتب المنزلة هو كلام الله تعالى القديم.

قوله: (منزه عن التقدم والتأخُّر الخ).

أي ليس ككلام الآدميين لأنه قديم فهو منزه عن التقديم والتأخير، فكلام الإنسان يكون حرفاً قبل حرف وكلمةً قبل كلمة ففيه تقديم وتأخير، أما كلام الله تعالى فلا يوصف بهذا لأنه كله قديم وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «كتب ربكم على نفسه قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي».

فالمراد بقوله «سبقت؟»، أي غلبت فليس معناه أن فيه تقديم وتأخير.

وكذلك منزه كلامه تعالى عن الأعراب والبناء وغير ذلك، لأن ذلك إنما هو وصف لكلام المخلوق الذي هو حادث، آمنا بالله وبما جاء عن الله على مُراد الله.

---

(١) (تنبيه) قال سيدنا الإمام عبدالله بن محسن العطاس نفع الله به: القرآن كلام الله قديم وليس يوصف بصوتٍ ولا حرف وإنما هو معانٍ قائمة بذاته تعالى فهو قديمٌ والحروف المؤدية لمعانيه حادثة وكذلك الأصوات، وإنما لما كان المخاطبون به أجساماً لم يُفهم إلا بالأجسام، وهي الحروف فلا يُعرف المعنى القائم بذاته تعالى إلا بالحروف، فهي للمعاني القائمة بذاته تعالى كالأجسام للأرواح، والأرواح من أمر الله ولا تظهر الروح إلا بالجسم كما لا يظهر المعنى إلا بالحرف. اهـ (بهجة الطالبين)

وجميع أنواع التغييرات تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق دلالة، بمعنى أنه لو كشف لنا الحجاب وسمعناها لفهمنا ما يراد منها.

وعند المعتزلة: كلام الله عبارة عن الأصوات والحروف التي يخلقها في بعض الأجسام فليست قائمة بذاته تعالى، بل هي حادثة.

قوله: (وجميع أنواع التغييرات تتعلق بالواجبات والجائزات الخ).

ذكرنا فيما سبق أن متعلق الكلام.. عام كما تقدم معنا في العلم، فهو يتعلق بما يتعلق به العلم، لكن تعلقُ العلم تعلق انكشاف لا تعلق دلالة، أما تعلق الكلام فهو تعلق دلالة بمعنى أنه يدل أزلاً وأبداً على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات[1] ودلالة الكلام على الواجبات كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١] فهنا كلام الله دلَّ على الوجوب، ودلالته على المستحيلات كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وهنا دلَّ كلام الله تعالى على المستحيل، ودلالته على الجائزات كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] دلَّ أيضاً على الجائز، فهو تعلق دلالة من باب إطلاق الدال على المدلول، أي: أنه يدلُّ على المعنى القائم بذاته تعالى.

قوله: (بمعنى أنه لو كشف لنا الحجاب الخ).

كما في نبي الله موسى عليه السلام، وليس معنى أن الله تعالى أحدث لسيدنا موسى الكلام، لا! وهذا معنى قول صاحب الزبد:

لم يُحدثِ المسموعَ للكليمِ

---

(١) الكلام صفة واحدة لا تعدُّد فيها لكن له أقسام اعتبارية: فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلاً.. أمرٌ، ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلاً.. نهيٌ، ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلاً.. خبرٌ، ومن حيث تعلقه بأن بالمؤمن له الجنة... وعدٌ ومن حيث تعلقه بأن الكافر له النار.. وعيدٌ إلى غير ذلك. اهـ (فتح العلام)

وإنما سمع كلام الله القديم، لأن الله تعالى لم يزل متكلماً ولا يزال متكلماً فلا يوصف بالسكوت.

ونبي الله موسى لما رفع الله عنه الحجاب سمع كلام الله تعالى القديم، ونحن لو رفع عنا الحجاب لسمعنا كلامه تعالى القديم، فلا نقول أنه تعالى كان ساكتاً ثم تكلم أو كان متكلماً ثم سكت!! لا، فلا يوصف بهذا، ولو سمعنا كلامه تعالى لفهمنا ما يراد منه من الأمر والنهي والوعد والوعيد وغير ذلك، فهذا كله مذهب أهل السنة في معنى الكلام.

قوله: (وعند المعتزلة: كلام الله عبارة عن الأصوات والحروف الخ).

المعتزلة خالفوا أهل السنة واعتبروا كلام الله تعالى حادث، لأنهم فسَّروا الكلام بشيء آخر، أي: لم يفسروه بأنه كلام الله تعالى النفساني القائم بذاته تعالى[1]، وإنما قالوا أنه عبارة عن الأصوات والحروف التي يخلقها الله في بعض الأجسام، بمعنى أن الله تعالى خلق هذه الحروف والأصوات فتكون ليست قائمة بذاته تعالى وإنما خارجة عن الذات، فتكون مخلوقاً كالمخلوقات، والمخلوق حادث.

فعندهم أن نبي الله موسى سمع كلام الله تعالى من جبل الطور أي أن الله خلق الكلام في جبل الطور، ومذهب أهل السنة أن الله تعالى رفع عنه الحجاب حتى سمع كلام الله تعالى[2].

---

(١) قال صاحب الجوهرة:

ونَزِّهِ القرآن أي كلامَهْ ... عن الحدوث واحذر انتقامَهْ

(٢) قال في فتح العلام: اعلم أن سيدنا جبريل كان مع سيدنا موسى ولم يسمع ما سمعه، وأخرج الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام.. إني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني، وقيل: إنه لما رجع من المناجاة صار يسمع دبيب النملة من مسيرة عشرة فراسخ، وقال بعضهم: أنه كان يسد أذنيه لئلا يسمع كلام الخلق لأنه صار عنده كأشد ما يكون من أصوات البهائم المنكرة حتى لم يَكَدْ يستطيع سماعه بسبب ما ذاق من اللَّذة التي لا تكيَّف عند سماع كلام من ليس كمثله شيء، وروي أن الله تعالى ناجاه بما لو قُدِّر بكلامنا لكان مائة ألف وأربعين ألف كلمة. اهـ

وعبارة صاحب الزبد عجيبة:

كلامــــه كوصــــفِهِ القــــديمِ لم يُحــــدثِ المســــموع للكلــــيمِ

وقال في الصاوي على الجوهرة: أن وجه سيدنا موسى عليه السلام أشرق بالنور لما جاء من عند ربه ليعرف الناس صدق ما ادَّعاه فما رآه أحدٌ إلا عمي فكان يمسح الرائي إليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره، فتبرقع لئلا تذهب أبصار الناس عند رؤيته وبقي البرقع على وجهه إلى أن مات. اهـ

حجة المعتزلة في هذا: أن الكلام لا يُتصور إلا بالحروف وأصوات وأجابهم أهل السنة بنفي ذلك، فقالوا: يوجد كلام بلا حروف ولا أصوات، كالكلام النفسي، فإن الإنسان يكلم نفسه به وليس بالحروف ولا أصوات، وهو ثابت لغة، ومن هنا نشأ الخلاف المشهور بين الفريقين في خلق القرآن حيث قال أهل السنة: أنه ليس بمخلوق، والمعتزلة بعكس ذلك، أي أنه مخلوق.

قوله: (حجة المعتزلة في هذا أن الكلام لا يُتصور إلا بالحروف الخ).

من جملة حججهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: ٥] وأجاب أهل السنة أن المحدث هنا هو نزوله ووحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لا أن كلام الله تعالى في ذاته محدث لأنه قائم بذاته ودليلهم هنا دليل عقلي وهو أن الكلام لا يُتصوَّر إلا بالحروف وهذا قياس فاسد لأنه قياس الخالق على المخلوق وبما أن المخلوق حادث والخالق قديم فهذا قياس فاسد لأنهم قاسوا كلام الحق جل وعلا على كلام الآدميين فالذي لا يتصور إلا بالحروف والأصوات إنما هو كلام المخلوق، وأجاب عليهم أهل السنة في نفي ذلك أنه قد يسمى كلاماً وليس فيه حروف ولا أصوات وهو كلام الإنسان النفسي أي مع نفسه الذي يقول الشاعر فيه:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلا[1]

فالكلام النفسي الذي بلا حروف ولا أصوات ثابتٌ لغةً، والأصوات والحروف إنما تؤدي معاني كلام الله تعالى القائم بذاته، من باب إطلاق الدالّ على المدلول، بمعنى أنه دلَّ على المعنى القائم بذاته تعالى، فكلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود.

---

(١) قال العلامة الأبياري: وإن أستغربت حصول كلامٍ بلا حرف ولا صوت فانظر إلى ما تحدثك نفسُك به في بعض الأحيان!! تجدُ كلاماً وُجِدَ منك وأنت حادثٌ.. فكيف بالقديم؟! اهـ (فتح العلام)

قوله: (ومن هنا نشأ الخلاف المشهور الخ).

أهل السنة يقولون: إن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، ولذلك جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ما يدل على ذلك، لأن الله تعالى غاير بينهما، ولو كان شيئاً واحداً لاكتفى بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فتكون جميع الأشياء كلها مخلوقة، فلما قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] دل ذلك أن المراد.. بالأمر، أي: أمر الله تعالى وهو كلامه والعطف يقتضي المغايرة، لأن الأمر غير الخلق، وعليه فكلامه تعالى ليس بمخلوق، والمعتزلة يقولون: إنه حادث ومن هنا وقعت الفتنة العظيمة الطويلة العريضة للإمام أحمد بن حنبل بسبب هذا الاختلاف، ومنهم من قُتِل ومنهم حُبس ومنهم من وافقهم مكرهاً كما كثير، أما الإمام أحمد فثبت وأبى أن يقول هذا لماذا؟ لأنه قدوة، وكما يقال: زَلَّةُ العالِمِ.. زَلَّة العالَمِ.

وقالوا الشيطان على إضلال العالِم أحرص منه على إضلال الجاهل، لأن الجاهل إذا ضَلَّ إنما يضر نفسه وأما العالم إذا ضلَّ فإنه يضل بضلاله كثير من الناس، ولهذا أبى الإمام أحمد أن يقول بخلق كلام الله محافظةً على هداية الأمة، لأنه لو قال ذلك.. لتبعه الكثير فصبر على الحبس وعلى الضرب وعلى التعذيب مدة خلافة المأمون والمعتصم والمتوكل، ووصل بهم الأمر أنهم كانوا يقطعون من جلده حتى يرجع عن قوله فلم يرجع، وأُفْرِجَ عنه بعد ذلك في خلافة الواثق، أخرجه وأكرمه، وكل هذا بسبب أحدِ المعتزلة[1] كان مقرباً عند المأمون، وهو شخص فضولي خاض في مسألةٍ لم يتكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة، وهذه فتنة من الفتن، قال سفيان الثوري رضي الله عنه: إن الإمام أحمد أُدخل الكير فخرج منه ذهباً صرفاً، بسبب الابتلاء الذي ابتلي به وهذا هو الابتلاء الذي رأى الإمام الشافعي لما رحل إلى مصر

---

(١) وهو أحمد بن أبي داود المعتزلي.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: بشر أحمد بن حنبل بالجنة على بلوى تصيبه، فلما أبلغه بذلك.. قال: اللهُ المستعان.

وأما الإمام الشافعي لما سألوه عن ذلك قال: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.. هؤلاء مخلوقات وهو يشير إلى أصابعه الأربع، ويعني أنها هي المخلوقة وبهذا سَلَّمَ نفسه.

والمعتزلة لا يكفرون باعتقادهم هذا وإنما هو بدعة وشبهة وبعضهم كفّرهم بذلك.

ليس المراد بالقرآن عند أهل السنة الألفاظ المنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي نقرؤها ونكتبها، فهذهِ وإن كانت من أسماء القرآن فلا خلاف بينهم في أنها حادثة مخلوقة، وإنما المراد بالقرآن عندهم هنا: الكلام النفسي القديم الذي معناه مساوٍ لمعنى هذه الألفاظ المنزلة على الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لو كشف عنا الحجاب لفهمناها، ومثل القرآن بقية الكتب المنزلة.

قوله: (ليس المراد عند أهل السنة الألفاظ المنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي نقرؤها الخ).

يطلق كلام الله تعالى على سبيل المجاز على القرآن الذي نقرؤه، فإنه يسمى كلامُ الله، فالذي يقرأُ القرآن يقالُ له: فلان يقرأُ كلامَ الله، والمكتوب في المصحف يسمى كلامُ الله، والمحفوظ في الأذهان أيضاً كلامُ الله، تقول: فلانٌ يحفظُ كلامَ الله، وكذلك يطلق على ما إذا شخصٌ كتب شيئاً من الآيات القرآنية، تقول: فلان يكتب كلامَ الله، فيطلق على هذا كلِّهِ كلامُ الله[1]، لكن ليس هذا عند أهل السنة أنه هو القديم، فالمصحف والبياض والمداد والحروف هذه كلها مخلوقة، والكلام الذي هو قديم.. إنما هو المعنى القائم بذاته تعالى، وإنما هذه دالة على كلام الله، فهي من باب إطلاق الدالِّ على المدلول، أي: تحكي كلام الله القديم، فليس هذا الذي بين أيدينا هو القديم، لأنه عبارة عن بياض ومداد، لكن لا يجوز أن يقال القرآن حادث أي ألفاظه وحروفه إلا في مقام التعليم، وإن كان ذلك صحيحاً في نفسه، حتى لا يَتَوهَّمَ بعضُ العوام أن الصفة القائمة به تعالى مخلوقة، فهو دالٌّ على كلام الله القديم أو يحكي عنه،

---

(١) وجودات كلام الله تعالى أربعة: ١- وجود لفظي.. وهو في لسان القاري. ٢- وجود ذهني.. وهو في الصدور. ٣- وجود رسمي.. وهو في المصاحف. ٤- وجود حقيقي لا هو في الألسن ولا في الصدور ولا في المصاحف بل قائم بذاته تعالى ولا يعلم حقيقتهُ إلا الله تعالى.اهـ (بشرى الكريم)

وإن كان هذا اسمه كلام الله، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فلا خلاف في أنها حادثة مخلوقة[١].

قوله: (وإنما المراد بالقرآن عندهم الكلام النفسي الخ).

كما قلنا لكم أي أن المراد بالقرآن عند أهل السنة هو كلام الله النفسي القديم الذي معناه يساوي معنى هذه الألفاظ، لأن هذه الألفاظ إنما تحكي وتدل على كلامه القديم، وأما هي فليست بقديمةٍ، وإنما هي حادثة، ومثل القرآن بقية الكتب المنزلة لأنه كله كلام الله[٢].

---

(١) قال العلامة الباجوري في شرح الجوهرة: واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه وليس لأحدٍ في أصل تركيبه كسب وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة (رضي الله عنها): ما بين دفَّتي المصحف.. كلام الله، وإطلاقه عليها قيل بالاشتراك وقيل حقيقي في النفسي، مجازٌ في اللفظي، وعلى كُلِّ من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله.. فقد كفر إلا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى. اهـ

(٢) وقالت الحشوية وطائفة سموا أنفسهم بالحنابلة: كلامه تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتبة ويزعمون أنها قديمة وتغالى بعضهم حتى زعم قدم هذه الحروف التي نقرؤها والرسوم، بل تجاوز جهل بعضهم لغلاف المصحف. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

تَرِدُ على مذهب أهل السنة الآياتُ التي توهم حدوث القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] ولكن أجابوا عنها بأن المراد بالقرآن فيها اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المُتَحدَّىٰ بسورة منه، سواء قلنا أُنزل لفظه ومعناه أو أُنزل معناه فقط، وعبر عنه جبريل عليه السلام بألفاظ من عنده أو عبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الأقوال الثلاثة في ذلك التي أصحها الأول.

ما يَرِدُ أي ما يعترض على مذهب أهل السنة من الآيات التي توهم حدوث القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] كما تقدم معنا في الآيات التي توهم التشبيه، هذه الآيات توهم أن كلام الله تعالى حادث كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١] لأن النزول حادث فما الجواب عن هذا؟ للقرآن الكريم تنزلان الأول من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا إلى بيت العزة، وفيه نزل القرآن جملةً واحدة.

والثاني نزولَ جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم مُفَرَّقاً بحسب الوقائع والأحوال في مدة البعثة وهي ثلاثٌ وعشرون سنة.

وأجابوا أن المراد بالقرآن في هذه الآية هو اللفظ المُنْزل أي الحروف التي أنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبَّد بتلاوتها فهذا المراد بالحادث سواءٌ قلنا أُنزِلَ لفظه ومعناه، أو أُنزِلَ معناه فقط، لأن الفرق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي: أن القرآن معناه ولفظه مضافان إلى الله تعالى وهو معجز ومتعبَّد بتلاوته.

والحديث القدسي ويسمى الحديث الإلهي والحديث الرباني: معناه مضاف إلى الله تعالى ولفظه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو غير معجز ولا يُتعبَّد بتلاوته.

والحديث النبوي: لفظه ومعناه مضافان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبالنظر إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] فلا فرق بين الحديثين إلا أن الأول وهو الحديث القدسي مرويٌّ عن الله تعالى والثاني مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الدليل على وجوب الكلام لله نقلي مأخوذ من الكتاب والسنة والإجماع، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وإن شئت دليلاً عقلياً، فقل: البكمُ نقص، وكل نقصٍ مستحيل في مقام الربوبية، فوجب ضده وهو الكلام.

قوله: (الدليل على وجوب الكلام نقلي مأخوذ من الكتاب والسنة الخ).

الدليل على وجوب الكلام نقلي كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] أي أزال عنه الحجاب حتى سمع كلامه القديم وبعضهم قال يمكن هنا دليلٌ عقلي أن تقول: أنه لو لم يكن متكلماً لكان أبكمَ، والبَكَمُ نقص وكل نقص مستحيل في حق الله تعالى فوجب أنه سبحانه متكلم.

الدرس الخامس عشر

في الصفة الثانية عشر، والثالثة عشر

وهما السمع والبصر ودليلهما

السمع والبصر صفتان قديمتان أزليتان، قائمتان بذاته تعالى من غير أذن وعصب في السمع، ولا عين وحدقة في البصر، ومن غير ما يلزم في سمع الحادث وبصره، يتعلقان بالمسموعات والمرئيات على رأي بعض أهل السنة.

قوله: (السمع والبصر صفتان قديمتان أزليتان الخ).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] لكن يسمع بغير أصمخة وآذان ويُبصر بغير حدقة وأجفان ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] قدَّمه ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] والسمع والبصر صفتان قديمتان أزليتان قائمتان بذاته تعالى وكل صفات الله تعالى قديمة أزلية باقية والسمع والبصر من صفات المعاني.

قوله: (ومن غير ما يلزم في سمع الحادث الخ).

أي سمع الله وبصره ليس كسمع وبصر المخلوق الحادث فالإنسان لا يسمع إذا كان الصوت بعيداً أو المرئي بعيداً فإنه لا يبصره وأما سمع الله تعالى وبصره فلا يمنعه شيء سواء كان هناك حائل من الرؤية أو مانع من السمع فسمع الله تعالى منزه عن هذا كله ولا يلزم في شأنه ما يلزم في شأن الحادث[1].

---

(١) قال بعضهم:

يا من يرى مَدَّ البعوضِ جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأَلْيَلِ

ويرى مناط عروقها في نحرها ... والمُخَّ في تلكَ العظامِ النُّحَّلِ

امنُنْ عليَّ بتوبةٍ يمحى بها ... ما كان مني في الزمان الأوَّلِ

قوله: (يتعلقان بالمسموعات والمرئيات فقط على رأي بعض أهل السنة الخ).

اختلفوا في التعلق هل يتعلق سمعه تعالى بالمسموعات فقط وبصره بالمرئيات؟ أو أن تعلقهما أعم أي يتعلقان بالموجودات جميعها وهذا الخلاف بين أهل السنة أنفسهم؟ والمعتمد أن تعلقهما بجميع الموجودات المسموعات والمرئيات وغيرها لا بالمرئيات والمسموعات فقط لكن تعلقهما غير تعلق العلم لأنه تقدم معنا أنه صفة قديمة تنكشف له تعالى بها الأشياء من جميع الوجوه انكشافاً كُلِّياً وهنا انكشاف السمع غير انكشاف العلم ومثله البصر لكن تفسيرهما نفس التفسير أنه ينكشف له بهما جميع الموجودات، والعلم ينكشف له به جميع الموجودات!! فإن قيل هذا تكرار؟ نقول له: لا، لأنه يجب علينا أن نعتقد أن انكشاف العلم غير انكشاف السمع والبصر وانكشاف البصر غير انكشاف العلم والسمع وانكشاف السمع غير انكشاف البصر والعلم يجب علينا أن نعتقد ذلك فقط وإن كنا لا نميِّز الفرق، لكنَّ في نفس الأمر تمييز لا نعلمه فنفوِّض أمره إلى الله تعالى فهذا هو المراد بأن السمع والبصر ينكشف بهما جميع الموجودات وليس فقط المسموعات والمرئيات، فالإنسان لا يسمع إلا المسموعات ولا يرى إلا المرئيات أما الله تعالى فينكشف له جميع الموجودات.

وهنا أشار الحبيب إلى الخلاف بقوله: يتعلقان بالمسموعات والمرئيات فقط على رأي بعض أهل السنة، وهذا هو القول الأول! لأنه استشكل معنى قولهم يتعلقان بجميع الموجودات ما المراد به؟ ورُدَّ عليه أن علينا أن نؤمن بذلك وإن لم نعرف الكيفية.

وقال غيره منهم: يتعلق السمع والبصر بجميع الموجودات: المسموعات والمرئيات وغيرها: أي ينكشف بكل واحد منهما كل موجود انكشافاً غير الانكشاف الحاصل من العلم، وإن كانت عقولنا لا تدرك المغايرة بين انكشافات السمع والبصر والعلم المذكورة، معنى سماع ذات الموجود ورؤيته صوته على هذا القول الأخير لا بد أن يشكل معنى سماع الله ذات الموجود، أو رؤيته صوته، ولكن أجابوا عن هذا: بأن يجب الإيمان بأن السمع والبصر يتعلقان بكل موجود.

وأما كيفية التعلق فهي مجهولة كما تقدم نظير ذلك في الرؤية في الدرس التاسع.

قوله: (وقال غيره منهم: يتعلق السمع والبصر بجميع الموجودات الخ).

هذا هو القول الثاني وهو المعتمد أنهما يتعلقان بجميع الموجودات المسموعات والمرئيات وغيرها فينكشف بكل واحد منهما كل موجود انكشافاً غير الانكشاف الحاصل بالعلم كما قلنا لكم لأن انكشاف العلم غير الانكشاف بهما وإن كانت عقولنا لا تدرك هذه المغايرة فهذا انكشاف وهذا انكشاف لأن عقل الإنسان محدود فبعض الأشياء لا يدركها الإنسان بالعقل لأن له حدود، فهي وراء طور العقل فكما أن بصر الإنسان محدود كذلك عقله محدود.

قوله: (معنى سماع الله ذات الموجود ورؤيته صوته على هذا القول الأخير لا بد أن يشكل الخ).

أي على هذا القول الأخير أن تعلقهما بجميع الموجودات.. لا بد أن يحصل إشكال!! كيف معنى سماعُ الله ذاتَ الموجود؟ لأن ذاتَ الموجودِ لا يُسمع وإنما الذي يُسمع هو صوته فهذا إشكال من هذه الحيثية! أو رؤيته صوته ما معنى رؤية الصوت!! لأن الصوت لا يرى؟ فهذا أيضاً إشكال!! ما الجواب عنه؟.

فالذين قالوا بإثبات ذلك أجابوا عن هذا بأنه يجب الإيمان بأن السمع والبصر يتعلقان بكل موجود دون !! أما الكيفية فلا يلزمنا معرفتها لأنها مجهولة كالرؤية فإنها

من غير كيف فنقول آمنا بالله وبما جاء عن الله فلا يربط الإنسان هذه الأمور بالعقل ويقول كيف؟ وكيف؟.

للسمع والبصر تعلقات بالنسبة للحوادث:

١- تعلق صلاحي قديم: وذلك صلاحيتهما في الأزل لانكشاف الكائنات الموجودات بهما قبل وجودها. ٢- وتعلق تنجيزي حادث: وذلك انكشافها بهما عند وجودها، أما بالنسبة إلى الواجبات كصفات الله، فتعلق واحد فقط وهو تنجيزي قديم، وذلك انكشاف ذات ربنا وصفتها الوجودية في الأزل بهما.

قوله: (للسمع والبصر تعلقات بالنسبة للحوادث: ١- تعلق صلاحي قديم وذلك صلاحيتها الخ).

العالم كله حادث والسمع والبصر لهما تعلقان بهذه الحوادث:

الأول: صلاحي قديم غير حادث وهو صلاحيتهما في الأزل أي في العلم القديم لانكشاف الكائنات الموجودات بهما قبل وجودها فهو صالحٌ قبل وجود الكائنات فهذا معنى التعلق الصلوحي أي صالح في الأزل.

الثاني: تعلق تنجيزي حادث: وهو انكشاف هذه الكائنات بالسمع والبصر عند وجودها وهذا بالنسبة إلى الممكنات.

قوله: (أما بالنسبة إلى الواجبات كصفات الله فتعلق واحد الخ).

أي أما بالنسبة لتعلق سمع الله تعالى وبصره بالواجبات كصفات الله تعالى فهو تعلق واحد فقط وهو تنجيزي قديم لا صلوحي قديم ولا تنجيزي حادث وهو انكشاف ذاتِه تعالى وصفاتِه الوجودية في الأزل بهما فهذا معنى التعلق التنجيزي القديم.

الدليل على السمع والبصر: نقلي مأخوذ من الكتاب والسنة والإجماع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] وإن شئت دليلاً عقلياً فقل: الصمم والعمى نقص، وكل نقص مناف لمقام الربوبية، فالصمم والعمى منافيان لمقام الربوبية فثبت ضدهما، وهما السمع والبصر.

قوله: (الدليل على السمع والبصر: نقلي الخ).

الدليل على السمع والبصر واضح وهو دليل نقلي ويسمى سمعي وهو مأخوذ من الكتاب والسنة والإجماع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] فهذا الدليل النقلي، وهل هناك دليلٌ عقلي؟ بعضهم قال: لا، وبعضهم قال يمكن كما تقدم في الكلام وهو أن تقول: أن الصمم والعمى نقص فإذا لم يكنِ اللهُ سميعاً بصيراً.. لزم ضده وهذا نقص في بني آدم فكيف بالإله جل وعلا، ولأن كل نقصٍ منافٍ لمقام الربوبية والصمم والعمى منافيان لمقام الربوبية فلزم ضدهما وهما السمع والبصر وقالوا أن من خصوصيات الصحابة رضي الله عنهم أنه ليس فيهم أصم أما العمى فموجود[1]، ولذلك فضَّل بعضهم السمع على البصر لأن الله تعالى قدَّمه في القرآن: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾ [الإسراء: ٣٦] لأنه لولا السمع لما أجابوا دعوته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) كابن أم مكتوم رضي الله عنه.

زادت الماتريدية صفة ثامنة أسمتها: التكوين، وزاد بعض أهل السنة أخرى سماها: الإدراك.

صفة التكوين: هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد بها ويعدم، فإن تعلقت بالوجود سميت إيجاداً وإن تعلقت بالعدم سميت إعداماً، وإن تعلقت بالحياة سميت إحياءً وإن تعلقت بالموت سميت إماتةً، وهكذا.

قوله: (زادت الماتريدية صفة ثامنة الخ).

هذا فيه خلاف هل هما[1] داخلتان في القدرة والعلم فلا يحتاج إلى إثباتها لأن القدرة والعلم قد شملتها فلا حاجة للتكرار فبعضهم أثبتها فتكونان زيادة كمال في حق الله تعالى فالماتريدية زادوا صفة التكوين وقالوا أنها غير صفة القدرة أما عند الأشعرية فالقدرة تغني عن صفة التكوين لأن وظيفة القدرة إيجاد المعدوم وإعدام الموجود فصفة القدرة تغني عن صفة التكوين وجعلها الماتريدية زائدة على القدرة وزاد بعض أهل السنة صفة أخرى وهي الإدراك كما سيأتي.

قوله: (صفة التكوين هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى الخ).

هذا تعريف صفة التكوين أنها صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد بها ويعدم فهي نفس صفة القدرة لكنها عند الماتريدية غير القدرة! فإن تعلقت بالوجود.. سميت إيجاداً عندهم، وإن تعلقت بالعدم سميت إعداماً وإن تعلقت بالحياة سميت إحياءً، وإن تعلقت بالموت سميت إماتة وهكذا فهذه هي صفة التكوين عندهم.

---

(١) أي: صفتا التكوين والإدراك.

وظيفة القدرة عند الماتريدية: أنها تهيء الممكن للوجود والعدم.

صفة الإدراك: هي صفة قديمة بذاته تعالى يدرك بها الملموسات والمشمومات والمذوقات وجعلها بعضهم ثلاث صفات بِعَدِّ إدراك كل واحد من هذه الثلاث صفة لنفسه.

قوله: (وظيفة القدرة عند الماتريدية أنها تهيء الممكن الخ).

أي إذا قلنا هكذا أي بوجود صفة التكوين فما وظيفة القدرة عندهم إذاً؟ وظيفة القدرة عند الماتريدية أنها تهيء الممكن للوجود والعدم فقط والتكوين يأتي بعد ذلك فيوجد أو يُعدم.

كما إذا الإنسان أراد أن يبني بيتاً فإنه لا بُدَّ له أولاً من أن يهيء الأشياء كلها ويفكر وغير ذلك والقدرة عندهم وظيفتها أن تهيء الممكن للوجود والعدم وبعد ذلك صفة التكوين هي التي تنفّذ. والخلاف لفظي فقط وإلا فالحقيقة أنها هي نفس القدرة.

قوله: (صفة الإدراك: هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يدرك بها الملموسات الخ).

صفة الإدراك زادها بعض الأشاعرة وقالوا هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى كالسمع والبصر. والقدرة والإرادة وغيرهما[1] وما وظيفتها؟ وظيفتها أنه تعالى يدرك بها الملموسات [2] لأنك إذا أردت لمس شيء تدركه باللمس، ومثله المشمومات[3] والمذوقات[4] فهي تتعلق بثلاثة أشياء: بالملموسات وبالمشمومات وبالمذوقات أما المرئيات والسمعيات فقد تقدم الكلام عليها وبعضهم جعلوها ثلاث صفات بِعَدِّ

---

(١) قال صاحب الجوهرة:

فهل لَهُ إدراكٌ؟ أو..لا؟ خُلْفُ: وعند قومٍ صحَّ فيه الوقفُ

والإدراك: هو في حق الحادث.. تصوُّر حقيقة الشيء المدرك عند المُدْرِك. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) كالنعومة والخشونة. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٣) كالرائحة الطيبة اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٤) كالحلاوة. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

إدراك كل واحدٍ من هذه الثلاث.. صفة لنفسه مع أنها صفة واحدة وهي الإدراك فجعل إدراك الملموسات صفة، وإدراك المشمومات صفة وإدراك المذوقات صفة لكن في الحقيقة أن هذه الإدراكات شيء واحد.

وبعض الأشاعرة لم يثبتها واستغنى عنها بصفة العلم وبعضهم توقف فلم يثبتها ولم ينفها كما سيأتي.

حجة من يثبتها هي: أن الله لو لم يتصف بها لا تصف بضدها والاتصاف بضدها نقص والنقص مستحيل في مقام الربوبية.

وأما حجة من ينفيها فهي: كونها تدخل تحت بعض الصفات: كالعلم فإنه يشملها، نعم: لو كان دليلها نقلياً كالكلام والسمع والبصر لصح إثباتها، لكن المثبِت أجاب بأنه ممن يجعل دليل الكلام وما بعده عقلياً.

وبعض العلماء توقف فيها: فلم يجزم بإثباتها ولا بنفيها.

قوله: (حجة من يثبتها هي: أن الله لو لم يتصف بها لاتصف بضدها الخ).

حجة من يثبتها من الأشاعرة[1] وهم البعض وليس كلهم أن الله تعالى لو لم يتصف بصفة الإدراك.. لاتصف بضدها والاتصاف بضدها نقص والنقص مستحيل في مقام الربوبية فهذا دليلهم على أنها صفة كمال لأن بني آدم يدركون هذه الصفات فكيف بالله جل وعلا فهو سبحانه أولى.

قوله: (وأما حجة من ينفيها فهي كونها تدخل تحت بعض الصفات الخ).

أما على من لم يثبتها.. فيشملها صفات السمع والبصر والعلم لأن تعلقها بالموجودات فهي داخلة فيها تحت العلم وتحت السمع وتحت البصر فلا حاجة لِعَدِّها لأنها تشملها.

قوله: (نعم لو كان دليلها نقلياً كالكلام والسمع والبصر لصح إثباتها الخ).

قد يقول قائل: أنتم تقولون في العلم والسمع والبصر أنها معدودة من الصفات مع أن كلها بمعنى الانكشاف لماذا جعلتوها معدودة مع أن العلم يغني عنها وهنا لم تعُدُّوا صفة الإدراك؟ الجواب: لأنه ورد فيها نص أي: السمع والبصر ولم يرد في الإدراك نص فإذا ورد في الإدراك نص أي: دليلٌ نقلي كما ورد في الكلام والسمع والبصر لصحَّ إثباتها من الصفات، لكنه لم يُنقل.

---

(١) وهم القاضي الباقلاني وإمام الحرمين ومن وافقهما اهـ (الباجوري على الجوهرة)

قوله: (لكن المثبت أجاب بأنه ممن يجعل دليل الكلام الخ).

تقدم معنا أن للكلام دليل عقلي أيضاً وكذلك في السمع والبصر على من يقول بذلك، ومن أثبت الإدراك جعل دليلها عقلياً كما في دليل الكلام والسمع والبصر. لأن الدليل النقلي لم ينقل ولم يثبت لصفة الإدراك كثبوته في السمع والبصر والكلام.

قوله: (وبعض العلماء توقف فيها فلم يجزم الخ).

هذا هو المذهب الثالث[1] هو الأحسن وهو التوقف فبعض العلماء[2] توقف في صفة الإدراك فلم يثبتها ولم ينفها وقال الله أعلم وهذا أسلم.

---

(١) الحاصل: أن فيها ثلاثة أقوال: فقيل بثبوتها، وقيل: بانتفائها، وقيل: بالتوقف.

(٢) كالمقترح وابن التلمساني وبعض المتأخرين، لتعارض الأدلة. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

الدرس السادس عشر

في الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة في صفات المعاني والكلام على الصفات المعنوية والخلاف فيها وأدلتها وفي الصفات المستحيلة في حق الله وأدلتها

المعتزلة لا يعدون صفات المعاني، بل يكتفون بالمعنوية عنها ويجعلونها أسماء الله فيقولون: الله قادر بذاته، مريد بذاته وهكذا.

أما أهل السنة فيقولون: الله قادر بقدرة، مريد بإرادة... الخ.

قوله: (المعتزلة لا يعدُّون صفات المعاني بل يكتفون بالمعنوية الخ).

تقدم معنا صفات المعاني وهي سبع صفات وكذلك الصفات المعنوية سبع والصفات المعنوية هي نسبة إلى صفات المعاني لملازمتها لها وتسمى صفات الأحوال فمن يقول بثبوت الواسطة بين الوجود والعدم.. أثبت الصفات المعنوية ومن يقول لا واسطة بينهما.. نفاها، واكتفى بصفات المعاني.

والمعتزلة لا يَعُدُّون صفات المعاني لكن يعدُّون الصفات المعنوية لأنها ملازمة لصفات المعاني فكونه قادراً ملازم للقدرة وكونه مريداً ملازمٌ للإرادة وهكذا ويجعلون صفات المعاني أسماءاً لله تعالى لا صفات زائدة على الذات بخلاف أهل السنة فصفات المعاني عندهم صفات قائمة به تعالى زائدة على الذات لكن ليست بخارجةٍ عنها أما المعتزلة فيجعلونها نفس الذات فيقولون الله قادرٌ بذاته ولم يقولوا قادرٌ بقدرة ومريد بإرادة وسميع بسمع ومتكلم بكلام، كأهل السنة وإنما يقولون قادرٌ بذاته مريدٌ بذاته وهكذا وأهل السنة عند قولهم قادرٌ بقدرة.. أي: لكن قائمة بذاته تعالى ليست خارجة عنها حتى لا يلزم تعدُّد القدماء إذا قيل أنها خارجة.

وإذا قلنا أنها بين الذات لزم اتحاد الصفة والموصوف وهذا لا يعقل.

وأما دليل المعتزلة فهو أنهم يقولون: يلزم من قولنا قادر بقدرة مريد بإرادة... إلخ تعدد القدماء (وصفات المعاني)[1] وتعدد القدماء ممنوع.

وأهل السنة قالوا: إنما يمنع تعدد الذات لا تعدد الصفات والمذهبان متفقان على وجوب كونه قادراً، وكونه مريداً... إلخ.

قوله: (وأما دليل المعتزلة فهو أنهم يقولون يلزم من قولنا الخ).

ما هو دليل المعتزلة في نفي صفات المعاني؟ دليلهم أن ذلك فراراً من أن يقال بتعدُّد القدماء لأنهم قالوا إذا أثبتنا صفات المعاني.. يلزم منه تعدُّد القدماء وتعدُّد القدماء ممنوع.

وأجاب أهل السنة بأن ذلك لا يلزم منه تعدُّد القدماء لأنه تعدد صفات، والذي يلزم منه تعدُّد القدماء إنما هو إذا قلنا بتعدُّد الذات ولم نقل بتعدد الذات ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١] ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

فزيد مثلاً قد تكون له صفات كثيرة وهو شخص واحد فيوصف بأنه عالم وفاضل وشاعر وغير ذلك فهل يلزم منه تعدُّد زيد؟ لا، إنما المتعدد صفاته.

قوله: (والمذهبان متفقان على وجوب كونه قادراً الخ).

أي مذهب المعتزلة ومذهب أهل السنة متفقان على وجوب كونه قادراً وكونه مريداً أي على الصفات المعنوية أما إذا نفت المعتزلة صفاته بالكلية فهذا كفر لكنهم لم ينفوا صفاتِهِ بالكلية إنما قالوا قادر بذاته لا بصفةٍ زائدة على الذات فلا يكفروا باعتقادهم هذا.

---

(١) قال سيدي نفع الله به: لعل هذه العبارة زائدة.

الصفات المعنوية هي الصفات السبع الأخيرة من الصفات العشرين وسميت بالمعنوية نسبة إلى المعاني لملازمتها لها.

وهي على هذا القول صفات لا موجودة ولا معدومة بل إذا وجدت صفة من صفات المعاني وجدت معها صفة من صفات المعنوية فمتى وجدت القدرة وجدت بسببها صفة تسمى الكون قادراً، ومتى وجدت الإرادة.. وجدت صفة تسمى الكون مريداً.

قوله: (الصفات المعنوية هي الصفات السبع الخ).

هذا خلاف بين أهل السنة أنفسهم في الصفات المعنوية لا بين أهل السنة والمعتزلة فبعضهم أثبتها وبعضهم نفاها وتقدم معنا ثلاث عشرة صفة خمسٌ سلبية وسبع معاني وواحدة نفسية فيتبقى سبع وهي المعنوية وهي الصفات السبع الأخيرة من الصفات العشرين الواجبة في حق الله تعالى.

وسميت بالمعنوية.. نسبة إلى صفات المعاني لملازمتها لها كما تقدم.

قوله: (وهي على هذا القول صفات لا موجودة ولا معدومة الخ).

أي على من يقول بثبوت الواسطة وهو الحال ومنه تسمى الصفات المعنوية صفات الأحوال وهذا قول من أثبتها فهي على هذا القول لا موجودة ولا معدومة، كيف؟ أي: إذا وجِدَتْ صفةٌ من صفاتِ المعاني.. وُجدت معها صفة من الصفات المعنوية أي بالتَّبعيَّة، فمتى وُجدت القدرة مثلاً.. وُجدت بسببها صفة الكون قادراً أي كونه قادراً ومتى وُجدت الإرادة.. وُجدت صفة تسمى كونه مريداً، فمتى وُجدت هذه وُجدت تلك، وهذا على قول من أثبتها أي الواسطة.

أما على القول بنفيها: فهي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات ولا تزيد شيئاً على الذات فكونه قادراً نفس قيام القدرة بالذات، وكونه مريداً كذلك وهكذا، فالأول لا يكتفي بالمعاني عنها، والثاني يقول: إنها تقوم مقامها فلا حاجة إلى عدها وذكرها إنما هو مجرد اعتبار وهو الحق.

قوله: (أما على القول بنفيها: فهي عبارة عن قيام صفات المعاني الخ).

أي أما على قول من نفى الواسطة[1]، وقال لا واسطة بين الموجود والمعدوم والشيء إما موجود وإما معدوم وأن الحال مُحال.. فهي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات ولا تزيد شيئاً ما على الذات فكونه قادراً هو نفس قيام القدرة بالذات أي نفس القدرة وكونه مريداً نفس قيام الإرادة بالذات أي نفس الإرادة وهكذا.

قوله: (فالأول لا يكتفي بالمعاني عنها الخ).

أي من قال بالقول الأول وهو إثباتها.. لا يكتفي بالمعاني عنها فزاد على ذلك كونه قادراً وكونه مريداً الخ.

ومن قال بالقول الثاني وهو نفيها.. جعل صفات المعاني تقوم مقام المعنوية وقال لا حاجة لعَدِّها وذِكْرِها، والحبيب اعتمد القول الثاني بقوله وهو الحق لكن في أكثر كتب التوحيد يعدُّون الصفات المعنوية.

---

(١) (تنبيه) معنى إنكار المعنوية.. إنكار زيادتها على المعاني بحيث تكون واسطة بين الموجود والمعدوم، لا إنكار كونه قادراً مثلاً من أصله!! لأنه مجمع عليه فليس فيه خلاف إنما الخلاف في زيادته على المعاني. اهـ «الباجوري على الجوهرة»

وينبني هذا الخلاف على تقسيم الأشياء: فمن قسمها على أربعة أقسام:

١- موجودات وهي: ما له ثبوت ووجود بحيث تمكن مشاهدته كذات ربنا لو كشف الحجاب عنها. ٢- ومعدومات وهي: ما ليس له وجود أصلاً كالشريك لله.٣- وأحوال وهي: الواسطة بين الموجود والمعدوم كالصفات المعنوية إذا قلنا بثبوتها.

٤- واعتبارات وهي: ما له شيء من الثبوت إلا أنه دون الأحوال كبحر من زئبق وكقيام السواد أو البياض بزيد.

ومن قسمها إلى هذه الأربعة أثبت المعنوية وجعلها من قبيل الأحوال.

ومن قسمها إلى ثلاثة أقسام فقط: موجودات ومعدومات واعتبارات[1] نفي زيادة الصفات المعنوية، وجعلها من قبيل الاعتبارات واستغنى بالمعاني عنها وقال: لا شيء يسمى الحال بل الحال محال، وهذا هو المعتمد.

قوله: (وينبني هذا الخلاف على تقسيم الأشياء الخ).

الخلاف الذي تقدم ينبني على تقسيم الأشياء فمن قسمها إلى أربعة أقسام كما سيأتي أثبت الصفات المعنوية ومن قسمها إلى ثلاثة أقسام نفى الصفات المعنوية واستغنى عنها بالمعاني:

القسم الأول: الموجودات: وهذا واضح وهي كل ما وجد وكان له ثبوت وأمكن مشاهدته بالعيان كصفات المعاني فإنها صفات موجودة لو كشف عنا الغطاء.. لرأيناها بخلاف الصفات السلبية فهي معدومة وكذات ربنا جل وعلا فهي موجودة ولو كشف عنا الحجاب.. لرأيناها لكنه تعالى حجبنا عنها وهي ممكنةٌ عقلاً وإنها غير ممكنةٍ شرعاً في الدنيا ولهذا يرونه تعالى يوم القيامة.

القسم الثاني: المعدومات: وهي ما ليس له وجود أصلاً كصفاته تعالى السلبية وكالشريك لله تعالى فهذا غير موجود أصلاً وهذا واضح أيضاً.

---

(١) الاعتبارات ما يعتبره الإنسان في ذهنه وإن لم يكن موجوداً في الخارج.

القسم الثالث الأحوال: وهي الواسطة بين الموجود والمعدوم ومثالها الصفات المعنوية على من يقول بثبوتها كما تقدم.. فالواسطة موجودة، وعلى من يقول بنفيها.. فلا واسطة.

القسم الرابع: الاعتبارات[1].. وهي ما له شيء من الثبوت إلا أنه دون الأحوال بأن يكون بين المتعلِّق والمُعَلَّق نسبة إضافية يدركها الذهن ولا وجود لها في الخارج فهذا معنى الاعتبارت كبحر من زئبق فإنه يمكن إدراكه في الذهن!! لكن هل له وجود في الخارج؟ لا، ليس له وجود في الخارج فمن قسّمها إلى هذه الأربعة الأقسام أثبت الصفات المعنوية وجعلها من قبيل الأحوال كما قلنا لكم، أما من قسَّمها إلى ثلاثة أقسام ونفى الأحوال وجعلها موجودات ومعدومات واعتبارات فقط.. نفى الصفات المعنوية وأدخلها في الاعتبارات واستغنى بالمعاني عنها كما تقدم معنا وقال لا شيء يسمى الحال وأن الحال.. محال واعتمده الحبيب مَرَّةً ثانية فقال أولاً: هو الحق، وهنا قال: وهذا هو المعتمد فيكون قد نفى الصفات المعنوية[2]

---

(١) وهي قسمان: ١- أمور اعتبارية انتزاعيّة.. كقيام زيد، فهو أمرٌ اعتباري انتزاعي لأنه انتُزِع من الهيئة الثابتة في الخارج. ٢- أمور اعتبارية اختراعية.. كبحر من زئبق، فهو أمر اعتباري اختراعي لأنه اخترعه الشخص، والقسم الأول لا يتوقف على اعتبار المعتبِر وفرض الفارِض، والقسم الثاني يتوقف على ذلك. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) اعتمد في شرح الصاوي على الجوهرة.. نفي الأحوال وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم عند الإمام الأشعري رضي الله عنه.

أدلة الصفات المعنوية: تؤخذ من أدلة صفات المعاني وهي ظاهرة فلا معنى للتكرار.

أما الصفات المستحيلة في حق الله فهي أضداد الواجبة وقد تقدمت في الدرس الخامس.

وأما أدلتها: فهي معروفة من أدلة الصفات الواجبة لأنا إذا أوجبنا لله شيئاً استحال عليه ضده وهذا لا يكاد يخفى.

قوله: (أدلة الصفات المعنوية تؤخذ من أدلة صفات المعاني الخ).

هذا ظاهر فأدلة الصفات المعنوية تؤخذ من أدلة صفات المعاني كما تقدم فهي نفس الأدلة ولا داعي للتكرار.

قوله: (أما الصفات المستحيلة في حق الله فهي أضداد الواجبة الخ).

الصفات المستحيلة في حق الله تعالى تقدم ذكرها معنا في الدرس الخامس وهي أن ضد الوجود العدم وضد القدم الحدوث وهكذا فهي كل صفة من صفات النقص وهي العشرون الصفة الأضداد للصفات الواجبة.

وأما أدلتها فتعرف من أدلة الصفات الواجبة فإذا أوجبنا لله تعالى شيئاً من الصفات يستحيل في حقه تعالى ضده.

الدرس السابع عشر
في الجائز في حق الله، وفعل الصلاح والأصلح
ودليل الجائز في حقه

الجائز في حق الله فعل كل ممكن وتركه على مذهب أهل السنة سواء كان خيراً أو شراً، وقالت المعتزلة: إن بعض الممكنات واجبة عقلاً على الله كفعل الصلاح دون الفساد، وفعل الأصلح دون الصالح بعباده في الدين فقط، وقال بعضهم في الدين والدنيا.

قوله: (الجائز في حق الله فعل كل ممكن وتركه الخ).

خرجنا من الكلام على الصفات الواجبة والمستحيلة والكلام الآن على الجائز في حقه تعالى، وهي صفة واحدة فقط.. والجائز في حق الله تعالى فعل كل ممكن وتركه ومن جملة ذلك إرسال الرسل فهو جائز في حق الله تعالى أما عند المعتزلة فهو واجب لأنه الأصلح، وعندنا أن ذلك جائز، بل خلق العالم كله جائز في حق الله تعالى كما قال صاحب الزبد:

أَحْدَثَهُ لا، لاْحتياجه الإله ... ولو أراد تركه لَمَا ابْتداه

فالمعنى أن ذلك جائز في حقه تعالى سواء كان ذلك الجائز خيراً أو شراً إلا أن الفرق بينهما أي الخير والشر، أن الخير أراده الله تعالى وأمر به ورضيه، والشر أراده ولكن لم يرضه ولم يأمر به.

أما عند المعتزلة فبعض الممكنات لا جميعها واجبةٌ عقلاً على الله تعالى، كفِعْل الصلاح دون الفساد، فإذا كان الشيء متردِّداً بين الصلاح والفساد.. يجب على الله تعالى عندهم فعل الصلاح، لا فعل الفساد، وكفعل الأصلح دون الصالح فإذا كان الشيء متردِّداً بين الصالح والأصلح.. فيجب على الله تعالى عندهم مراعاة الأصلح، لكن ليس على عمومه وإنما في الدين فقط، وبعضهم يقول في الدين والدنيا.

والإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه كان في بدايته معتزلياً وكان يقرأ عند شيخه أبي هاشم الجبائي وكان الجبائي يقرِّر في هذه المسألة في الصلاح والأصلح وأنه يجب على الله تعالى مراعاة الأصلح فسأله بسؤالٍ أفحمه وأعجزه وكان سبباً لمفارقته له، قال له: ما تقول في ثلاثة أخوةٍ، ماتوا، أحدهم مات كبيراً طائعاً، والثاني مات كبيراً عاصياً، والثالث مات صغيراً، فقال: هذا الذي مات كبيراً طائعاً أن الله يجعله في أعلى الجنة، والذي مات كبيراً عاصياً يجعله الله في النار والذي مات صغيراً يجعله الله في ربَضِ الجنة أي أسفلها والأول في أعلاها.

فقال أبو الحسن: أنت تقول أنه يجب على الله مراعاة الصلاح والأصلح!!، فإذا قال الصغير يارب: لماذا أمتَّني صغيراً،، ولم تَمُدَّ في عمري حتى أموت كبيراً وأكون مع أخي في أعلى منازل الجنة؟ فقال الجبائي: يقول الرب: إني علمت أن الأصلح لك أن تموت صغيراً لأنك لو صرت كبيراً ستعصِني وتدخل النار فأحسن أن تموت صغيراً قبل أن تعصِيني فقال أبو الحسن فإذا قال الثاني يا رب لم راعيتَهُ ولم تراعني لِمَ لَمْ تُمِتني صغيراً؟؟!! حتى لا أدخل النار؟؟ فماذا يقول الرب؟ فبُهتَ الجبائي وقال له: إبِكَ جنون؟ أبك جنون؟ قال: لا، ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة، فأفحمه بهذا.. قال صاحب الزبد:

فـرضٌ عـلى النـاس إمـامٌ يُنْصَـبُ ... ومـا عـلى الإله شيءٌ يجِـبُ

فلا يجب شيء على الله تعالى.

اختلفت المعتزلة في تفسير الأصلح: فبعضهم فسره بالأوفق للنظام والحكمة وبعضهم فسره بالأنفع لهم عموماً لا خصوصاً وأنه أوجبه على نفسه.

وإيضاح مسألة الصلاح والأصلح: أنهم يقولون إذا كان هناك أمران، أحدهما صلاح والآخر فساد كالإيمان والكفر مثلاً وجب على الله فعل الصلاح وهو الإيمان هنا دون الفساد وهو الكفر إذا كان هناك أمران أحدهما صالح والثاني أصلح كالنزول في أعلى الجنة والنزول في أسفلها، وجب على الله، فعل الأصلح وهو النزول في أعلى الجنة دون الصلاح وهو النزول في أسفلها وقد استدلوا على مذهبهم بكثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] **وأجابهم أهل السنة، بأن هذا محض تفضل من الله وليس بواجب عليه.**

قوله: (اختلفت المعتزلة في تفسير الأصلح الخ).

المعتزلة اختلفوا فيما بينهم في تفسير الأصلح فبعضهم فسروه بالأوفق للنظام والحكمة وفسر بعضهم الأصلح بهذا كما يقال ظلم مرتب خير من عدلٍ مسيَّب وبعضهم فسَّروه بالأنفع لهم عموماً لا خصوصاً وأن الله تعالى أوجبه على نفسه أي ليس هم من أوجبوه على الله تعالى وإنما هو الذي أوجبه على نفسه أما إذا قالوا أنهم أوجبوا ذلك على الله تعالى.. فهذا كفر، أما عندنا.. لا يجب على الله تعالى شيء وأفعاله تعالى ما بين الفضل والعدل[1].

فما كان من خيرٍ وصلاحٍ ونفعٍ وكل ما يوافق طبع الإنسان.. هذا فضل، وما يكرهه الإنسان وكالشر والفساد.. هذا عدل، فلا يخرج عن هذا.

---

(١) قال صاحب الجوهرة:

فـإن يُثِبْنا فـبمحضِ الفضلِ   وإن يُعاقِبْ فـبمحضِ العدلِ

قوله: (وإيضاح مسألة الصلاح والأصلح أنهم يقولون إذا كان هناك أمران الخ[1])

معنى الصلاح والأصلح عندهم إذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر فساد كالإيمان والكفر.. وجب على الله فعل الصلاح، نعم عندنا من القواعد الفقهية يقولون: إن درء المفاسد أولى من جلب المصالح لكن هذه قاعدة فقهية فهم يقولون أنه يجب على الله هنا فعل الصلاح الذي هو الإيمان دون الفساد الذي هو الكفر وليس المراد بذلك أنه يجب على الله تعالى أن يخلقهم كلهم مسلمين لأن الكفر شيء حاصل وواقع بإرادة الله تعالى ومشيئته وأيضاً وقوع الفساد في الأرض أكثر من الصلاح والكفار أكثر والعصاة أكثر فلا يدخل في هذا وإنما معنى ذلك أنه يجب على الله عندهم أن يعذب الكافر ويدخله النار ويجب عليه أن يثيب المؤمن ويدخله الجنة وأما أهل السنة فليس ذلك بواجب عليه تعالى.

قوله: (إذا كان هناك أمران أحدهما صالح والثاني أصلح الخ).

أي: إذا كان هناك أمران كل منهما صالح لكن أحدهما أصلح كالنزول في أعلى الجنة والنزول في أسفلها فكل منهما صالح لأنهم داخل الجنة لكن الأول أعلى وهذا أسفل فالأصلح الذي في أعلى الجنة.. فعندهم يجب على الله فعل الأصلح وهو النزول في أعلى الجنة كقصة الثلاثة الأخوة المتقدمة.

واستدلوا على أن الله تعالى أوجب على نفسه هذا الشيء بظاهر الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فلما قال سبحانه: (على الله).. صار عندهم هذا واجب عليه تعالى لأنه أوجبه على نفسه وكحديث سيدنا معاذ لما سأله عليه الصلاة والسلام: «أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد

---

(١) المراد بالصلاح: ما يقابل الفساد كالإيمان في مقابلة الكفر، والصحة في مقابلة المرض، والمراد بالأصلح: ما يقابل الصلاح كالثواب بلا تكليف في مقابلة الثواب مع التكليف وكونه في أعلى الجنان في مقابلة كونه في الجنة. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

على الله؟» قال: الله ورسوله أعلم قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأما حق العباد على الله تعالى فأن لا يعذب من لا يشرك به».

فلمّا سماه حقاً فعندهم صار واجباً على الله تعالى، لكن عندنا هذا ليس على سبيل الوجوب وإنما تفضُّل وإكرام من الله تعالى لا أنه شيء واجب عليه وإنما فضلٌ من الله ونعمة قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس: ٥٨] وإن كان ظاهر الآية أنه على الله كما إذا قلت لإنسان حقِّي واجبٌ عليك وتعني أنه متأكد فهذا ليس معناه أنه يجب عليه شيء لك.

وكذلك عندهم إثابة الطائع وعقاب العاصي.. واجب على الله تعالى!! أما عندنا لا، فالطائع إن أثابه الله تعالى فبمحض فضله ويجوز له تعالى أن يعذبه إذا أراد ذلك وإن لم يفعل[1] والعاصي إن عاقبه الله فبمحض عدله[2] ويجوز له تعالى أن يثيبه ما لم يكن كافراً أما عندهم إثابة الطائع وعقاب العاصي واجب على الله تعالى ويقولون أن الله تعالى هو الذي أوجب ذلك على نفسه[3]، وبعد هذا سيأتي الكلام على حق الرسل.

---

(١) لكن هذا جائزٌ عقلاً ممتنعٌ شرعاً كما تقدم معنا في أول الكتاب لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد وهو قد وعد الطائعين بدخول الجنة لكن لو أراد ذلك فهو جائزٌ في حقه كما قال صاحب الزبد:

لــه عقــاب مــن أطاعــه كـما   يثيــب مــن عصَــى ويُــولي نعــما

(٢) قال صاحب الزبد:

يثيــب مــن أطاعــه بفضــلهِ   ومَــنْ يشــأ عاقَبَــهُ بعدلــهِ

والمحض: هو الخالص والعدل المحض: هو وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل ضد الظلم الذي هو وضع الشيء في محله مع الاعتراض على فاعله. اهـ (الباجوري جوهرة).

(٣) قال في الباجوري على الجوهرة: حكي عن الشيخ عفيف الدين الزاهد أنه كان بمصر فبلغه ما وقع ببغداد من القتل فإنه وقع السيف فيها أربعين يوماً فقتل ألفُ ألف وعلقت النصارى المصاحف في أعناق الكلاب وجعلوا المساجد كنائس وألقوا كتب الأئمة في الدجلة حتى صارت كالجسر تمر الخيل عليها، فأنكر الشيخ عفيف الدين، فقال: يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال؟ ومن لا ذنب له؟ فرأى في النوم رجلاً ومعه كتابٌ فأخذه فإذا فيه:

دعِ الاعــتراضَ فــما الأمــرُ لَــكْ   ولا الحكــمُ في حركــاتِ الفلَــكْ

ولا تســألِ اللهَ عــن فعلِــهِ   فمــن خــاضَ لُــجَّةَ بحــرٍ.. هَلَــكْ

والمعتزلة باعتقادهم هذا لا يكفرون لأن لهم تأويلاً في ذلك من خلال ظاهر الآيات بخلاف ما إذا لم يكن لهم تأويل سائغ كهؤلاء الذين قالوا لسيدنا أبي بكر: نحن لن ندفع زكاتنا إلا لمن صلاتُهُ سكنٌ لنا فهذا تأويل لكنه باطل.

ثم قال: وبالجملة فهو سبحانه وتعالى لا تنفعهُ طاعةٌ، ولا تضره معصيةٌ، والكل بخلقه فليست الطاعة مستلزمة للثواب، وليست المعصية مستلزمة للعقاب، وإنما هما أمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى. اهـ

دليل الجائز في حقه: هو: أنه لو وجب أو استحال عليه فعل الممكن لانقلب الجائز واجباً أو مستحيلاً وهذا محال، لأن فيه قلب الحقائق وقلب محال، ومراد بالحقائق: هذه الثلاثة: الجائز والواجب والمستحيل، فيستحيل قلب الجائز واجباً، والواجب مستحيلاً وهكذا.

أما قلب أفراد الجائز، بعضها إلى بعض، فهو جائز عقلاً كقلب الحيوان جماداً والإنسان قرداً وغير ذلك من خوارق العادة.

انتهت العقائد الواجبة، والجائزة والمستحيلة في حق الله، فلنشرع الآن في العقائد المتعلقة بالرسل.

قوله: (دليل الجائز في حقه هو أنه لو استحال عليه فعل الممكن لانقلب الخ).

أي لو استحال على الله تعالى شيء من الممكنات أي الجائزات أو وجب عليه شيء منها.. لانقلب ذلك الممكن واجباً أو مستحيلاً وهذا قلب للحقيقة، لأنه كيف يكون شيءٌ جائزٌ ينقلب مستحيلاً أو شيءٌ جائزٌ ينقلبُ واجباً؟ فهذا مستحيل لأنه قد تقدم معنا ما معنى الواجب: هو الذي لا يتصوَّر في العقل عدمه ومعنى المستحيل: هو الذي لا يتصور في العقل وجوده!! وهذا كذلك مستحيل.

قوله: (ومرادٌ بالحقائق هذه الثلاثة الخ).

المراد بالحقائق ليس على عمومه وإنما هذه الثلاثة التي هي الجائز والواجب والمستحيل، فيستحيل قلب الحقائق أي قلب الجائز واجباً وقلب الواجب مستحيلاً وهكذا فهذا المراد به أما قلب أفراد الجائز فهذا يجوز لكن في الأفراد لا في الأُصول كقلب الحيوان جماداً فهذا ممكن وليس مستحيل وكقلب الإنسان قرداً فهذا ممكن وقد قلب الله بعض بني إسرائيل إلى قردة وغير ذلك من خوارق العادات.

الدرس الثامن عشر

في إرسال الرسل، وتعريفهم وتعريف المعجزة

إرسال الرسل مختلف فيه، فمذهب أهل السنة: أنه جائز على الله مثل بقية الممكنات.

ومذهب المعتزلة: أنه واجب على الله وبنوا وجوبه على قاعدة فعل الصلاح والأصلح المتقدمة آنفاً في الدرس السابع عشر وحجتهم في ذلك أنهم يقولون: إن النظام الحيوي والمعاش الدنيوي للإنسانية لا يتمان إلا ببعثة الرسل، إذا لولاهم لاختل نظام الحياة، ولعم الفساد وخربت البلاد، فبعثتهم ضرورية لحياة بني آدم فهي واجبة في حق الله لأنها صلاح، فتأييدهم بالمعجزة واجب على الله على مذهبهم، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وما أشبهها.

وأجابهم أهل السنة عن هذه الآيات بما لا يتسع نطاق المقام لذكره.

قوله: (إرسال الرسل مختلَفٌ فيه فمذهب أهل السنة أنه جائز الخ).

إرسال الرسل وبعث الأنبياء جائزٌ في حق الله تعالى على مذهب أهل السنة والجماعة كبقية الممكنات فيجوز أن يبعثهم ويجوز أن لا يبعثهم[1] خلافاً للمعتزلة فعندهم واجب على الله تعالى بناء على مذهبهم من حيث مراعاة الصلاح والأصلح وإرسال الرسل هو الأصلح وينبني على مذهبهم هذا أشياء كثيرة[2].

---

(١) وهذا عقلاً أما شرعاً فهو واجبٌ لتعلق علم الله به. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

(٢) وعند الفلاسفة أن ذلك واجبٌ بالعلة والطبيعة لأنه يلزم من وجود الله وجود العالم ومن وجود العالم وجود من يصلحه وهذا بناءً منهم على أن العالم قديم ولا ينشئ عن الله إلا المصالح وهم كفار بتلك العقيدة اهـ (الصاوي على الجوهرة).

ومــن يقــل: بــالطبع أو بالعِلّــة فــذاك كفــرٌ عنــد أهــلِ الملّــة

قوله: (وحجتهم في ذلك أنهم يقولون إن النظام الحيوي الخ).

أي حُجَّة المعتزلة أن عدم بعث الرسل يؤدي إلى اختلال نظام الحياة والمعاش الدنيوي وكما يُقال: لولا العلماء لصار الناس كالبهائم فكيف إذا لم يكن رسل؟، وقد كان الناس يعبدون الأصنام ويأكلون الحرام ويقطعون الأرحام فأرسل الله الرسل لإنقاذ البشرية من الظلمات إلى النور، فبِعْثَتُهم ضروريةٌ لحياة بني آدم وهي عندهم واجبة في حق الله لأنها صلاح وكذلك واجبٌ عندهم على الله تعالى تأييد الرسل بالمعجزات لقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فكل ما جاء قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٦٥] يقولون بوجوب ذلك عليه تعالى كما تقدم معنا.

أما أهل السنة فأجابوا عن هذه الآيات بكلام طويل وأن هذا إنما هو من باب محض الفضل من الله تعالى: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾ [الحجرات: ٨] وليس على سبيل الوجوب عليه تعالى، لأنهم خلقه وعبيده وهذا ملكه فيتصرف كيف يشاء، هل أحدٌ يتحكَّم عليه؟ لا، لكن جرت عادة الله في الأرض، أن يكون في كل زمان شيخ ومريد وتابع ومتبوع ابتداءً من أبينا آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، ولما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وعلّمه الأسماء كلها أدخله الجنة وأجلسه على كرسيٍّ وأقام الملائكةَ صفوفاً حوله وسألهم عن هذه الأسماء، فعجزوا ! وقالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] فقال لآدم أنبئهم بأسمائهم وعلِّمهم فعلمهم آدم فصارت الملائكة تلامـذةً عنـد آدم وآدمُ شـيخهم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] ثـم بعـد آدم كـان شـيث قـد تعلَّم من أبيه آدم وأولاد شيث تعلموا من شيث. وهكذا جاء نبي الله نوح وعلم

أولاده ونبي الله إبراهيم وهَلُمَّ جرّاً من قرنٍ إلى قرنٍ إلى زمانا هذا قال سيدنا الحداد رضي الله عنه:

ولا بُـدَّ مـن شـيخ تسـيرُ بسـيرِهِ إلى الله من أهل النفوس الزكيَّةِ

وعلى كلٍّ، فقد وقع الإرسال فعلاً والإيمان بالرسل من أركان الدين، والعجب من البراهمة الذين يزعمون أن إرسال الرسل عبث لأن العقل يغني عما أتوا به.

قوله: (وعلى كُلٍّ فقد وقع الإرسال الخ).

أي: إنما الخلاف إذا لم يُرسِل ، هل واجب على الله الإرسال أم غير واجب؟ لكنَّ الإرسال قد وقع فعلاً والله قد أرسل الرسل وبعث الأنبياء.

قوله: (والإيمان بالرسل من أركان الدين الخ).

لأن الإيمان أحد أركان الدين، وأركان الإيمان ستة ومنها الإيمان بالرسل.

قوله: (والعجب من البراهمة الذين يزعمون أن إرسال الرسل عبث الخ).

البراهمة فرقة أكثرهم في الهند ويعملون رياضاتٍ ويجاهدون أنفسهم بكثرة الجوع وعدم إتيان النساء وعدم أكل ما فيه روح كاللحم والسمك وإنما يأكلون نحو النباتات حتى تخف أرواحهم وقد يطير أحدهم من هذه المجاهدات كذا كذا قامة من الأرض ولما جاء الحبيب شيخ بن محمد الجفري إلى مليبار.. قيل له إن هناك برهمي يطير وأن الناس افتتنوا به، فقال: اجمعوا بيني وبينه فجمعوا بينهما وحضر الأمراء والأعيان والناس كما في قصة موسى مع السحرة، فقال له الحبيب شيخ إما أن تبدأ أو أنا أبدأ؟ فقال البرهمي: أنا أبدأ، فطار والناس يصفقون له، فخلع الحبيب نعله وقال بسم الله فطارت النعلان وجعلتا تصفعا البرهمي حتى سقط على الأرض وغلبه ؛

وروي أن أحد البراهمة دُعِيَ إلى الدخول في الإسلام وكان قد بنى طريقته على مخالفة النفس، ولهذا فطرق الصوفية وإن كثرت.. كلها ترجع إلى مخالفة النفس.

وهذا البرهميُّ لما دُعِيَ إلى الدخول في الإسلام قال حتى أشاور نفسي فإن رأيت منها كراهة للإسلام.. دخلت فيه، وإن كانت تُحب الإسلام.. لن أدخل!! لماذا قال هكذا؟ لأنه بنَى أمره على المخالفة،،، فشاورَ نفسَهُ فإذا هي كارهة للدخول في الإسلام ، فخالفها وأسلم فصار من كبار العلماء.

هؤلاء البراهمة يزعمون أن إرسال الرسل عبث ، وقالوا : إنَّ العقلَ يُغني عمّا أتى به الرسل !! كذبوا ، لأنّ العقل لا يُغني عن ذلك.

وأما من زعم أن القوانين التي تخرجها عقول المفكرين تغني عن الشرائع، فذلك باطل لأنها لا تبقى أما الأمم المتباينة رُقِيّاً وانحطاطاً، فهم يبدلونها كل وقت وحين، ولا يمكن أن يوجد قانون عام للبشر. إلا من عند الله الذي هو أعرف بما يصلحهم، ولو فرضنا على التنازل إمكان قيامها مقام الشرائع لكان هناك فساد آخر، وهو أن كل إنسان في وسعه مخالفتها من حيث لا يشعر به أحد أما مع الشرع فلا يتأتى منه ذلك، لأنه يعتقد أن هناك رباً مطلعاً عليه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وسيجازيه بما يستحقه.

قوله: (وأما من زعم أن القوانين التي تخرجها عقول المفكرين تغني عن الشرائع فذلك باطل الخ).

أي أن من زعم أن هذه القوانين الوضعية التي في هذا الزمان تغني الشرائع فهذا باطل لأنها لا تبقى وهي بحاجة في كل وقت إلى تغيير وتبديل ولا يتأتى وجود قانون عام للبشرية إلا من عند الله تعالى!! لأنه العالم بما يصلحهم، ولو فرضنا وهذا فرض مثال: إمكان قيام هذه القوانين الوضعية مقام الشرائع.. لكان هناك فساد آخر وهو أن كل إنسان يقدر أن يخالف القانون من حيث لا يشعر به أحد، أما الشريعة إذا أراد مخالفتها فهو يراقب الله تعالى الله ناظري الله حاضري الله قريب مني ويعلم أن هناك ربّاً مطلعاً عليه ، أمّا في القوانين فإن رئيسه في محل وهو في محل آخر ، فيستطيع أن يخالفه، كما في قصة البنت التي قالت لأمها لما رأتها تخلط اللبن بالماء: أَلَمْ ينْهَ أميرُ المؤمنين عن خلط اللبن بالماء؟ فقالت أمُّها: إن أمير المؤمنين لا يرانا ، فقالت البنتُ: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن ربَّ أميرِ المؤمنين يرانا.

فالشريعة هي التي تمنع الإنسان عن مثل هذا ، أما القوانين فإنه يتمكّن من مخالفتها من حيث لا يشعر به أحد.

الرسل: هم طائفة من الناس انتقاهم الله لهداية جنسهم البشري وميزهم بميزات سامية، وشرفهم بصفات عالية، ونصبهم قدوة لأممهم ليكونوا سبباً في سعادتهم ديناً ودنيا.

قوله: (الرسل هم طائفة من الناس انتقاهم الله لهداية جنسهم البشري الخ).

ليس لأي أحد أن يكون من الرسل وهذه خصوصية اختص الله بها من شاء من عباده فلا تنال الرسالة بالجد ولا بالاجتهاد ولا بالرياضات، نعم الولاية تنال بذلك وفيه خلاف قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وبعضهم قال أن أصل الولاية إنما هو موهبة من الله، لكن موهبة لمن تعرض لها بتصفية القلوب وتصفية السرائر(١) أما النبوة فلا يمكن للإنسان أن يدركها بالاكتساب كما قال صاحب الجوهرة:

ولم تكن نبوةٌ مكتسبَهْ ... ولو رقى في الخير أعلى عقبَهْ

بمعنى أنها خصوصيَّة يختص الله بها من يشاء قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ * أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٢] وفي الآية الثانية يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ(٢) ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

والرسل هم طائفة من بني آدم وهم بشر لكن كما قال الشاعر:

محمدٌ بشرٌ لا كالبشرْ ... بل هو ياقوتةٌ بين الحجرْ

---

(١) الولاية منها ما هو مكتسب وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة، ومنها ما هو غير مكتسب وهو العطايا الربانية كالعلم اللدني ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك اهـ (شرح الياقوت).

(٢) (فائدة): هذا الدعاء يقرأ بين لفظي الجلالة في سورة الأنعام آية [١٢٤]: اللّهم ارحم العبرة، واستر العورة، واغفر الزلة، واقبل التوبة، وأجب الدعوة، واجبر الكسرة، وانصر من لا ناصر له سواك يا أرحم الراحمين. اهـ (المشرب الصافي الهني)

فهم بشر من ذرية آدم عليه السلام من لحم ودم لكن الله خصهم بخصوصيات لم توجد في غيرهم والله تعالى اختارهم واصطفاهم لهداية جنسهم البشري، فيجوز عليهم ما يجوز على البشر وهل يكون رسولٌ من الجن؟! لا، لا يكون رسولٌ من الجن[1] ولم يكن أحدٌ من الرسل مرسلاً إلى الجن إلا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وهذا من خصوصيته أما نبي الله سليمان فليس مرسلاً إليهم وإنما مكنه الله منهم ليستخدمهم لا أنه مرسل إليهم.

قوله: (وميزهم بميزات سامية الخ).

أي بالمعجزات والأسرارِ والأنوار والأخلاق الفاضلة والصفات العالية، واختلفوا هل الأنبياء معصومون من صغرهم من حين يولدون أو من حين البلوغ أو من حين التبليغ فيه خلاف!! والأخير المشهور.

قوله: (ونصبهم قدوة لأممهم ليكونوا سبباً في سعادتهم الخ).

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] وهكذا سائر الأنبياء والمرسلين قدوة لغيرهم ليكونوا سبباً في سعادتهم أي في إصلاح معاشهم ومعادهم.

---

(١) وأما قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] فمعناه من أحدكم وهو الإنس. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

والرسل جمع رسول، والرسول: إنسان حر ذكر أوحى الله إليه بشرع وأمر تبليغه وأيده بمعجزته، أما إذا لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط: فكل رسول نبي ولا عكس.

قوله: (والرسل جمع رسول والرسول إنسان حر ذكر الخ).

إنسان.. خرج به الجن والملائكة[1] فلا يكون فيهم رسول.

حر.. خرج به العبد أو من فيه رق.

ذكر.. فلا يكون أنثى إلا على أقوال ضعيفة أن آسية ومريم من الأنبياء[2] وسيدتنا مريم صدِّيقة بنص القرآن والوحي الذي نزل على أم موسى إنما هو إلهام[3] كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨].

سليمٌ.. عن منفِّرٍ طبعاً[4] وعن دناءة أبٍ وخنا أمٍّ أي يكون سليماً من هذا.

قوله: (أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه[5] الخ).

كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

قوله: (وأيده بمعجزته).

أي لما أنه بشر مثل قومه أي من بني آدم فإنهم سيكذبوه فأيده الله تعالى بالمعجزات حتى يصدقوا به، والمعجزات: هي الأمر الخارق التي عجز البشر عن

---

(١) وأما قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥] أي رسلاً للأنبياء ليبلغوهم عن الله الشرائع لا للأمة. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

وقال في الباجوري على الجوهرة: وكفر من قال في كل أمةٍ نذير بمعنى أنه كل جماعة من الحيوانات رسول وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤] فهو في أمم البشر الماضية. اهـ

(٢) ومثلهما حواء وأم موسى واسمها ((يوحانذ)) بالذال المعجمة وهاجر وسارة فهذا قول مرجوح، قال صاحب بدء الأمالي:

وما كانت نبيّاً قط أنثى ولا عبدٌ وشخصٌ ذو فِعالِ

اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٣) وهو: الإلقاء في القلب.

(٤) كعمى وبرص وجذام.

(٥) وهذا قيد في الرسول دون النبي.

الإتيان بمثلها حتى يكون حجةً لهم وأنه مرسلٌ من عند الله تعالى لأن الله تعالى هو الذي أيدهم بهذا، وهي بمنزلة قول الحق جل وعلا: (صدق عبدي في كل ما يخبر عني).

قوله: (أما إذا لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط الخ).

أي أما إذا لم يؤمر بالتبليغ وإنما كان مرسلاً في حق نفسه فقط.. فهو نبي فقط، أما إذا أمر بالتبليغ ولو إلى عشيرته أو إلى قومه أو قومه أو إلى أهل بلده أو إلى أهل جهته فيسمى رسولاً كما أبينا آدم فإنه كان مرسلاً إلى أولاده وإلى أولاد أولاده لأنه لم يكن بشر غيرهم في ذلك الوقت وبعضهم[1] يقول حتى النبي قد يؤمر بالتبليغ، وكل رسول نبي ولا عكس أي وليس كل نبي رسول فبينهما عموم وخصوص مطلق[2].

---

(١) وهو العلامة السعد التفتازاني اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) وقيل بينهما العموم والخصوص الوجهي لأن ((النبي)) فقط: من أوحي إليه بشرع يعمل به واختص به، ((والرسول)) فقط: من أوحي إليه بشرع يعمل به ويبلغه لغيره ولم يختص بشيء منه، فإن اختص بالبعض وبلغ البعض فهو نبي ورسول اهـ (الباجوري على الجوهرة)

وقال بعض المحققين كلاهما مأمور بتبليغ ما أُوحي إليه فلا فرق بينهما عنده، وليست النبوة ولا الرسالة مما يكتسب بالرياضات ولا الخلوات ولا يمكن لكل أحد أن يتحصل عليهما، وإنما هما محض تفضل من الله يختص به من يشاء ولهذا كفروا بعض الفلاسفة الذين زعموا أنهما مكتسبتان.

قوله: (وقال بعض المحققين كلاهما مأمور بتبليغ ما أوحي إليه الخ).

كما قلنا لكم بعضهم قال لا فرق بينهما فكل منهما مأمور بالبتليغ إلَّا أن النبي لا يُنزل عليه كتاب والرسول ينزل عليه كتاب فلا فرق بينهما عنده في التبليغ لكن المعتمد أن هناك فرقاً حتى من خلال عدد الرسل فإنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر[1].

أما الأنبياء فمائة وأربعة وعشرون ألف نبي فهم كثير[2].

والمعتمد أنه لا يعلم عِدّتهم إلا الله لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، والنبوة والرسالة كما قلنا لكم لا تكتسبان بالرياضات ولا الخلوات وإنما هما محض تفضل من الله يَخُصُّ بهما من يشاء من عباده.

قوله: (ولهذا كفر الفلاسفة الذين زعموا أنهما مكتسبتان).

صاحب الأبيات ذكر ثلاثة أشياء فقط كفر بها الفلاسفة:

بثلاثـــةٍ كفـــر الفلاســـفةُ العِـــدى	إذْ أنكروهـــا وهـــي حـــقٌّ مُثْبَتَـــةْ
علـــمٌ بجزئـــيٍّ، حـــدوث عـــوالمٍ	حشـــرٌ لأجســـادٍ وكانـــت مَيِّتَـــةْ

ولم يذكر هذا من ضمنها لأنه ليسوا كل الفلاسفة قالوا به وإنما بعضهم[3].

---

(١) وقيل: ثلاثمائة وأربعة عشر، وقيل: وخمسة عشر.

(٢) وقيل: مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

(٣) قال العلامة الباجوري في شرح الجوهرة: والقول باكتساب النبوة.. أقوى المسائل التي كفرت بها الفلاسفة وإن لم تكن من المسائل المذكورة في النظم المشهور، ويلزم على قولهم باكتسابها تجويز نبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعه وذلك مستلزم لتكذيب القرآن والسنة فقد قال تعالى: {وخاتم النبيين} وقال عليه الصلاة والسلام: «لا نبي بعدي». اهـ

أما وظيفة الرسل فهي هداية الخلق إلى سعادتي الدنيا والآخرة وذلك بإرشادهم إلى اتباع الشرائع والأنظمة التي سنها الله على أيديهم.

قوله: (أما وظيفة الرسل فهي هداية الخلق الخ).

هذا هو المقصود من إرسال الرسل وهو هداية الخلق إلى سعادتي الدنيا والآخرة ويكون بإرشادهم إلى اتباع الشرائع التي سنها الله على أيديهم كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

المعجزة هي: الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد النبي بعد النبوة مع التحدي والموافقة لما يدعي، وهي أعظم ميزة للنبي أو الرسول، لأنها عبارة عن تأييد الله لهم، فهي بمنزلة قول الله: (صدق عبدي فيما يبلغه عني)، فإذا لم يكن خارقاً للعادة فليس بمعجزة، وأما الخارق للعقل فمعلوم أنه لا يتصور وقوعه.

قوله: (المعجزة هي: الأمر الخارق للعادةالخ).

لا تكون المعجزة إلا أمراً خارقاً للعادة أما إذا جاء أحد وكانت معجزته غير خارقة للعادة وإنما بما جرت بها العادة.. فلا تكون هذه معجزةً، ولهذا لما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: «إن الله يحيي ويميت» فقال النمروذ: (أنا أحيي وأميت) وأتى بشخصين أحدهما بريء والآخر محكوم عليه بالإعدام فقتل البريء وأطلق المجرم، فقال له: فأنا أحيي وأميت وهذا الفعل ليس بخارق للعادة لأنه قتل من انتهى أجله والآخر لا يزال في أجله فسحة فطلب منه سيدنا إبراهيم أن يأتي بالشمس من المغرب، لأن الله يأتي بها من المشرق قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] والمعجزة: هي الأمر الخارق الذي يظهر على يد النبي بعد النبوة.. لماذا قال بعد النبوة؟؟ لأن ما يظهر على يد النبي قبل النبوة تسمى إرهاصات -مقدمات- أي تأسيسات للنبوة، كما قال صاحب المولد: وقد تقدمت له قبل النبوة إرهاصات هي على نبوته ورسالته من أقوى العلامات، فالأمر الخارق للعادة إذا ظهر على يد النبي قبل النبوة يسمى إرهاصاً[1]، وإذا كان بعد النبوة يسمى معجزة فهذا هو الفرق بينهما، وإذا ظهر الأمر الخارق للعادة على يدِ غيرِ نبيٍّ كولي أو عارفٍ بالله تعالى.. فهذا كرامة، وإذا ظهر على يد مؤمن عاديٍّ ليس بولي ولا عارف بالله تعالى.. فهذا معونةٌ، وإذا

---

(١) كإظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

ظهر على يد كافر أو فاجر أو ملحد.. فإن كان على وَفق إرادته.. فهذا استدراجٌ، وإن كان على غير وَفق إرادته فيسمى إهانة[1].

قوله: (مع التحدي والموافقة لما يدعي الخ).

كذلك لا بد من هذا الشرط في المعجزة فالأول أن يكون أمراً خارقاً للعادة وأن يظهر على يد النبي بعد النبوة وأن يكون مع التحدي أي طلب المعارضة كما قال الله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] تحداهم ، والثاني: أن يكون مع دعوى النبوة بأن يدعي النبيُّ النبوة، فالولي لا يدعي النبوة، والشرط الثالث الموافقة لما يدعي[2] مع نفي المعارضة بحيث لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله كعصا موسى وانشقاق القمر وكما يقال:

إذا جاء موسى وألقى عصاه.. فقدْ بطلَ السحرُ والساحِرُ

قوله: (وهي أعظم ميزة للنبي أو الرسول الخ).

أي أن المعجزة تأييد من الله تعالى للنبي وهي بمنزلة قول الله: صدق عبدي فيما يبلغه عني، فهي بمنزلة هذا وهي أعظم ميزة للنبي.

قوله: (فإذا لم يكن خارقاً للعادة فليس بمعجزة الخ).

هذا ظاهر، فإذا لم يكن ما أتى به خارقاً للعادة فليس بمعجزة[3]، وأما الشيء الخارق للعقل فمعلوم أنه لا يتصور وقوعه كالجمع بين الضدين.

---

(١) وقد نظم بعضهم هذه الأقسام بقوله:

بالمعجزات وبالإرهاص قد خُبِيَتْ ... دونَ البريّةِ أربابُ النبوّاتِ
والأولياءُ وباقي المؤمنين حُبُوا ... من ربهم بكراماتٍ معوناتِ
والكافرون بألاستدارج قد هلكوا ... كذاك بالسحرِ أيضاً والمهاناتِ

اهـ (بهجة الطالبين)

(٢) خرج بذلك المخالف لها كما إذا قال آية صدقي انفلاق البحر فانفلق الجبل. اهـ (الباجوري على الصاوي)

(٣) كما إذا قال: آية صدقي طلوع الشمس من المشرق، وغروبها من المغرب. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

وأما الخارق المخالف لشريعة ذلك النبي أو المكذب له فليس بمعجزة أيضاً، وهذا هو معنى الموافقة لما يدعي.

وإذا لم يكن ذلك الخارق على يد نبي بأن يكن على ولي مطيع لله فيسمى: كرامة.

أو على يد عامي فيسمى: معونة.

أو على يد فاسق فيسمى: استدراجاً إن كان على وفق مراده وإلا فيسمى إهانة.

قوله: (وأما الخارق المخالف لشريعة ذلك النبي أو المكذب له الخ).

أي: كذلك الأمر المكذِّب للنبي[1] أو المخالف لشريعته.. ليس بمعجزة وهذا معنى اشتراط الموافقة لما يدعي كما حصل من مسيلمة الكذاب فإنه مكذِّبٌ له.

قوله: (وإذا لم يكن ذلك الخارق على يد نبي الخ).

كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي.. جاز أن يكون كرامة لولي، وهذا مذهب الجمهور وما ذهب إليه صاحب الرسالة الإمام القشيري وجرى عليه صاحب الزبد بقوله:

والأوليـاءُ ذوُوا كرامـاتٍ رتـب ... ومـا انتهـوا لولـدٍ مـن غـير أبّ

من أنه لا تبلغ كرامة الولي إلى أن يوجِدَ ولداً دون أب.. فإن هذه معجزة لنبي وهو نبي الله عيسى وكرامة لأمه عليها السلام، فعندهما أن كرامة الولي لا تبلغ هذه وعند الجمهور أنها تبلغ لأن مرجع كل ذلك إلى قدرة الله وقدرة الله صالحة لكل شيء، وما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لكن لم يحصل هذا وإنما هو خلاف هل يجوز أو لا يجوز.

فهذا يسمى كرامةً إذا لم يكن على يد نبي ولكن على يد ولي مطيع لله قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] لكنَّ

---

(١) كما إذا قال آية صدقي نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفترٍ كذاب. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

الأولياء لا يحبون إظهار الكرامات وإنما يظهرونها عند الضرورة وعند شدة الحاجة إما لأجل تقوية قلب مريد أو لأجل الرد على الخصم، والذي يُظهر الكراماتِ من غير حاجة تنقص مرتبته عند الله تعالى، والكرامة الحقيقية إنما هي بالتقوى والاستقامة وليس من شرط الولي ظهور كرامة وإنما شرطه التقوى والاستقامة قال سيدنا الجنيد رضي الله عنه: إذا رأيتم رجلاً يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تُعَرِّجُوا عليه ولا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي، أي وإلا فهو استدراج، فالبراهمة يطيرون، والجن يطيرون من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة، وكل من ادعى الولاية وللشارع عليه اعتراض.. فهو مخذول.

قوله: (أو على يد عامي فيسمى معونة أو على يد فاسق فيسمى استدراجاً إن كان على وفق مراده وإلا فيسمى إهانة..الخ).

أي: فإن ظهر ذلك الأمر الخارق للعادة على يد رجل عامي ليس بولي ولا عارف بالله فهذا معونة، أو ظهر ذلك الأمر على يد فاسق فإن كان على وَفق مراده فيسمى استدراجاً، كالدجال يقول للسماء أمطري فتمطر ويقول للأرض أنبتي فتنبت ويقول لأهل القبور اخرجوا فيخرجون[1]، فإن لم يكن على وَفق مراده فيسمى إهانة كما حصل لمسيلمة الكذاب حين قيل له إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) مسح على عين أعمى فَرُدَّ بصره فقال: وأنا كذلك

فمسح على عين أعور فعميت الصحيحة، وقيل له إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) تفل في بئرٍ ماؤها مالح فعَذُب، فتفل في بئرٍ ماؤها عذب فصار مالحاً فهذه إهانة[2].

---

(١) وبعضهم جعل ذلك من قسم الابتلاء كما قال الناظم في أقسام خوارق العادة:

ويعد ذاك لابتلاء جالي ... من خارق على يد الدجال

اهـ (بهجة الطالبي)

(٢) وقد نظم بعضهم أقسام الأمر الخارق للعادة فقال:

وأما العلوم التي يحصل بها الخرق للعادة ظاهراً: كعلم السحر والشعوذة فلم يعدها كثير من المحققين من الخوارق، بل جعلها معتادة عند تعاطي الأسباب كما هي معروفة عند ذويها.

وإذا لم يكن وقوع الخارق بعد النبوة بل قبلها فهو: إرهاص.

قوله: (وأما العلوم التي يحصل بها الخرق للعادة ظاهراً كعلم السحر الخ).

العلوم التي يحصل بها خرق للعادة ظاهراً لا حقيقةً كعلم السحر والشعوذة.. لم يَعدُّوها من الخوارق وإنما جعلوها أموراً معتادةً لا خارقةً لماذا؟ لأن لها أسباباً يتعاطونها، أما الكرامة فإنها من غير أسباب وإنما أكرمهم الله تعالى بها.

فهذه الأمور الخارقة ظاهراً فإنها تحصل بتعاطي أسباب وغير ذلك.

إذا ما رأيت الأمرَ يخرقُ عادةً … فمعجزةٌ إنْ من نبيٍّ لنا صدَرْ

وإن بانَ منهُ قبل وصف نبوَّةٍ … فالإرهاصَ.. سَمِّهْ، تتبعِ القومَ في الأثَرْ

وإن جاءَ يوماً من وليٍّ فإنَّهُ الـ … كرامةُ في التحقيق عند ذوي النظر

وإن كان من بعض العوام صدورُهُ … فكَنُّوهُ حقّاً بالمَعُونةِ واشتَهَرْ

ومِن فاسقٍ: إنْ كان وِفْقَ مرادِهِ.. … يسمى: بالأستدراج.. فيما قد استقرْ

وإلّا.. فيُدعَى بالإهانةِ عندهُمْ … وقَدْ تمَّتِ الأقسامُ عند الذي اختبَرْ

اهـ (الباجوري على الجوهرة)

قال سيدي نفع الله به في بهجة الطالبين:

(فائدة): أقسام خوارق العادة سبعة نظمها بعضهم بقوله:

أجَلُّها معجزةُ النبيِّ … وبعدَها كرامةُ الوليِّ

وقبلها الإرهاصُ وهو المؤنِسُ … قبل النبوةِ لها مُؤَسِّسُ

وبعدها معونةٌ لمسلمِ … ليتخلَّصَ بها من مَظْلَمِ

وبعد ذاك الابتلاءُ جالي … من خارقٍ على يدِ الدَّجالِ

وسَمِّ الاستدراجَ كُلَّ خارقِ … لمن عن الدين القديمِ مارِقِ

وبعد ذا مهانةٌ: أي: مُعْلِمَة … تكذيبَ كافرٍ كما مُسيلِمَة

دعا لأعورٍ بصحة البَصَرْ … فصار أعمى فدُعاؤُهُ أضرّ

وقال بعضهم: أنه لا ينفعل السحر للساحر إلا بعد أن يخرج من الدين وإلا فلا يظهر أثره كما ذكر الإمام الشعراني أنه تاب أحد السحرة وأخبر بأن هذا السحر لا يعمل حتى يكفر الساحر إما بسجوده لغير الله أو بكتابة سورة يس بالبول أو بفعل شيء من المكفرات وهذا يؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي فلا تكفر بتعلمه ويدل هذا على أنه كُفرٌ مطلقاً وإن لم يستحله وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد أن الساحر كافر مطلقاً، أما الجمهور فيقولون أن الساحر لا يكفر وأن السحر كسائر الكبائر لا يكفُر صاحبه إلا إذا استحله.

قوله: (وإذا لم يكن وقوع الخارق بعد النبوة بل قبلها فهو: إرهاص الخ).

إذا كان الأمر الخارق للعادة وقع بعد النبوة فهو معجزة أما إذا وقع قبل النبوة فهو من الإرهاصات كما تقدم وهي جمع إرهاص والإرهاصات هي المقدمات للنبوة.

وأما التحدي: فمعناه طلب المعارضة من المنكرين، فمثال المعجزة انفلاق الحجر لسيدنا موسى وإحياء الموتى لسيدنا عيسى والقرآن وغيره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: (وأما التحدي: فمعناه طلب المعارضة من المنكرين الخ).

كما قال الله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] ويخرج به الكرامة فليست مقرونةً بدعوىٰ النبوة ولا بطلب المعارضة.

قوله: (فمثال المعجزة انفلاق الحجرالخ)

الأحسن أن يقال انفلاق البحر لسيدنا موسىٰ وانفجار العيون من الحجر ولعل هذا سبق قلم، وكذلك إحياء الموتىٰ لسيدنا عيسىٰ، والقرآن لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذه كلها معجزات وهي كثيرة كحنين الجذع وانشقاق القمر وغير ذلك كثير وكثير[1].

---

(١) والحاصل أنه قد اعتبر المحققون ((في المعجزة)) سبعة قيود: الأول: أن تكون قولاً أو فعلاً أو تركاً.. فالأول.. كالقرآن والثاني.. كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، والثالث.. كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم.

الثاني: أن تكون خارقة للعادة وهي ما اعتاده الناس واستمر عليه مرة بعد أخرىٰ وخرج بذلك غير الخارق كما إذا قال آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع وغروبها من حيث تغرب.

الثالث: أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة وخرج بذلك الكرامة: وهي ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، والمعونة: وهي ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدّة، والاستدراج: وهو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكراً به، والإهانة: وهو ما يظهر على يده تكذيباً له كما وقع لمسيلمة الكذاب فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة.

الرابع: أن تكون مقرونة بدعوىٰ النبوة أو الرسالة حقيقةً أو حكماً: بأن تأخرت بزمن يسير، وخرج بذلك.. الإرهاص وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيساً لها كإظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

الخامس: أن تكون موافقة للدعوىٰ وخرج بذلك المخالف لها كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر فانفلق الجبل.

السادس: أن لا تكون مكذبة له: وخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له كما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب، بخلاف ما لو قال: آية صدقي نطق هذا الإنسان الميت وإحياؤه فأُحيي ونطق بأنه مفتر كذاب، والفرق أن الجماد لا اختيار له، فاعتبر تكذيبه لأنه أمر إلهي، والإنسان مختار فلا يعتبر تكذيبه لأنه ربما اختار الكفر على الإيمان.

السابع: أن تتعذر معارضته وخرج بذلك السحر والشعبذة وهي: خِفّةٌ في اليد يُرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها كما يقع للحواة.

وزاد بعضهم ثامناً: وهو أن لا تكون في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها وخرج بذلك ما يقع من الدجال كأمره للسماء أن تمطر فتمطر وللأرض أن تنبت فتنبت. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

الدرس التاسع عشر

في الواجب والجائز والمستحيل في حق الرسل

لما أن الله سبحانه وتعالى أهل الرسل لتلقي وحيه، وأعد قلوبهم لما سيفيضُهُ عليها من علومه وأسراره.. أوجب لهم الاتصاف بما من شأنه أن يجعلهم مصدَّقين ومهيئين للهداية وللرد على المفسدين والمعاندين، فيستحيل أن يكون فيهم ضد ذلك مما ينافي أهليتهم لمنصب النبوة والرسالة، أما ما ليس كذلك، فيمكن أن يتصفوا به، إذن فالواجب لهم شرعاً وعقلاً أربعة أمور والمستحيل عليهم ضدها:

(الواجب) (المستحيل)

الصدق، وضده: الكذب، الأمانة، وضدها: الخيانة، التبليغ، وضده: الكتمان، الفطانة، وضدها: البلادة

قوله: (لما أن الله سبحانه وتعالى أهل الرسل لتلقي وحيه الخ).

الواجب والجائز والمستحيل في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام كلها تسع صفات وفي حق الله تعالى إحدى وأربعون فالجملة خمسون كما قال صاحب عقيدة العوام:

فـاحفظ لخمسـين بحكـم واجـبِ

والتي في حق الرسل أربع صفات واجبةٌ وأربعُ صفاتٍ مستحيلة وواحدةٌ جائزة.

ولما أن الله تعالى أهّل الرسل كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقال: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤] ولم يرسل رسولاً إلا

قال في شرح الصاوي: ورُدَّ بأنه في ذلك الزمان لا يظهر نبي ولا تقبل دعواه لختمها بسيد العالمين صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ

الحواة: جمع حاوي، وهو الذي يرقي الحيات ويجمعها، والرجل يقوم بأعمال غريبة. اهـ المعجم الوسيط (١/ ٢٠٩) مادة (حوى)

بعد أن جعله متأهلاً لقبول الوحي وأداء الرسالة لأن تلقي الوحيِ ليس بالأمر السهل والنبي صلى الله عليه وسلم عندما كان ينزل عليه الوحي كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] إن كان فوق راحلةٍ.. بركَتْ من ثِقَل الوحي، وكان يأتيه الوحي أحياناً في مثل صلصلة الجرس[1] ولما أنه تعالى أعدَّ قلوب أنبيائه لما سيفيضه عليها من علومه وأسراره فلما كان الأمر هكذا.. أوجب لهم الاتصاف بما من شأنه أن يجعلهم مصدَّقين بحيث لا يكذبُهم أحدٌ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى بالصادق الأمين، وقالوا له: ما جربنا عليك كذباً قط، حتى أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك ولكن نكذِّب ما جئت به، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] فلم يكن أجنبياً أو أنه أتى من مكان بعيد بل هو من بينكم تعرفونه من صغره ونشأتِهِ على الأخلاق الحسنة وعلى الصدق والأمانة وعلى العفة.

وأوجب الله لهم أن يكونوا مُهَيَّئين لهداية البشر وأعطاهم قوةً وقدرةً للرد على الخصوم وللرّد على المفسدين والمعاندين، فيستحيل إذاً أن يكون فيهم ضدُّ ذلك من البلادة والغباوة ومن الاتصاف بغير الصدق والأمانة مما ينافي أهليتهم لمنصب النبوة والرسالة.

فالولي لا يجوز عليه أن يتصف بشيء مما ينكره الشرع فكيف بنبي!، كما قال سيدنا الجنيد: إذا رأيتم رجلاً طار في الهواء أو مشى على الماء فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي، فكل من للشارع عليه اعتراض فهو زنديق مخذول.

قوله: (أما ما ليس كذلك، فيمكن أن يتصفوا به الخ).

---

(١) أي: في مثل صوت الجرس والصلصلة الصوت، يقال: صلصلة الطست وصلصلة الجرس وصلصلة الفخار، وعن ابن عباس: كصوت إمرار السلسلة على الصفا. اهـ (التمهيد)

معنى الأمانة في حق الرسل: أنهم محفوظون في الظاهر والباطن عن ارتكاب المعاصي ومعصومون من الذنب لأنهم لو ارتكبوا شيئاً من المنهيات والمعاصي لكنا مأمورين بذلك لأن الله أمرنا بأتباعهم والله لا يأمر بالمعاصي والمنهيات، وما ذكر عن مندور بعض الأخطاء من بعضهم أجيب بأنه قبل النبوة وفسر تفسيراً مناسباً يتناسب مع عذرهم.

قوله: (معنى الأمانة في حق الرسل الخ).

هذه هي الصفة الثانية في حق الرسل والأمانة معناها عام فقد تكون في الودائع وقد تكون كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وما المراد بالأمانة هنا في حق الرسل؟ المراد به حفظ ظواهرهم وبواطنهم من ارتكاب منهي عنه من فعل محرم أو مكروه بل أو خلاف الأولى بمعنى العصمة، فأفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب والمباح ولهم ثواب المباحات بالنيات الصالحة، وأما ما ورد عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه شرب قائماً أو بال قائماً فهذا مكروه لكنه فعله لبيان الجواز، وبيان الجواز في حقه صلى الله عليه وسلم واجبٌ لأجل التشريع وتبليغ الرسالة، فهذا المراد بالأمانة في حق الرسل، فهم محفوظون ومنزهون من المعاصي الظاهرة كالكذب وكذا الباطنة كالحسد وغير ذلك، وهم معصومون من جميع الذنوب لأنهم لو ارتكبوا شيئاً من المنهيات والمعاصي.. لكنا مأمورين بذلك.. لماذا؟ لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] فلو أنهم فعلوا شيئاً من ذلك لكان الناس مأمورين به والله سبحانه لا يأمر بالمعاصي والمنهيات.

قوله: (وما ذكر عن مندور بعض الأخطاء من بعضهم الخ).

أي أما ما ورد في بعض الآيات القرآنية مما يوهم أنهم ارتكبوا شيئاً من المعاصي فليست معاصٍ على الحقيقة وإنما صورة المعصية كما في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وهو أكله من الشجرة، وكذلك نبي الله داود كما ذكر بعض المفسرين أنه خطيئته النظر وهذا مما لا ينبغي الاعتماد عليه.

قال الشيخ ابن حجر: وإن جلَّ ناقلوه كالبغوي والبيضاوي. اهـ لأن أكثره مأخوذ من الإسرائيليات ولا سيما في قصة نبي الله يوسف عليه السلام أنه حلّ سراويله وأنه همَّ أن يواقعها فهذا لا يجوز في حقهم، لأن الولي لا يفعل هذا فكيف بنبي وصديق وقال الإمام السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾.. [يوسف: ٢٤] أنه من باب التأخير والتقديم، أي لولا أن رأىٰ برهان ربه.. لهمَّ بها فلما أنه رأى برهان ربه.. لم يهِمَّ بها، ومنهم من يقول: هَمَّ أن يضربها، وقيل: همَّ أن يهرب منها، والأقوال في هذا كثيرة، وقد ذهب جمهور المحققين إلى أن الأنبياء والرسل معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها، وبعضهم حمل ذلك على ما كان قبل النبوة، والمعتمد الأول، وإنما الذي وقع منهم إنما وقع على سبيل الخطأ والنسيان، فإذا كان الأمر كذلك فليس بمعصية، ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] وأما عتابه تعالى لهم فإنما هو لِعُلُوِّ مرتبتهم فهو من باب: حسنات الأبرار سيئاتُ المقربين[1].

---

(١) قال سيدنا الإمام عبدالله بن محسن العطاس رضي الله عنه: إن الأنبياء لهم العصمة والأولياء لهم الحفظ ولا يصل إلى مرتبة الأنبياء أحد وما ذكر في القرآن مما وقع من الأنبياء مما صورته المعصية فليس بمعصية لأنهم معصومون من المعاصي فما وقع منهم فهو قبل أن يقع الحكم عليهم بتحريم ذلك الفعل وإذا كان كذلك فليس بمعصية.

وكان سيدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنه يقول في الفرق بين العصمة والحفظ: إن العصمة للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فلا تجوز عليهم المعاصي لا الكبائر ولا الصغائر لا قبل النبوة ولا بعدها والحفظ للأولياء رضي الله عنهم فإنهم محفوظون من المعاصي ولكنها جائزة عليهم في نادر الأحوال ولكنه إذا وقعت منهم المعصية أقلعوا عنها في الحال فلا تضرهم المعصية. اهـ (بهجة الطالبين)

ومنهم من يقول أن هذا وقع منهم قبل أن يحكم عليهم بتحريم ذلك، فإذا كان الأمر كذلك فليس بمعصية[1]، وقد اختلفوا من متى وقت عصمة الأنبياء فقال بعضهم من حين وُلِدوا وهم معصومون، لكن هذا القول ضعيف، ومنهم من يقول من حين بلوغهم، ومنهم من قال من حين بعثتهم وهو الأشهر[2].

(١) وهو ما نقل عن الحبيب عبدالله بن حسن العطاس رضي الله عنه.

(٢) (فائدة): لقد نظم بعضهم الخلاف في وقت عصمة الأنبياء فقال:

للأنبياء عصمة من حين أن بُعثوا ... ذا القول كان لأهل الحق مُشتهرا

وقيل عصمتهم من حين أن وُلِدوا ... وقيل: عند بلوغ، فادرِ ما اشتهرا

اهـ [illegible]

ومنهم من يقول أن هذا وقع منهم قبل أن يحكم عليهم بتحريم ذلك، فإذا كان الأمر كذلك فليس بمعصية[1]، وقد اختلفوا من متىٰ وقت عصمة الأنبياء فقال بعضهم من حين وُلِدوا وهم معصومون، لكن هذا القول ضعيف، ومنهم من يقول من حين بلوغهم، ومنهم من قال من حين بعثتهم وهو الأشهر[2].

---

(١) وهو ما نقل عن الحبيب عبدالله بن محسن العطاس رضي الله عنه.

(٢) (فائدة): لقد نظم بعضهم الخلاف في وقت عصمة الأنبياء فقال:

للأنبياءِ عصمةٌ مِنْ حينِ أن بُعِثُوا ذا القولُ كان لأهلِ الحقِّ مُشتهَرا

وقيل عصمتهم من حينِ أن وُلِدوا وقيل: عند بلوغٍ، فاقِ ما أشتُهِرا

اهـ (بهجة الطالبين)

ومعنى وجوب التبليغ على الرسل: أن يخبروا بجميع الأخبار التي أمرهم الله بتبليغها لأنهم لو كتموا شيئاً في ذلك لكانوا خائنين عاصين وقد تقدم كون ذلك مستحيلاً عليهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

قوله: (ومعنى وجوب التبليغ على الرسل[1] الخ).

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] والتبليغ هو أن يخبروا الناس بجميع الأخبار التي أمرهم الله بتبليغها ولا يكتموا منها شيئاً وحاشاهم أن يكتموا شيئاً منها لأنهم لو كتموا منها شيئاً لكانوا خائنين عاصين وهذا مستحيل في حقهم[2].

قالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها: لو كتم محمدٌ صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أُمِرَ بتبليغه لكتم هذه الآية: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ

---

(١) **(فائدة)**: بين الصدق والأمانة والتبليغ وأضدادها في حق الرسل عليهم السلام نسبةُ عمومٍ وخصوص من وجه نظمها بعضهم فقال:

واجتمع التبليغ والأمانة ... والصدق في التبديل عمداً كانَهْ
والصدقُ والتبليغ في التبديلِ ... سهواً فما إليه من سَبيلِ
أما أمانةٌ وتبليغٌ فما ... للكتم عمداً من سبيلٍ مَعْهُما
وانفرد التبليغُ بالكتمانِ ... سهواً فما لنفيهِ من ثاني
والصدقُ بالزَّيدِ إذا سَهوٌ يقعْ ... كذا الأمانةُ بفعلِ امتنعْ

اهـ (بهجة الطالبين)

(٢) قال في الصاوي على الجوهرة: والحاصل أن ما جاؤوا به أقسامٌ ثلاثة:

١- قسم أمروا بتبليغه فلم يكتموا منه حرفاً.

٢- قسم أمروا بكتمانه فلم يبلغوا منه حرفاً.

٣- قسم خيّروا بين كتمانه وتبليغه فبلغوا البعض وكتموا البعض. اهـ

عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾[١] [الأحزاب: ٣٧] وحاشاه من ذلك[٢].

(١) ومثل تلك الآية آيات سورة عبس فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكتمها مع ما فيها من المعاتبة (فتح العلام)

(٢) قال سيدي نفع الله به: الذي كان يخفيه -صلى الله عليه وسلم- إنما هو تزويجَ الله تعالى زينب له، فإن الله أخبره بذلك فصار يكتمه رأفةً بزيد وبضعفاء المسلمين خوف افتتانهم، بقولهم: إنه يتزوج حليلة ابنه، وليس المراد بما يخفيه من حبها خلافاً لمن زعم ذلك فإنه إساءة أدب لا تخفى.

معنى الفطانة في حق الرسل: أنه يجب أن يكون لديهم من الذكاء والانتباه والتعقل ما يستطيعون به إقامة الحجج وتبيين الحق للناس، ومجادلة الخصوم لأنهم لو كانوا بلداء أو كانوا ضعاف العقول لما قدروا على تأدية الرسالة تماماً قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

قوله: (معنى الفطانة في حق الرسل[1] الخ).

يجب أن يكون الرسل أذكياء نجباء كاملةً عقولهم حتى يستطيعوا أن يقيموا الحجج ويبينوا الحق للناس ومجادلة الخصوم كما ذكر الله في القرآن كمجادلة نبي الله نوح والأنبياء مع قومهم ولأنهم لو كانوا بلداء أو كانت عقولهم ضعيفة لما قدروا على تأدية الرسالة على أتم وجه كما قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

(١) الفطانة: هي ذكاوة العقل ومعرفة طرق الدعاوي الباطلة من الصحيحة اهـ (الصاوي على الجوهرة)

زاد في فتح العلام: بحيث تكون فيهم قوة على إلزام الخصوم وإفحامهم وإبطال دعاويهم الباطلة بالحجج الواضحة.

الصفات المستحيلة في حق الرسل عليهم السلام أربع وهي: أضداد الصفات الواجبة في حقهم وهي الكذب والخيانة والكتمان والبلادة كما تقدم.

والأدلة على أنها مستحيلة في حقهم تعرف من أدلة الصفات الواجبة في حقهم السابقة.

يجوز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وقوع الأعراض البشرية بهم التي لا تؤثر في علو مراتبهم ولا تنقص من قدرهم، وذلك كالمرض والغضب والجوع والعطش وما أشبه ذلك.

قوله: (الصفات المستحيلة في حق الرسل الخ).

تقدم معنا الصفات الواجبة في حق الرسل وأما المستحيلة فهي أضدادها وهي أربع صفات الكذب والخيانة والكتمان والبلادة وهذا ظاهر، فالكذب ضد الصدق، والخيانة ضد الأمانة، والكتمان ضد التبليغ، والبلادة ضد الفطانة.

قوله: (والأدلة على أنها مستحيلة الخ).

أي: أن الأدلة على الصفات المستحيلة تعرف من أدلة الصفات الواجبة فهي نفس الأدلة.

قوله: (يجوز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وقوع الأعراض الخ).

الجائز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام صفة واحدة فقط وهي جواز وقوع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية لأنهم بشر من بني آدم قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [فصلت: ٦] لكن بشر فضّله الله وشرفه الله وأيدهُ بالمعجزات وإلّا فهم لحم ودم من بني آدم ليسوا من الملائكة قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١١] أي خصهم الله تعالى بخصوصيات، فيجوز عليهم ما يجوز على البشر من الجوع

والعطش والمرض والحر والبرد وغير ذلك من الأعراض البشرية لأنهم بشر قال صاحب العقيدة:

وجـــائزٌ في حقهـــم مـــن عـــرَضِ   بغـــير نقـــصٍ كخفيـــف المـــرض

لكن قيّده بقوله: ((بغير نقص))، أما الأعراض التي قد تؤدي إلى نقص أو إلى منفر طبعاً فهذا لا يجوز في حقهم كالجنون والبرص والجذام والعمى فهذا لا يجوز.

وما قيل من أن نبي الله شعيباً كان أعمى.. فلم يصح لأنه لم يَعْمَ نبيٌّ قط وما قيل من أن نبي الله أيوب ابتلي ببلاءٍ كما ذكر بعض أصحاب التفسير مما هو منقول من الإسرائيليات أنه من شدة البلاء كان الدود يتناثر منه حتى نفر منه الناس ولم يبق إلا زوجته تخدمه.. فلا يجوز اعتماده لأن هذا من المنفر طبعاً وهو لا يجوز في حق الأنبياء.

وأما نبي الله يعقوب فليس بأعمى قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: ٩٦] وإنما بكثرة البكاء على يوسف وتواصل الدموع تغطَّت عيناه وليس ذلك بعمى ولهذا لما جاء البشير ارتد بصره وهكذا وأما الإغماء فيجوز في حقهم بخلاف الجنون فلا يجوز لأن الإغماء نوع من أنواع المرض وقد أغمي على النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر عمره[1].

قوله: (وذلك كالمرض والغضب والجوع الخ).

أي يجوز في حقهم المرض والغضب والجوع والعطش وغير ذلك من أعراض البشرية لكنهم لا يغضبون إلا لله وكان عليه الصلاة والسلام لا يغضب ولا ينتقم لنفسه ولكن إذا أُضِيعَ حق الله لم يقم أحدٌ لغضبه[2].

---

(١) ما تقدم في حق الرسل يأتي في الأنبياء أيضاً إلا التبليغ فإنه خاص بالرسل نعم يجب على النبي أن يبلغ أنه نبي ليحترم ويعظم. اهـ (فتح العلام)

(٢) قال الإمام عبدالرحمن الديبعي رضي الله عنه عند ذكر أخلاقه صلى الله عليه وسلم: ويعفو عن الذنب إذا كان في حقه وسببه * فإذا أُضِيعَ حقُّ اللهِ لم يقم أحدٌ لغضبه. اهـ (مولد الديبعي)

والدليل على ذلك: وقوع ما تقدم بهم بالفعل كما شاهده معاصروهم.

أما الذي ينقص من قدرهم ولا يليق بشرفهم أو ينفر الناس عنهم فهو مستحيل عليهم كالجذام والبرص والعمى والحرف الدنيئة والجنون ودناءة الآباء وسقوط الأمهات وغير ذلك.

قوله: (والدليل على ذلك: وقوع ما تقدم بهم بالفعل كما شاهده معاصروهم الخ).

الدليل على جواز ذلك في حقهم هو المشاهدة فإنهم كانوا يمرضون وكانوا يصابون في الحروب، والنبي صلى الله عليه وسلم كُسِرت رباعيته وشُجَّ وجهه الشريف حتى سال الدم من وجهه، ولما مرض دخل عليه ابن مسعود وعليه غطاء فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وجد أثر الحمى من فوق الغطاء وقال: يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً قال: «أجل أوعك كما يوعك رجلان منكم»[1] أما الذي يُنقص من قدرهم وكذلك الذي لا يليق بشرفهم أو ينفر الناس عنهم فهذا لا يجوز في حقهم لأنهم مبعوثون بالدعوة وهداية الناس فإذا أصيبوا بهذا فإن الناس سينفرون منهم، قالوا: حتى العالِم ينبغي أن يُحسِّن هيئته عندما يدعو إلى الله تعالى ولا يكون متلبساً بشيء مما ينفر الناس وتكون نيته صالحة بهذا، فيُحسِّن لباسه ويحسّن هيئته لأجل يجذب حضور الناس ولقبول كلامه ولا يتصف بشيء مما ينفر الناس حتى كان صلى الله عليه وسلم إذا جاءه بعض الوفود ينظر في الجُبّ في الماء ويسرِّح لحيته فقالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها: وأنت يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب من عبده إذا خرج لإخوانه أن يتزين لهم» وهكذا ينبغي للداعي إلى الله وللعالم لكن بنية صالحة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

قوله: (والحِرَف الدنيئة ودناءة الآباء الخ).

كذلك لا يجوز في حقهم الحرف الدنيئة نعم لهم حِرَف لكن ليست دنيئة فنبي الله آدم كان زرّاعاً ونبي الله نوح كان نجاراً ونبي الله إبراهيم كان بزازاً ونبي الله داود زرّاداً -أي حداداً- ونبي الله سليمان كان خوّاصاً فهذه ليست حرفاً دنيئة.

وقد يقول إنسان أنه ما من نبي إلا رعىٰ الغنم وأنه من الحرف الدنيئة فكيف ذلك؟ الجواب أنه من الحرف الدنيئة بالنسبة لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أما بالنسبة إليهم فالرعي ليس من الحرف الدنيئة لأجل يتدرجوا من سياسة الدواب إلى سياسة الناس، وليتعلموا الحِلم والصبر من رعاية الغنم فلا يكون في حقهم من الحرف الدنيئة وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ما من نبي إلا وقد رعىٰ الأغنام» قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا كنت أرعىٰ لأهل مكة بالقراريط»[1]

والجنون كذلك لا يجوز في حقهم وكذلك لا يجوز في حقهم دناءة الآباء فلا تبعث الأنبياء إلا من أنسب قومها فلا يكونوا من ذوي الأنساب الدنيئة وإنما من أشراف أقوامهم كما قال نبي الله لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] قيل هم عشيرته كي يحمونه وينصرونه، وورد عنه صلى الله عليه وسلم: «رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد وما بعث الله بعده نبيّاً إلا في ثروة من قومه»[2] ولا يجوز في حقهم سقوط الأمهات فهم منزهون عن هذا وقد قال عليه الصلاة والسلام: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الزكية إلى الأرحام الشريفة الطاهرة حتى أخرجني الله من بين أبوين وهما لم يلتقيا على سفاحٍ قط»[3].

---

(١) رواه البخاري وابن ماجة.

(٢) رواه الحاكم عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس.

الدرس العشرون

عود إلى المعجزات بشيء من التفصيل والقرآن الكريم

العناصر: أ- تعريف المعجزة. ب- حالة الجيل التي تقع فيه. ج- نماذج لها في أكابر الرسل. د- أعظم معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. هـ- وصول خبرها إلينا بالتواتر القطعي.

(أ-): المعجزة هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد نبي ورسول كدليل على دعواه النبوة أو الرسالة مع التحدي، فالمعجزة لا تكون خارقة للعقل فلا يأتي رسول معجزته الجمع بين ضدين مثلاً وضرب ٢x٢=١٠ مثلاً.

قوله: (المعجزة هي الأمر الخارق للعادة الخ).

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة، أي: خرقت العادة، وهذا شرط، وأن تظهر على يد نبي ورسول بعد النبوة شرط آخر، خرج بذلك إذا كان ظهورها على يد ولي فهذه كرامة، وتكون المعجزة كدليل على دعواه النبوة إذا قيل له ما الدليل على نبوتك وأن الله أرسلك؟ فالمعجزة دليل على دعواه النبوة والرسالة.

وتكون مع التحدي أي طلب المعارضة من المنكرين بحيث يتحداهم على الإتيان بمثلها قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] أما الولي فلا يَتَحدّى بالكرامة.

قوله: (فالمعجزة لا تكون خارقة للعقل الخ).

المعجزة لا تكون خارقة للعقل وإنما خارقة للعادة لأنه يستحيل الأمر الخارق للعقل فلا يأتي رسول معجزته الجمع بين الضدين كالجمع بين العدم والوجود وبين الحركة والسكون لأن الجمع بين الضدين مستحيل عقلاً فلا يكون بخلاف المستحيل عادةً فإنه ممكن، فمثلاً: اثنين ضرب اثنين يساوي أربعة، فلو قال عشرة فهو مستحيل

عقلاً وهذا مثال، ومثل كون الشي لا هو متحرك ولا هو ساكن، أو كون الجرم لا يأخذ فراغاً من الهواء فهذا أيضاً مستحيل عقلاً.

والخارق الذي يظهر على يد ولي هو كرامة أو على يد عاصٍ هو استدراج أو على يد مؤمن غير فاسق معونة أو على يد كافر هو سحر مع ملاحظة أن السحر خارق في ظاهره فقط ويدرك بالتعلم بخلاف غيره مما سبق.

قوله: (والخارق الذي يظهر على يد ولي هو كرامة الخ).

الأمر الخارق إذا ظهر على يد ولي لله تعالى فهو كرامة أكرمه الله تعالى بها فإن كان على يد عاصٍ فهو استدراج قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢][1].

وإن كان ظهورها على يد مؤمن عادي ليس بولي ولم يكن فاسقاً فهذا معونة، وإن كان على يد كافر.. فهو سحر قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وبعضهم لم يَعُدَّ ما يظهر على يد الساحر من خوارق العادات، لماذا؟ لأنه إنما يكون بتعاطى أسباب لها كما تقدم فهو ليس كالمعجزة والكرامة لأنهما شيء من الله.

والسحر خارق في ظاهره ويُدْرَكُ بالتعلم وتعاطي أسباب ومقدمات[2].

---

(١) هذا إن كان جاء موافقاً لما أراده وإلا فهو إهانة.

(٢) سئل سيدي نفع الله به: هل السحر حقيقة أم خيال؟ لقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾ [طه: ٦٦] فقال: اختلف هل هو حقيقة أم مجرد تخيل والصحيح عند الجمهور أن له حقيقة وليس مجرد تخيل فقط، لأن تأثيره واقع وحاصل كما في التفريق بين الزوجين ونحوه قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢] ولأنه يصيب الإنسان بالمرض وزوال عقله وغير ذلك وهذا يدل على أن له حقيقة ولو كان مجرد تخيل لما كان له تأثير وأما الآية المتقدمة فليست بدليل صريح على أنه مجرد تخيل. اهـ

(ب)، و(ج-): **يؤيد الله الرسل بمعجزات غريبة من نوع العمل أو الفن الذي ينبغ فيه أهل جيلهم ولكنه ليس مثله من حيث الإمكان عادة فأهل مصر لما نبغوا في السحر أيد الله سيدنا موسى بالعصا التي تلقف ما صنعوا ليعلموا أن السحر لا يصل إلى هذه الدرجة وإنما هذه معجزة من الله**

قوله: (يؤيد الله الرسل بمعجزات غريبة من نوع العمل أو الفن الخ).

هذا متعلق بما قبله يعني أن معجزات الأنبياء تختلف باختلاف الجيل الذي أرسل إليهم النبي فالله تعالى يؤيد رسله بمعجزات من نوع الفن الذي يَنْبُغُ فيه أهل ذلك الجيل فأهل مصر وهم الفراعنة في عهد نبي الله موسى لما نبغوا في السحر في ذلك الزمان أيد الله تعالى سيدنا موسى بالعصا التي تلقف ما صنعوا لأن سحرهم لا يصل إلى هذه الدرجة ولهذا خَرُّوا ساجدين لأنهم عرفوا أن السحر لا يصل إلى هذه المرتبة لما رأوا العصا انقلبت إلى ثعبان عظيم وصارت تلقف جميع ما معهم، لأنهم وإن بلغوا ما بلغوا في السحر لكنهم لا يبلغون بسحرهم ولا يصلون إلى هذه الدرجة فلهذا اعترفوا، وكان ذلك سبب إيمانهم، لأنهم علموا أن هذه معجزة، حتى لما توعّدهم فرعون لم يبالوا بوعيده قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٣ - ١٢٦] فدخل الإيمان في قلوبهم لما رأوا هذه المعجزة التي أيد الله تعالى بها نبيه موسى وأنها معجزة من الله قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٧ - ١١٨].

كما أن أهل زمن سيدنا عيسى لما نبغوا في الطب أيده الله بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلق الطير من الطين ليعلموا أن الطب مهما نبغوا فيه لا يصل إلى هذه الدرجة وإنما ذلك معجزة لسيدنا عيسى.

قوله: (كما أن أهل زمن سيدنا عيسى لما نبغوا في الطب الخ).

أما نبي الله عيسى فكان أهل زمانه يتفنَّنون في علم الطب ولذلك كانت معجزته مما يشبه فنهم، ولكن الطب وإن بلغ ما بلغ لا يصل إلى هذه المرتبة التي هي إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وخلق الطير من الطين قال تعالى حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

لكن هذا الطير يطير قليلاً ثم يسقط ويموت لأجل يحصل الفرق بين خلق المخلوق وخلق الخالق فلا يطير كالطيور.

والأكمه هو الذي خلق وهو أعمى أما إذا كان شخص عمي فإن الأطباء قد يقدرون على علاج عينه بخلاف من خلق هكذا.

(د-): لا شك أن أعظم معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الحكيم وقد كانت العرب إذا ذاك تتبارىٰ وتتفاخر في أسواقها ومواسمها وحفلاتها بالبلاغة واللسان فأيد الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالقرآن الذي لم يستطع العرب أن يجاروه ولا أن يأتوا حتى بسورة واحدة قصيرة من مثله ليعلموا أنها معجزة خارقة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فالقرآن معجزة من نواحٍ كثيرة:

منها بلاغة الأسلوب إلى درجة لا يستطيع أن يحاكيها البشر كقوله تعالىٰ: ﴿ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] فقد اجتمعت حكماء العرب وبلغاؤهم على أن يأتوا بحكمة في هذا الموضوع فاتفقوا على قولهم: (القتل أنفىٰ للقتل) فجاء القرآن بما أشرنا إليه مع البلاغة والاختصار والشمول فمسخ قولتهم ومثل هذا كثير.

قوله: (لا شك أن أعظم معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الحكيم الخ).

لم يذكر الحبيب بقية الأنبياء ولا شك أن أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم حيث كانت العرب في زمنه صلى الله عليه وسلم تتفاخر في أسواقها ومواسمها بالبلاغة والخطابة والفصاحة والشعر، يعني يتفنَّنون في هذا فأيد الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن الذي لم يستطع العرب أن يجاروه وتحداهم على أن يأتوا بسورة واحدة قصيرة من مثله.

أولاً تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن[1].

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله[2].

---

(١) قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

(٢) قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله[1].

وأقصر سورة في القرآن هي: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

وإنما تحداهم ليعلموا أنه معجزة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ليس معجزة واحدة بل وجوه إعجازه كثيرة تكلم عنها الإمام السيوطي في كتاب =الإتقان= وتكلم عنها غيره، وهنا ذكر الحبيب بعض وجوه إعجاز القرآن منها: بلاغة الأسلوب إلى درجة لا يستطيع أن يحاكيها البشر كقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] فإنها ثلاث كلمات إذا قرأنا ((في)) وإلا ((القصاص حياة)).

قوله: (فقد اجتمعت حكماء العرب ويلغاؤهم على أن يأتوا بحكمة في هذا الموضوع الخ).

=القتل أنفى للقتل= هذه ثلاث كلمات ومع ذلك لم يبلغوا في المعنى ما بلغه قوله تعالى: ((القصاص حياة))!! لأن لفظ ((القصاص)) يدخل فيه حتى الأعضاء والمعاني فهو أعمّ، أما.. القتل أنفى للقتل.. لا يدخل فيه إلا النفس فقط.

وأيضاً القتل قد يكون بحق وقد يكون بغير حق في قولهم القتل أنفى للقتل.

أما القصاص فلا يكون إلا بحق ويكون لولي المقتول وفيه أشياء أخرى.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

ومنها اشتماله على كثير من دقائق العلوم والفنون كقوله تعالى في الطب: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١] وكقوله في الهيئة والجغرافيا: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] وقوله في كروية الأرض: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ [الزمر: ٥] وكقوله في انقطاع الهواء إلى مسافة معلومة فوق الأرض: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله: (ومنها اشتماله على كثير من دقائق العلوم والفنون الخ).

كذلك يشمل القرآن كثيراً من دقائق العلوم والفنون كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولما سَأَل أحدُ علماء النصارى عالماً من المسلمين وقال له ربكم يقول في القرآن: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] فأين علم الطب؟ قال له: موجود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١] فهذه الآية جمعت الطب كله.كما قيل نظماً:

لقد جمعَ اللهُ في آيةٍ	من الذكر ما دونَهُ كُلّ طِبٌّ
فقال تعالى: ((كُلُوا واشرَبُوا	ولا تُسرفوا إنَّهُ لا يُحِبّ))

فقال له: فأين المراكب الجوية والبحرية وغيرها؟ قال: مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤٢] وقولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢].

قال له: فأين ذكر الأبازير والخضروات وغيرها فإن القرآن لم يذكرها؟ فقال له: مذكورة في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] فإنه يدخل فيه كل ذلك.

قوله: (وكقوله في الهيئة والجغرافيا الخ).

حتى علم الهيئة والجغرافيا أشار إليه في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] فهذا إشارة إلى علم الهيئة.

وكذلك في كروية الأرض كقوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ [الزمر: ٥] لأن الأرض كروية.

وكذلك في انقطاع الهواء أي الأكسجين كلما ارتفع الإنسان إلى مسافة معلومة فوق الأرض يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ومنها إخباره بكثير من الغيبيات كقوله قبل أن ينتصر الروم على الفريقين: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١ - ٣] وكقوله: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ومن المعلوم أن كل نبي أو رسول حين يظهر الله المعجزة على يده بين أبناء الجيل المرسل إليهم إنما يتحداهم بها ويجعلها دليلاً على صدق دعواه وتأييد الله له بها ولهذا قال العلماء: إنها بمثابة قوله تعالى: (صدق عبدي فيما يبلغه عنه).

قوله: (ومنها إخباره بكثير من الغيبيات كقوله قبل أن ينتصر الروم على الفريقين: الخ).

أما إخباره بالمغيَّبات.. فكثيرٌ ذكرها في القرآن كقوله تعالى قبل أن ينتصر الروم على الفرس: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ - ٤] لأن الفرس كانوا يغلبون الروم، فأشار في القرآن إلى أن الروم ستغلبهم بقوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ٣].

وقول الحبيب: =على الفريقين=.. غير ظاهر مراده، ولو قال على الفرس لكان أوضح لأنه لم يكن هناك فريق ثالث ولم يكن في ذلك الوقت دولتان عظيمتان إلا الفرس والروم وقوله تعالى: ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٤] البِضع: من ثلاثة إلى تسعة، والمشركون كانوا يحبون انتصار الفرس لموافقتهم لأنهم عبدَةُ نار وهم يعبدون الأصنام

أما المسلمون فكانوا يحبون انتصار الروم لأنهم أهل كتاب ولما انتصر المسلمون في بدر على الكفار في نفس الوقت انتصرت الروم على الفرس.

ولذلك عمل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع أحد المشركين وهو أُبي بن خلف مطارحة، وهذا لا يجوز لكنه قبل التحريم، وقالوا إذا لم تنتصر الروم على الفرس في مدة ثلاث سنين فعلى أبي بكر كذا، وإلا فعلى الآخر كذا كذا من الإبل، وهذا نوع من

القمار لكن قبل التحريم كما قلنا فأخبر سيدنا أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له: لماذا حدَّدت المدة بثلاث سنين؟ زدْ في المدة لأن البضع إلى تسعة، فزاد سيدنا أبو بكر وأظهر الله الروم على فارس[1] فأخذ سيدنا أبو بكر الصديق الرهان ولم يأكله وإنما تصدق به.

وكذلك من الإخبار بالمغيبات قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وهذه الآية نزلت قبل أن يدخل عليه الصلاة والسلام وأصحابه مكة ولما حصل الاتفاق بينه عليه الصلاة والسلام وبين قريش على أن يعود في هذا العام ويأتي في العام القابل لم يقم بعض الصحابة ليتحلل فقال لهم عليه الصلاة والسلام: لِمَ لَمْ تقوموا؟ فقالوا: أنت قد وعدتنا يا رسول الله أننا سندخل!!؟ فقال: «هل وعدتكم في هذا العام؟» قالوا: لا، فقال: «إن شاء الله تدخلونه فكان الأمر كذلك»[2].

---

(١) وحصل ذلك النصر عند عند رأس التسع من قمارهم الأول عند مرجعهم من الحديبية ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس وكان ذلك مما شد الله به الإسلام. اهـ (الخصائص الكبرى)

(٢) ورواية هذا الحديث بالمعنى.

(هـ -): إن المعجزات حين يوقعها الأنبياء والرسل إنما تقع في مشهد من الناس وبين خلق كثير ولهذا فهم ينقلونها إلى من لم يحضر وينتشر خبرها بسرعة ويبلغ الشاهد الغائب عنها فتصل إلى الأجيال المتأخرة عن طريق التواتر القطعي الذي لا يحتمل الشك في حدوثها.

قوله: (إن المعجزات حين يوقعها الأنبياء والرسل إنما تقع في مشهد من الناس الخ)

الكلام على كيفية وصول أخبار المعجزات إلينا وذلك بالتواتر القطعي عبر الأحاديث المتواترة لا بأحاديث الآحاد لأن الأحاديث المتواترة تفيد علم اليقين أي العلم القطعي بخلاف خبر الآحاد فإنما يفيد الظن ولا يفيد القطع.

وقال بعضهم أن أحاديث الآحاد التي في البخاري ومسلم تفيد القطع ولا يشترط في المتواتر أن يكون الراوي مسلماً بل يكفي ولو من كفار لكن بحيث يكون متواتراً يُفيد القطع بأن ينقله بالتواتر عددٌ تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ينقلونه عن مثلهم في كل طبقة، فلو نقص هذا العدد في طبقة.. لم يكن متواتراً إلا في آخر السند.

ويشترط أن يكون آخره مما يُرىٰ أو يُسمَع، أي: سمعتُ أو رأيتُ أما إذا لم يكن كذلك كمسألة اجتهادية.. لم يكن متواتراً.

ومما يساعد على وصول خبر المعجزة إلينا هو وقوعها في مشهد من الناس وبين خلق كثير كسؤال المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم عن علامة صدقه؟ فقال: «ماذا تريدون؟» قالوا: هذا القمر اجعله فلقتين فدعا ربه فانشق القمر فلقتين وهم يشاهدون ذلك فقال: «أشهدوا»، وهكذا بقية المعجزات إنما تكون في مشهد من الناس ولهذا فالذين حضروا المعجزات وشاهدوها ينقلونها إلى من لم يحضر وينتشر خبرها بسرعة ويبلغ الشاهد الغائب عنها فتصل عن طريق التواتر القطعي الذي لا يحتمل الشك في حدوثها.

ومعجزات الأنبياء تنقسم إلى قسمين: قسم منقطع ومنقضي ولم يشاهده إلا أهل زمانهم كحنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فهذه كلها قد انقضت.

وقسم باقٍ ومستمر يشاهَد قرناً بعد قرن وهذا معجزة القرآن فقط.

خذ مثلاً: القرآن الكريم وصل إلينا كما هو وكما أنزل، طبقة بعد طبقة حتى الآن فقد تلقاه عشرات الألوف من الصحابة عن النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتلقاه أضعاف هذا العدد من التابعين عنهم وتلقاه تابعو التابعين عن التابعين وهكذا كل جيل لاحق عن الجيل السابق حتى جيلنا هذا ومن هنا حكم العلماء بكفر من أنكر ولو حرفاً واحداً من القرآن العظيم.

قوله: (خذ مثلاً: القرآن الكريم وصل إلينا كما هو الخ).

مثَّل الحبيب لهذا التواتر بالقرآن الكريم فإنه وصل إلينا كما أُنْزِلَ بالتواتر كل طبقة تلقَّتْهُ عمن قبلها حتى وصل إلينا الآن وأول من تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة وتلقاه عنهم أضعاف عددهم من التابعين وتلقاه بعد ذلك تابعوا التابعين وهكذا طبقة بعد طبقة حتى جيلنا هذا.

قوله: (ومن هنا حكم العلماء بكفر من أنكر ولو حرفاً الخ).

أي بما أن القرآن الكريم وصل إلينا بالتواتر القطعي الذي لا شك فيه.. فمن أنكر بعد ذلك ولو حرفاً مجمعاً على حرفيّته منه فقد كفر، وكذلك إذا زاد حرفاً فيه فإنه يكفر وكثير من الشيعة يقولون: إن هذا القرآن ناقص وإن الصحابة حذفوا ما فيه من ذكرٍ لفضائل أهل البيت وما نُصَّ فيه على خلافة علي بن أبي طالب، وقالوا إن معهم قرآناً آخر يسمونه قرآن فاطمة الزهراء وإنه خاص كتبه سيدنا علي بن أبي طالب وإنه في آخر الزمان سيظهره الإمام المنتظر ويحكم به وهو ثلاثة أضعاف هذا القرآن وإن هذا القرآن الموجود سيرتفع وهذا كله خرافات.

الدرس الحادي والعشرون

انشقاق القمر كمعجزة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

انشقاق القمر كمعجزة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

العناصر:

١- ثبوت ذلك بالقرآن قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢]. **٢- مشاهدة سكان الأماكن الموافقة في الدرجة لأفق مكة ومنهم بعض فرق الصين الذين لا يزالون يؤرخون بذلك الانشقاق، ومن المعلوم أنه غير مرئي لجميع سكان الكرة الأرضية.**

قوله: (انشقاق القمر كمعجزة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

العناصر:

١- ثبوت ذلك بالقرآن الخ)

سيذكر الحبيب هنا واحدة من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي انشقاق القمر بل هي من أعظم معجزاته عليه الصلاة والسلام وهي أعظم من معجزة سيدنا موسى حين انفلق له البحر لأن معجزة سيدنا موسى عليه السلام في العالم السفلي ومعجزة انشقاق القمر في العالم العلوي.

وهذه المعجزة ثابتة بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] والصحيح أن ذلك قد حصل في الدنيا خلافاً لما قاله بعضهم أنه سيكون يوم القيامة بدليل ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ [القمر: ٢] أي الكفار ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، حيث قالوا: إن محمداً سحر أهل الدنيا ولما قالوا إنه

سحر قال بعضهم إذا كان محمد سحرنا فإنه لا يقدر على أن يسحر أهل الدنيا وكلما جاءت قافلة سألوهم عن ذلك فقالوا: نعم رأيناه، فقالوا: «هذا سحرٌ مستمر».

قوله: (٢- مشاهدة سكان الأماكن الموافقة في الدرجة لأفق مكة الخ).

أي: شاهد هذه المعجزة سكان الأماكن الموافقة لأهل مكة في المطلع لا كل أهل العالم، لأن القمر يظهر في بعض الأماكن كما هو معلوم ويغيب في أخرى فلم يشاهِد انشقاق القمر كلُّ أهل الدنيا لأنهم قالوا لو كان صحيحاً لشاهده أهل العالم كلهم، وهذا ليس بشرطٍ وإنما في الجهة الموافقة لأفق مكة في الدرجة، وأيضاً الانشقاق حصل بالليل وهو وقت نوم الناس ولم يكونوا متعرضين له حتى يشاهده جميع الناس، حتى الكسوف لا يراه كل الناس وإنما بعضهم وبعد أن ينادى بذلك، وممن شاهد ذلك كما قال الحبيب بعض فرق الصين والذين لا يزالون يؤرخون ذلك الانشقاق.

٣-عدم ملازمته امتناعه هيئة لامتناعه عقلاً لأن المعجزة لا تكون معجزة إلا إذا كانت خارقة كهذه وإلا فليست معجزة.

٤- عدم الالتفات إلى الرواية الضعيفة التي تذكر أن القمر دخل من كمه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وخرج من الكم الآخر لتناهيها في الضعف.

قوله: (٣- عدم ملازمته امتناعه هيئة لامتناعه عقلاً الخ).

يعني ليس ذلك بمستحيل عقلاً حتى يمتنع ويجوز عادة لأن المعجزة لا تكون معجزة إلا إذا خرقت العادة وإلا فليست بمعجزة.

قوله: (٤- عدم الالتفات إلى الرواية الضعيفة التي تذكر أن القمر دخل من كمه الخ).

بعضهم أورد في انشقاق القمر روايات ضعيفة وبعضها قالوا أنها موضوعة كالتي تذكر أن القمر دخل من كمه صلى الله عليه وسلم وخرج من الآخر والصحيح إنما هو انشقاق القمر نصفين فِلْقَةٌ فوق الجبل وفِلْقَةٌ دونه حتى قال عليه الصلاة والسلام: «اللّهم اشهد» وقال لهم: «اشهدوا».

وأما مدة الانشقاق فلم يذكروها لكنه عاد كما كان في نفس الليلة.

الدرس الثاني والعشرون

العناصر:

أ- حكمة قتل القاتل.

ب-حكم مرتكب الكبيرة.

ج- تأثير المؤثرات الذي تحتوي عليه العناصر.

(أ-): يقول أهل السنة في قتل القاتل، أنه انقضى أجله وإن لم يقتل، ودليلهم قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] **وقوله تعالى:** ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

قوله: (يقول أهل السنة في قتل القاتل الخ).

هذا مذكور في الزبد بقوله:

ولم يمت قبل انقضا العمر أحدْ

فإذا شخص قتل آخر فهل يكون قد قطع أجله أو أنه إذا لم يقتله كان سيعيش؟.

فالمعتزلة يقولون أنه قطع أجله وأنه لو لم يقتله لعاش ولهذا يقتص منه ويعاقب لهذه العلة.

وأما أهل السنة فيقولون أن هذا أجله وإنما هذا سبب فالقتل سبب لأن موته قد يكون سببه قتل أو سببه مرض أو بسبب أنه لدغته حية أو أكله سبُع أو غير ذلك فهذه كلها أسباب وأما الأجل فقد انقضىٰ لقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] فلو لم يقتل فإنه سيموت بأي شيء آخر غير القتل.

فإذا قيل إذا كان هذا أجله فلماذا يعاقب القاتل إذاً؟

الجواب يعاقب لمخالفته وعصيانه لأن الله تعالى نهىٰ عن القتل وهذا قتله وخالف أمر الله وارتكب هذه المعصية.

والقاتل يُقتل لأن القاتل آثر نفسه بالحياة.

أما المعتزلة فيحكمون بأنه حرم أجله أي أنه لو لم يقتل لعاش ويفرقون بين الموت بالقتل وغيره.

قوله: (والقاتل يُقتل لأن القاتل آثر نفسه بالحياة الخ).

أي لما أن القاتل قتل غيره وآثر نفسه بالحياة فإنه يقتل لكن الصحيح في تعليل ذلك إنما يقتل لأنه ارتكب هذه المعصية وخالف ما نهى الله عنه لأن الله تعالى نهى عن القتل وهنا يقول: لأنه آثر نفسه بالحياة، وإنما يكون مؤثِراً نفسه بالحياة إذا كانت بحيث لو لم يقتله فسوف يُقتل أي: إذا أُكره على قتل غيره بأن قال له شخص: اقتله وإلا قتلتك فهذا يكون مؤثِراً نفسه بالحياة وما هنا ليس بتعليل للعقاب.

قوله: (أما المعتزلة فيحكمون بأنه حرم أجله الخ).

كما ذكرنا أن المعتزلة يقولون بأنه حرم أجله ولو قال أن القاتل قطع أجله لكان أوضح، وأنه لو لم يُقتل لعاش ويفرقون بين الموت بالقتل وغيره كالموت على الفراش.. بأن الذي يموت مثلاً على الفراش عندهم هذا انتهى أجله أما الذي مات مقتولاً فإن القاتل قطع أجله.

(ب-): وأهل السنة يقولون في مرتكب الكبيرة: أنه مسلم عاص،

والخوارج يحكمون بأنه كافر ومن الأدلة التي استدلوا بها قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

قوله: (وأهل السنة يقولون في مرتكب الكبيرة الخ).

هذا إذا ارتكب شخص كبيرة من كبائر الذنوب غير الشرك، والكبائر لها كتاب للمنذري ألفه في تعدادها لكن لم يَذْكُرْ فيه إلا نحو سبعين كبيرة، وابن حجر في كتابه الزواجر ذكر ما يقارب خمسمائة لكن بعضها فيه تقييد ليست على إطلاقها أي تكون كبيرة بقيد.

أما ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل عن الكبائر أهي سبعون؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب، وذكروا ضابطها، فالإمام الرافعي يقول: هي كل معصية فيها حد لكن هذا تعريف ناقصٌ لأن كثيراً من الكبائر ليس فيها حد كعقوق الوالدين وقطيعة الرحم وغيرها.

والإمام النووي تعريفه أجمع وهو: كل معصية ورد فيها وعيد شديد بنص الكتاب أو السنة أي بأن تُوُعِّد فاعلُها بالنار أو بالغضب أو باللعن فهذا وعيد شديد، وإمام الحرمين يقول: هي كل معصية تؤذن بقلة احتفال مرتكبها بالدين، وتقدير هذا صعب.

والآن سيتكلم على حكم مرتكب الكبيرة إذا مات وهو مصر عليها ولم يتب منها هل ذلك يُخرجه من الإسلام أم لا؟.

فأهل السنة يقولون: إنه مسلم عاصٍ فإذا مات ولم يتب منها فهو تحت مشيئة الله فلا نقطع له بدخول النار فضلاً عن الخلود فيها كما قال صاحب الزبد:

يَغْفِرُ ما يشاءُ غيرَ الشِّرْكِ ... بـه خُلُودُ النـارِ دونَ شَكِّ

فهو مسلم عاص أو مؤمن ناقص الإيمان فلا نخرجه بذلك عن دائرة الإسلام.

قوله: (والخوارج يحكمون بأنه كافر الخ).

كما قلنا: أهل السنة عندهم لا يكون مرتكب الكبيرة خارجاً عن الإسلام أو مرتداً أو مخلداً في النار وإنما هو مسلم عاص وهذا خلافاً للخوارج فإنهم يكفّرون مرتكب الكبيرة وإذا مات ولم يتب منها فهو مخلد في النار واستدلوا بظواهر الأحاديث كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» وكقوله عليه الصلاة والسلام: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» وغير ذلك كثير، وهذا أوَّله الجمهور على المستحل لذلك جمعاً بين الأدلة ولأن حديث أبي ذر يرُدّ ذلك: «وإن زنى وإن سرق»[1] وكررها ثلاث مرات.

ولو لم يكن في الرد على ذلك إلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] فهذه الآية كافية وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقيل معنى: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» أي مؤمن بأن الله تعالى يراه، أي غافل عن اعتقاد أن الله تعالى يراه لأنه لو كان مؤمناً بأن الله تعالى يراه.. لم يرتكب تلك المعصية وإن اعتقد أنه تعالى لا يراه فهو كافر، كما قال بعض العارفين بالله: إذا عصيت الله تعالى وأنت تعتقد أنه يراك فأنت مستهزئ، وإن اعتقدت أنه لا يراك فأنت كافر.

وبعضهم يقول أن الإيمان وقت المعصية يفارقه ويرتفع فإذا نزع رُدَّ إليه فإن مات وهو في تلك الحالة والعياذ بالله.. مات على سوء الخاتمة.

---

(١) ونص الحديث كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي ذر رضي الله قال قال رسول صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» ثلاثا، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر».

وقول المعتزلة: إنه بين الكفر والإسلام.

وليس فيما قاله الأخيران دليل يلتفت إليه بينها تجد كثيراً من الآيات والأحاديث تؤيد أهل السنة ولو قلنا بقول الخوارج والمعتزلة لم نجد مسلماً على وجه الأرض إلا ما ندر.

قوله: (وقول المعتزلة: إنه بين الكفر والإسلام الخ).

أما المعتزلة فيقولون: إنه فاسق ليس بمؤمن ولا كافر أي جعلوا واسطة بين الكفر والإسلام فهي مرتبة بين هذا وهذا، ولكن إذا مات ولم يتب.. يُخلَّد في النار مثل ما يقول الخوارج، فاختلافهم في التسمية فقط.

وعندنا أن الفاسق مسلم عاصٍ فلا نخرجه عن دائرة الإسلام.

قوله: (وليس فيما قاله الأخيران دليل الخ).

أي ليس لدى الخوارج والمعتزلة فيما قالوه دليل معتبر، وإنما ظواهر الأحاديث بخلاف أهل السنة فأدلتهم كثيرة وقوية، ولأنه لو قلنا بقول الخوارج والمعتزلة: لم نجد على وجه الأرض مسلم ولا سيما في زماننا هذا بل كان الخوارج يكفرون سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب رضاه بتحكيم الحكمين وقالوا: لا حكم إلا لله.

-اللّهم اعصمنا من الشرك واغفر لنا ما دون ذلك-

وأما الصغائر فهي أكثر وأكثر لكن قالوا: إن الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة ولهذا يقال: لا صغيرة مع إصرارٌ ولا كبيرة مع استغفارٌ.

والمراد بالاستغفار يعني التوبة، لكن لا ينبغي إطلاق هذا عند العامة بأن الإنسان لو زنى أو شرب الخمر أو غير ذلك أنه يدخل الجنة فلا نقول أنه كافر لكن نقول أنه يخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة إذا كان يرتكب الكبائر من غير مبالاة ولأن الله تعالى يقول: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ [الروم: ١٠].

لأن المعاصي بريد الكفر، فلا نطلق ما ورد إطلاقاً هكذا عندما يتكلم الإنسان مع العوام ونحوهم! لأن ذلك قد يُجَرِّؤهم على ارتكاب المعاصي.

(ج-): في مذهب أهل السنة أن المؤثر لا يستطيع أن يؤثر إلا بقدرة سبحانه فيخلق التأثير عند المباشرة.

وفي مذهب المعتزلة تؤثر القوة التي أودعها الله فيها حين التأثير، فيودع القطع في السكين والإحراق في النار وغيرهما.

ويقول الطبيعيون: إن المؤثرات تؤثر بطبيعتها أي من حين خلقها الله وهي تؤثر في العادة.

قوله: (في مذهب أهل السنة أن المؤثر لا يستطيع أن يؤثر إلا بقدرة الله سبحانه الخ)

الكلام على تأثير المؤثرات قد تقدم معنا[1] فالمؤثر لا يستطيع أن يؤثر إلا بقدرة الله لأن التأثير الحقيقي إنما هو لله تعالى وإنما يكون ذلك المؤثر سبباً من الأسباب فقط فالسكين والطعام والنار والماء وغيرها ليس له تأثير إلا بقدرة الله تعالى إذا صحبته، وأما إذا لم تصحبه قدرة الله تعالى بقي من غير تأثير.

والله تعالى يخلق ذلك التأثير عند المباشرة فالإحراق يخلقه الله تعالى عند مباشرة المحروق، والسكين... يخلق الله القطع فيه عند مباشرة المقطوع وهكذا، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

قوله: (وفي مذهب المعتزلة تؤثر القوة التي أودعها الله فيها حين التأثير الخ).

أما مذهب المعتزلة فالتأثير يحصل بالقدرة التي أودعها الله تعالى في المؤثرات عند خلقها ولهذا لا يكفرون، فعندهم السكين يقطع بذاته والنار تحرق بذاتها لكن بقوة أودعها الله تعالى فيها عندما خلق السكين أودع فيها قوة القطع وعندما خلق النار أودع فيها قوة الإحراق وعندما خلق الدواء أودع فيه قوة الشفاء فالقوة مودوعة منذ خلقها فلو لم يقولوا بأن الله أودع القوة فيها لكانوا كالطبيعيين.

وعند أهل السنة أنه لم يكن فيها تأثير سابق أبداً وإنما يخلقه الله تعالى عند المباشرة.

---

(١) في الدرس الحادي عشر.

قوله: (ويقول الطبيعيون: أن المؤثرات تؤثر بطبيعتها الخ).

الطبيعيون كفار لأنهم يعتقدون أن المؤثرات تؤثر بنفسها وبطبيعتها في الأشياء قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ولم يذكر الحبيب مذهب العقليين وهو أن بين السَّبَب والمُسَبَّب ملازمة عقلية لا يجوز أن تتخلف فالنار عندهم تحرق مثلاً ولا يجوز أن تتخلف، والسكين يقطع ولا يجوز أن يتخلف وأما أهل السنة فيجوز عندهم أن تتخلف هذه الأشياء لأن بين السَبَّب والمُسَبَّب ملازمة عادية لا عقلية فيجوز أن تتخلف إما معجزة لنبي أو كرامة لولي أو معونة لمسلم بدليل نبي الله إبراهيم لم تحرقه النار والسكين لم يقطع لما أراد ذبح إسماعيل لأن الملازمة هنا عادية يجوز تخلفها ولا يكفرون بذلك، أي: العقليون ولكن يخشى عليهم أن يكفروا لأن هذا المذهب يؤدي إلى إنكار معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بخلاف الطبيعيين فيكفروا لأنهم يعتقدون أن المؤثرات تؤثر بطبعها وبذاتها.

الدرس الثالث والعشرون

كلمة عامة حول معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

للعلماء المحققين تآليف في معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتعدادها: فمنها: نبع الماء من بين أصابعه، ومنها حنين الجذع، ومنها إحياء الموتى، ومنها استماع الجن إليه ومخاطبته لهم، ومنها تكثير الطعام القليل وغير ذلك مما لا نطيل بذكره.

قوله: (للعلماء المحققين تآليف في معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الخ).

هناك تآليف كثيرة في معجزاته صلى الله عليه وسلم وتعدادها فمنها نبع الماء من بين أصابعه وقد وقعت في عدة مرات في روايات كثيرة في مواطن كثيرة فليست مرة واحدة فقط وإنما اختلفوا هل الماء يخرج من بين اللحم والدم من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم؟، أو أنه وضع يده الشريفة في الماء فجعل الله البركة في ذلك الماء فتكاثر؟ والمعتمد الأول وهو أبلغ في المعجزة وأعظم من معجزة نبي الله موسى عليه السلام لأن خروج الماء من الحجر معهود قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [البقرة: ٧٤] أما من بين اللحم والدم فهو غير معهود، ولهذا قالوا فرأينا الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم كأمثال العيون.

قوله: (ومنها حنين الجذع الخ).

يعني: الجذع الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب إليه، فلما اتخذ منبراً من خشب جعل يئن ويحن حتى سمعه أهل المسجد فنزل عليه الصلاة والسلام ووضع يده عليه حتى سكت كما تُسكِّت الأم ولدها عندما يبكي.

قوله: (ومنها إحياء الموتى).

المشهور أن الذي يحيي الموتى من الأنبياء هو نبي الله عيسى لكن النبي صلى الله عليه وسلم أحيا الموتى مرة أو مرتين كإحياء ابن العجوز العمياء المهاجرة[1] وهذا مذكور في معجزاته صلى الله عليه وسلم، وقد حصل حتى لبعض أمته صلى الله عليه وسلم كسيدي عبدالقادر الجيلاني لما تناظر مع أحد النصارىٰ وقال له النصراني: إن نبي الله عيسىٰ يحيي الموتىٰ ونبيكم لم يحيي الموتى فنبينا أفضل، فقال: أنا لست بنبي ولكني من ذريته صلى الله عليه وسلم، وهذا صاحب القبر الذي أمامك مغنٍّ وسأدعو الله أن يُحَيِيَهُ فدعا فأحياه الله فقام من قبره يغني.

لأن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي.

قوله: (ومنها استماع الجن إليه ومخاطبته لهم).

هذا مذكور في القرآن وجعله الحبيب من المعجزات لأنه ليس من جريان العادة بل خرق للعادة لكن ليس خاصاً بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بل لغيره أيضاً كنبي الله سليمان عليه السلام، حتى بعض الناس يسمعهم.

قوله: (ومنها تكثير الطعام القليل).

هذا وقع منه عليه الصلاة والسلام مرات متعددة وغيره من المعجزات كانشقاق القمر وهي أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم بعد القرآن وقد تقدم ذكرها.

---

(١) رواه البيهقي، وكذا إحياؤه الشاة لجابر بعد جمع عظامها كما رواه أبو نعيم فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: «كلوا ولا تكسروا عظماً» ثم جمع العظام في وسط الجفنة فوضع يده عليها ثم تكلم بكلام لم أسمعه فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال صلى الله عليه وسلم: «خذ شاتك يا جابر بارك الله لك» قال جابر: فأخذتها فمضيت حتى أتيت المنزل فسألتني امرأتي فقلت لها: هذه والله شاتنا التي ذبحناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله تعالى فأحياها فقالت: أشهد أنه رسول الله. ورواه الإمام الحافظ أبو عبدالرحمن بن المنذر في كتاب العجائب والغرائب. اهـ

وفي السيرة الحلبية أنه عليه الصلاة والسلام دعا رجلاً للإسلام فقال: لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم: «أرني قبرها» ، فأراه قبرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا فلانة» فقالت لبيك وسعديك فقال: «أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا»؟ فقالت: لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيراً لي من أبوَيّ ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا.

وطبعاً أنه لا يستغرب ولا يستنكر أي خارق للعادة على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بل ولا أي نبي آخر ما دام ذلك في حدود المعجزات ويلزمنا الإيمان بذلك إذا ثبت بالأسانيد الصحيحة.

قوله: (وطبعاً أنه لا يستغرب ولا يستنكر أي خارق للعادة على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الخ).

لا تُسْتَنْكَر هذه المعجزات التي ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام وعلى يد غيره من الأنبياء لأن مرجعها إلى قدرة الله تعالى وهذه كلها ثبتت بالأحاديث الصحيحة المتواترة فيلزمنا الإيمان بها وإذا الإنسان لم يتقبل عقله بعض هذه المعجزات أو بعض كرامات الأولياء.. كشرب بعض الأولياء لماء النهر وقطعهم المسافات بخطوة واحدة.. لأن هذا قد لا يسلم له عقل! لكن نقول له: اعرض ذلك على قدرة الله تعالى، هل قدرة الله صالحة لذلك؟ فإذا أنكر هذا فكأنه أنكر قدرة الله تعالى.

وأما الإطلاع على تاريخ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من حين نشأته وعلى امتيازاته وأخلاقه العالية وتواضعه وتضحيته في خدمة الإنسانية وإنقاذ العالم وما امتاز به الدين الإسلامي من تحكيم العقل وتمجيد العلم وفرض النظام ووجوب المساواة في حين أن الوسط الذي نشأ فيه وسط منحط جاهل والبيئة التي وجد فيها بيئة بدوية ساذجة.

ومن اطلع على ما ذكرنا عرف أن هذا كله من عند الله لا يستطيع أن يأتي به بشر وبوحي من الله لا بمجرد تفكير ومجهود مبذولة من سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بل لو اجتمع المتخرجون من أكبر كليات العالم المتمدن لما استطاعوا أن يبتدعوا ديناً كالإسلام ولا كتاباً كالقرآن ولا تعاليم كتعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فكيف به وهو في ذلك العصر المشار إليه.

قوله: (وأما الإطلاع على تاريخ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الخ).

أي أما الاطلاع على سيرته صلى الله عليه وسلم فهذا يتحصل عليه الإنسان من كتب السير التي ألفها العلماء من حين نشأته صلى الله عليه وسلم ورضاعته وأخلاقه وغزواته، وقد كان السلف الصالح يعلمون أولادهم السيرة النبوية كما يعلمونهم السورة من القرآن، والموالد أيضاً تشتمل على كل هذا وسيجد المطلع كيف أنقذ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الدينِ البشريّةَ مع أنه جاء في زمن الجاهلية وفي بيئة بدوية، فمن اطلع على ذلك عرف أن هذا كله من عند الله لم يختلقْهُ صلى الله عليه وسلم من عند نفسه ومع هذا كله فهو عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب إلى آخر ما قال الحبيب.

الدرس الرابع والعشرون

حاجة البشر إلى الدين

حاجة البشر إلى الدين: الإنسان اجتماعي بطبيعته ولا بد للبشر من الاختلاط والتعاون والاشتراك في نواحيهم الاجتماعية، وكما أنه ميال بطبيعته إلى الأنانية وحب النفس وإشباع غرائزه بمشتهياته، وبما أنه كذلك فلا بد له ولحفظ حقوقه المعنوية والمادية من قانون سماوي يخضع له ويسير في منهج حياته الفردية والاجتماعية والوطنية طبقاً له وذلك القانون السماوي هو الدين.

قوله: (الإنسان اجتماعي بطبيعته ولا بد للبشر من الاختلاط والتعاون الخ).

الناس بحاجة إلى الدين لأجل يتقيدون به وإلا صار الناس كالبهائم والحيوانات يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم بعضاً فهذا الدين يقيدهم فيراقبون الله تعالى من خلاله.

والإنسان بطبيعته اجتماعي لأنه إنما سمي الإنسان إنساناً كما قيل إلا لأُنسه لأنه يأنس بجنسه[1] فلا بد للبشر من الاختلاط والاشتراك في النواحي الاجتماعية.

وبما أن الإنسان ميّال بطبيعته إلى الأنانية وحب النفس وإشباع غريزته فلا بد له من قانون سماوي يحفظ حقوقه المعنوية والمادية وذلك القانون السماوي هو الدين، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ

---

(١) وقد قيل:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ... ولا القلب إلا أنه يتقلبُ

وقيل:

وما سمي الإنسان إلا لِنَسْيِهِ ... ولا القلب إلا أنه يتقلبُ

وقيل:

وما سمي الإنسان إلا لِنَوْسِهِ ... ولا القلب إلا أنه يتقلبُ

مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

لأن الناس كانوا قبل بعثة رسول صلى الله عليه وسلم في فوضى يأكلون الحرام ويقطعون الأرحام ويعبدون الأصنام فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين فقادوا البشرية وأخرجوهم من الظلمات الجهل إلى نور العلم.

والإنسان بفطرته يدرك بأن هناك خالقاً له ولهذا الكون، لم يخلقه عبثاً وإنه كما أوجده في هذا العالم الدنيوي قادر على أن يعيده مرة أخرى إلى العالم الأخروي فيلقى جزاءه بالنسبة لتطبيق ذلك الدين الذي وضعه بواسطة رسله عليه الصلاة والسلام وعلى آلهم.

وبما أن البشر أيضاً مختلفون في أغراضهم وأذواقهم وميولهم وآرائهم وفيما يستقبحون ويستحسنون ويجزون ويمنعون فإن الدين هو الحد الفاصل بينهم عند وقوع شيء من ذلك الاختلاف والحكم العدل إذا تنازع البشر فيما بينهم.

قوله: (والإنسان بفطرته يدرك بأن هناك خالقاً له ولهذا الكون الخ).

أي أن هذا الشيء يدركه الإنسان بفطرته وهو أن هناك خالقاً له فلو لم يكن هناك من يرشده وترك على ما هو عليه لاهتدى إلى الخالق والصانع كما في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»، والفطرة هي التوحيد والدين، لكنَّ أبويه يغيِّرانه ومثلهما معلمه وأستاذه فهذا معنى أن الإنسان بفطرته يدرك أن هناك خالقاً له ولهذا الكون قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٣٨] ولأنه سبحانه كما أوجد الإنسان في هذا العالم الدنيوي قادر على أن يعيده مرة أخرى إلى العالم الأخروي وهي النشأة الآخرة، وكان سيدنا علي زين العابدين يقول: عجبت لمن يرى النشأة الأولى.. كيف لا يؤمن بالنشأة الآخرة قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

قوله: (وبما أن البشر أيضاً مختلفون في أغراضهم الخ).

بما أن البشر لهم اختلاف في آرائهم وميولاتهم فالدين هو الحَكَمُ بينهم في ذلك الاختلاف قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢] ولما نزلت هذه الآية سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى هذا الشرح؟ فقال: «إن النور إذا دخل قلب الإنسان انفسح له صدره وأنشرح» فقيل له هل لذلك من علامة؟ قال: «نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله»[1].

---

(١) رواه الحاكم.

إن القوانين التي تضعها السلطات البشرية بدون أن تراعي فيها جانب الدين مهما بلغت من الصرامة فإنها لا تؤدي الغرض الاجتماعي والفردي من الدين إذ من شأنها أن لا تطبق إلا بدافع المراقبة والحراسة والضغط الخارجي ذلك كله لعدم الوازع الديني وهي دواماً معرضة للاختراق فإذا غفلت تلك الرقابة أو انعدمت فإن الإنسان الذي لا يردعه ضميره المتدين وشعوره بقوة ربه وخوفه من الله واعتقاده بالثواب والعقاب سينتهز كل فرصة لقضاء أغراضه المادية والتضحية بحقوق وحرمات غيره ويغلب جانب الإباحية كما هو مشاهد في الأفراد والأمم الملحدة، فلا بد إذاً من الدين ومن غرس الروح الدينية وتربية الوازع الديني في البشر.

قوله: (إن القوانين التي تضعها السلطات البشرية بدون أن تراعي فيها جانب الدين الخ).

أي الأنظمة الوضعية التي وضعها المخلوقون لا تغني عن القانون السماوي الذي هو الدين لأن هذا فعل البشر وذلك فعل الخالق سبحانه وتعالى.

وهذه القوانين مهما بلغت من الصرامة لا تؤدي الغرض الاجتماعي من الدين لأنها لا تطبَّق إلا بدافع المراقبة فهي معرضة على الدوام للاختراق والتغيير لأنهم في كل فترة يغيرون ويبدلون فيها، فإذا غفلَتْ تلك الرقابة التي جعلوها من جنود وعسكر وغير ذلك.. انعدمت، لأنه إذا غفلت تلك الرقابة سينتهزها كل من ليس لديه وازع ديني لقضاء أغراضه المادية من القتل والفواحش وغير ذلك من التضحية بحقوق وحرمات غيره ويغلّب جانب الإباحية وغير ذلك كما هو الحال في الأمم الملحدة لأنه ليس عندهم دين ولا خوف من الله تعالى ولا مراقبة له.

وعليه فلا بد من الدين وغرس الروح الدينية وترسيخ الوازع الديني في البشر.

الدرس الخامس والعشرون

الدين الإسلامي

هو الدين الإسلامي الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وتضمنه الكتاب العزيز والسنة الغراء وعَقِلَه أصحابه وتابعوهم والأئمة المهتدون، جاء هذا الدين لتوحيد الله وتنزيهه وإبطال ألوهية أي معبود سواه والخلق كلهم عبيده لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

وبذلك ترقت العقول عن أن تتقيد بأوهام الوثنية وتحررت الأفكار من الخضوع للمعتقدات الباطلة وجاء أهله بعبادات (كالصلاة والصوم والحج) كلها خضوع ودعاء وشعور بسلطان الألوهية ومن يذكرهم برفع الامتيازات بين رفيعهم ووضيعهم، وأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي الحج نواحٍ اجتماعية هامة أيضاً وفي الصوم فوائد صحية واستشعار بنعم الله، أو بتعلم العلوم أو بالتخلق بالأخلاق السامية ونشر الحضارة والمدنية والمساواة والوحدة العالمية واحترام الإنسان والتسامح.

قوله: (هو الدين الإسلامي الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الخ).

الدين الإسلامي أساسه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعقله أصحابه وتابعوهم، وهذا الدين جاء لتوحيد الله وتنزيهه وإبطال أي معبود سواه فهذه هي حقيقة التوحيد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] وهذا الدين الإسلامي جاء أهلَهُ بعبادات من صلاة وصوم وحج وكلها خضوع ودعاء وشعور بسلطان الألوهية ومساواة بين الخلق كلهم رفيعهم

ووضيعهم، لأنهم كلهم من آدم وآدم من تراب فلا فضل لأبيض على أسود ولا لعربي على عجمي إلا بتقوى الله.

وهذه الأركان لها حكمة في مشروعيتها فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والحج له فوائد اجتماعية كذلك والصوم له فوائد صحية كما في الحديث: «صوموا تصحوا» ويشمل هذا الدين تعلم العلوم والتخلق بالأخلاق السامية والمساواة واحترام الإنسانية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالدين الإسلامي يشمل جميع ذلك قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولهذا نجد القرآن والسنة مملوءين بالآيات والأحاديث التي تدعو إلى العلم سواء أكان دينياً أم اجتماعياً أم صناعياً أم زراعياً، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]**، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾** [طه: ١١٤]**، وفي الحديث: «اطلبوا العلم ولو بالصين»، وجعل تعلم الصنائع والحرف فرضاً من فروض الكفاية لعمارة العالم.**

قوله: (ولهذا نجد القرآن والسنة مملوءين بالآيات والأحاديث الخ).

العلم عام يشمل العلوم الدينية والدنيوية وكل ما فيه نفع خاص أو عام والقرآن والسنة فيهما الكثير من الآيات والأحاديث التي تدعو إلى العلم سواء كان هذا العلم دينياً أو اجتماعياً أو صناعياً أو زراعياً فهذا كله داخل في مسمى العلم، لكن الإنسان يقدم الأهم فالأهم لأن بعضها فرض عين وبعضها فرض كفاية قال صاحب الزبد:

كـل مهـمٍ قصـدوا تحصـلـه ... مـن غـير أن يعتـبروا مـن فعلـه

كالصناعة والزراعة هذا فرض كفاية لأنه لو تركه كل الناس لأدى ذلك إلى خراب العالم وهلاك الأنفس.

فلا بد أن يكون هناك من يتوظف في هذه الأمور حتى في الطب وفي التجارة وغير ذلك فهذا كله فرض كفاية قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] لا، لا يستوون عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وفي الحديث: «اطلبوا العلم ولو بالصين»، وقالوا أن الله تعالى علم آدم عليه السلام بعد أن خلقه ألف حرفة وقال له: "مُرْ أولادك أن يتعلموا هذه الحرف ولا يأكلوا بدينهم" وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] بعضهم فسر الأسماء بالحِرَف، حتى قالوا إن الحجامة من فروض الكفاية فيجب أن يكون في كل بلد حجام لأنها داخلة في الطب حتى من النساء فإذا لم يكن هناك طبيبة أو حجامة فهن

مأثومات، فكل حرفة لا يستغني عنها البشر فهي فرض كفاية بحيث لا يؤدي عدمها إلى اختلال العالم إذا لم تكن موجودة.

فإذا لم يكن هناك تاجر من أين سيشتري الناس حوائجهم؟ وإذا لم يكن هناك بانٍ كيف سيعمرون منازلهم؟ وكذلك النجار؟ فهذه حرف الناس بحاجة إليها إلى قيام الساعة وإلا أدّى عدمها إلى خراب العالم.

ونجده أيضاً يحث على الاتحاد والاعتصام بحبل الله فيقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول في الحديث: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وفي الآية الأخرى، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وهكذا نجده دعا إلى تطبيق كل خلق اجتماعي كالصدق والوفاء والإنصاف ونجده جعل ركناً من أركانه الخمسة وهو الزكاة لإغاثة الإنسانية من نكبات الفقر والحاجة والخراب على نظام سنَّه وإذا طبق ذلك النظام استطاع العالم أن يعيش بواسطتِهِ عيشة اجتماعية سعيدة

قوله: (ونجده أيضاً يحث على الاتحاد والاعتصام الخ).

يعني أن الدين الإسلامي كما أنه يحث على طلب العلم كذلك يحث أيضاً على الاتحاد والاعتصام كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقوله عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] فهذه تحث على مكارم الأخلاق والتخلق بالأخلاق الحسنة.

وكما في قوله عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد» وقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» فهذه كلها تحث على الاتحاد وعدم الشقاق والافتراق إلى آخر ما قاله الحبيب.

بل إن رحمته تعدت إلى الحيوانات فيقول صاحبه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «في كل كبد حراء أجر»، ويقول: «دخلت امرأة من بني إسرائيل النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

ثم إنه لتسامحه لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا يفرق بين أحد من الرسل ولا يحرم نكاح الكتابية ولا ذبيحة أهل الكتاب.

قوله: (بل إن رحمته تعدت إلى الحيوانات الخ).

كما جاء في الحديث: أن امرأة من بني إسرائيل سقت كلباً بعد أن نزلت إلى البئر وملأت خفها فشكر الله لها، والصحابة لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم: هل لنا أجر حتى في الكلاب ونحوها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «في كل ذي كبد حراء أجر».

قوله: (ثم إنه لتسامحه لا يكلف نفساً إلا وسعها الخ).

أي أن الدين الإسلامي لا يكلف أحداً فوق طاقته كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وكما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» وخبر: «بعثتُ بالحنيفية السمحة السهلة ليلها كنهارها».

ودين الإسلام يأمر بالإيمان بجميع الرسل كما قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] بخلاف الكفار كالنصارى واليهود فاليهود كفروا بعيسىٰ بل بهتوه وبهتوا أمه والنصارى بالعكس جعلوه إلها ورباً.

وكذلك لا يُحرِّم ديننا نكاح الكتابية فيجوز للمسلم أن يتزوج بكتابية قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، ولا يُحَرِّمُ ذبائح أهل الكتاب كما قال الله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

إن المحرمات[1] التي يحرمها الدين الإسلامي إنما هي لحماية العقل والجسد والمال والعرض والدين ولهذا سن الحدود وحرم الربا والقمار الذين هما نوعان من أنواع نهب الأموال وحرم شرب الخمر والزنا ومقدماته والغيبة والنميمة وكل الأوامر التي يأمر بها إنما هي لصلاح الفرد والمجتمع روحياً وجسدياً ولإيجاد الرسائل اللازمة لذلك.

قوله: (إن المحرمات التي يحرمها الدين الإسلامي إنما هي لحماية العقل الخ).

تقدم الكلام على بعض الحكم في أركان الإسلام الخمسة من صلاة وصيام وغير ذلك والآن سيتكلم على المحرمات التي نهىٰ الإسلام عنها وهي كذلك فيها حكم ومنها المحافظة على الكليات الست التي أجمعت الملل كلها على وجوب حفظها وتحريم مخالفتها وهي الدين والعقل والنفس والعرض والمال والنسب ومن أجل هذا شرع الإسلام الحدود على من اخترق هذه الكليات الست[2]:

فشرع للمحافظة على الدين.. قتل المرتد والجهاد في سبيل الله حتى يكون الدين كله لله قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وشرع للمحافظة على النفس.. القصاص قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٩] وهو قتل القاتل الذي قتل عمداً.

وشرع للمحافظة على العقل.. حد شرب الخمر، وغيره من المسكرات شرع لها التعزير.

وشرع للمحافظة على النسب.. حد الزنا حفاظاً للأنساب من الاختلاط.

---

(١) الكلام على المحرمات في الإسلام.

(٢) جمعها العلامة اللقاني بقوله:

وحفظُ دينٍ ثم نفس مال نَسَبْ ... ومثلها عقل وعرض قد وَجَبْ

اهـ (إعانة الطالبين)

وشرع للمحافظة على العرض.. حد القذف.

وشرع للمحافظة على المال.. حد السرقة وأحكام قطع الطريق، فهذه الحدود شرعت زجراً عن ارتكاب موجبها.

وكذلك حرم القمار والربا اللّذين هما نوع من أنواع نهب الأموال وكذلك حرم الغيبة والنميمة، فكل أوامره التي يأمر بها إنما هي لصلاح الفرد والمجتمع روحياً وجسدياً فما من خصلة من خصال الخير تقربك من الله وتدخلك الجنة إلّا وقد أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم وحث عليها، وما من خصلة من خصال الشر تبعدك عن الله وتدخلك النار إلا وقد نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

أما الوحدة فإنه يسعىٰ إلى وحدة العالم كله في اللغة وهي اللغة العربية والعقيدة وهي العقيدة الإسلامية والحكومة وهي الحكومة الإسلامية ليجني العالم من وراء هذه الوحدة الخير العميم، وهكذا نجد إذا تأملنا إن الدين الإسلامي هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والإنسان بطبيعته يميل إلى اعتناقه لسمو مبادئه وسهولتها وهو أرقىٰ الأديان السالفة على الإطلاق ولا يقبل الله دينا سواه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

قوله: (أما الوحدة فإنه يسعىٰ إلى وحدة العالم في اللغة الخ).

أي أن دين الإسلام يسعىٰ إلى وحدة العالم كُلِّهِ في اللغة، أما الآن فكثير من العرب يتكلمون بلغات أجنبية ولا يعرفون اللغة العربية، لأن أهل الغرب بثوا لغاتهم في العالم والإسلام يسعىٰ لبث لغته في العالم وهي اللغة العربية ولبث العقيدة وهي العقيدة الإسلامية ولبث الحكومة وهي الحكومة الإسلامية حتىٰ يجني العالم من وراء هذه الوحدة أي وحدة العقيدة ووحدة اللغة ووحدة الحكومة الخير العميم..، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

قوله: (وهكذا نجد إذا تأملنا إن الدين الإسلامي هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها الخ).

الدين الإسلامي هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والناس بطبيعتهم يميلون إلى اعتناقه لماذا؟ لِسُمُوِّ مبادئه وسهولتها بخلاف بعض شرائع من قبلنا ففيها تشديد ولهذا قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال تعالى: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والإصر: هو التكاليف الثقيلة التي أوجبها الله على من كان قبلنا، فإن توبتهم كانت بقتل النفس لما عبدوا العجل قال تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤]، وكان الغسل من الجنابة سبع مرات، وكان لا يكفي في إزالة النجاسة الغسل بل لا بد من قطع وقرض الجلود التي كانت عليهم.

وكان إذا عمل أحدهم معصية وجب قطع ذلك العضو فإذا نظر أحدهم إلى الحرام فتوبته أن يقلع عينه.

ولو ارتكب أحدهم معصية يصبح وقد كتب على باب بيته كفارتها كذا وكذا وهذه فضيحة.

وكانت الزكاة ربع المال أما الآن فهي ربع العُشر.

فهذا الدين هو دين اليُسر وهو أرقى الأديان السالفة على الإطلاق وليس في ذلك شك ولا يقبل الله ديناً سواه قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

الدرس السادس والعشرون

مقارنة بين الإسلام وبعض الأديان الأخرى

إذا قارنا بين الدين الإسلامي وبين غيره من الأديان السماوية نجده يمتاز عنها بسهولة مبادئه وبمطابقته للعقل أكثر وللمدنية الحديثة ونجده صالحاً للعصور الحديثة ونجده يعتني بتغذية الروح والجسد وتهذيب العقل والجسم بينما نجد اليهودية تعتني بالمصالح الجسدية والمادية أكثر والنصرانية تعتني بالمصالح الروحية أكثر ونجد أن العقيدة المسيحية وهي الديانة التي تعتنقها أرقى أمم اليوم حضارة ومدنيَّة تقول بالتثليث أي الأقانيم الثلاثة وهي الأب والابن والأم أي أن عيسى وهو الابن والأم وهي مريم والله هؤلاء ثالوث مقدس عندهم ومن مجموعه تكون الربوبية

قوله: (إذا قارنا بين الدين الإسلامي وبين غيره من الأديان السماوية الخ).

لو قارنا بين الدين الإسلامي وبين غيره من الأديان السماوية الأخرى كدين التوراة ودين الإنجيل فإننا نجد الدين الإسلامي يمتاز عنها بسهولة مبادئه وبمطابقته للعقل أكثر وللمدنية الحديثة ونجده صالحاً للعصور الحديثة في كل زمان إلى يوم القيامة ونجد دين الإسلام يعتني بتغذية الروح والجسد وتهذيب العقل والجسم بينما نجد اليهودية أي شريعة اليهود وهي التوراة تعتني بالمصالح الجسدية من تربية للجسد، والمادية المالية أكثر من الاعتناء بتغذية الروح وتهذيب العقل هذا دين اليهود، بخلاف الإسلام فهو يعتني بتغذية الروح والجسد وتهذيب العقل.

ونجد الشريعة النصرانية تعتني بالمصالح الروحية أكثر بعكس اليهودية والمصالح الروحية كالعبادة وغير ذلك فلا يميلون إلى النساء ولا إلى جمع المال وغير ذلك كاليهود وهذا كان سابقاً أما الآن فقد غيروا وبدلوا.

والنبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى هذا في حديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسولِهِ فهجرته إلى الله ورسولِهِ» وهذا

ما كان إلى جانب الإخلاص في النية والعبادة وهو جانب الروح «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها» وهذا جانب الرأسماليين الذين يميلون إلى الدنيا فقط فلا يسهرون ولا يتعبون ولا يسافرون إلا لأجل الدنيا وهذا أكثره في الفرس فهم يميلون إلى جانب المال وجمعه «أو امرأةٍ ينكحها» هذا فيه إشارة إلى الروم فاعتناؤهم الأكثر بالنساء ومحبتِهُم والميلُ إليهن «فهجرته إلى ما هاجر إليه».

قوله: (ونجد أن العقيدة المسيحية وهي الديانة التي تعتنقها أرقىٰ أمم اليوم الخ).

أرقىٰ الأمم الآن كالإنجليز والأمريكان والألمان وغيرهم يعتنقون العقيدة المسيحية لأن أصولهم من الروم ، فأرقى هذه الأمم يقولون بالتثليث أي الأقانيم الثلاثة لأن الآلهة عندهم مركبة من ثلاثة وليس كلهم، بل بعضهم لأنهم فِرَق.

والأقانيم الثلاثة هي الأب والابن والأم فجعلوا عيسىٰ الابن وجعلوا الأم مريم وهذا الثالوث مقدس عندهم ومن مجموعه تكون الربوبية، وبعضهم يقول: أن المسيح نفسه هو الإله.

كما أن بعض فرقهم تقول: إن البابا هو خليفة عيسىٰ في الأرض فيسعد ويشقي ويحلل ويحرم ولا تقبل توبة إلا بواسطته وبعد الاعتراف له بكل ذنب صراحة بينما الدين الإسلامي لا يجعل واسطة بين العبد وربه وعندهم لا تصح الصلاة إلا في الكنيسة بينما الدين الإسلامي لا يخصص موضعاً للصلاة كما في الحديث: «جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً»، وعندهم لا يزاد على الزوجة واحدة ولا يمكن أن تطلق.

قوله: (كما أن بعض فرقهم تقول: إن البابا هو خليفة عيسىٰ في الأرض الخ).

البابا الآن موجود وله مقر[1] وبعض فرقهم يعتبرونه خليفةً لسيدنا عيسىٰ عليه السلام في الأرض وأنه يُسعد ويشقي كأنه إله ويحلّل ويحرِّم ولا تقبل توبة لأحد إلا بواسطته، فعندهم لا بد لمن أراد أن يتوب أن يذهب إلى عنده ويعترف له بكل ذنب صراحة.

أما ديننا الإسلامي فلا يجعل واسطة بين العبد وربه وإنما التوبة هي الندم فيما بينه وبين الله ولا يفضح نفسه بل يسترها.

ولا تصح الصلاة عندهم إلا في الكنيسة، أما نحن فمن خصوصيته عليه الصلاة والسلام أن جعلت له ولأمته الأرض مسجداً وتربتها طهوراً.

وعند المسيحيين لا يُزاد على زوجةٍ واحدة إلا عند الضرورة بأن كانت زوجته مريضة أو نحو ذلك ولا بد أن يكون ذلك بإذن قاض ولا يمكن له أن يطلقها.

---

(١) في دولة الفاتيكان في روما وتسمى الدولة البابَويَّة، والكَنَسِيَّة وهي أصغر دولة في العالم من حيث المساحة ومن حيث عدد السكان، أُعلِنَ استقلالها عن إيطاليا سنة: ١٩٢٩م، ومساحتها: ٠,٤٤ كم، وعدد سكانها يقارب ٨٥٠ نسمة، ولغتها العامة: الإيطالية، واللغة اللاتينية وهي اللغة الرسمية للكرسي الرسولي، ويوجد بها ٣٨ لغة أخرى.

ودين نبي الله موسىٰ راعىٰ جانب الرجال فللرجل أن يتزوج ما شاء من النساء، ودين نبي الله عيسىٰ راعىٰ جانب النساء فلا يمكن للرجل أن يتزوج إلا واحدة إلا عند الضرورة(1).

---

(١) وأما في شرعنا فللرجل أن يتزوج أربعاً من الحرائر قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣] فجاءت شريعتنا وسطاً قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهكذا إذا قارنا بين الإسلام وبين غيره من الأديان نجده أرقى الأديان وأولاها بالخلود وغيره منسوخ به وهو ختام الأديان ونبيه ختام الأنبياء وقد جمع كل محاسن الأديان المتقدمة وقد جعله الله مناسباً لأرقى العصور لأن ارتقاء الأديان بقدر ارتقاء البشر وتقدمهم، أما الأديان الوثنية والمجوسية والمبنية على الخرافات فلا يلتفت إلى المقارنة بينها وبين الأديان السماوية كما هو واضح لأن بطلانها بديهي.

قوله: (وهكذا إذا قارنا بين الإسلام وبين غيره من الأديان الخ).

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣] أي ينسخها، وهو ختام الأديان السماوية ونبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء كما قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال عليه الصلاة والسلام: «مثلي في النبيين كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لَبِنَةٍ وجعل الناس يدخلونها ويعجبون ويقولون لولا موضع هذه اللبنة فأنا موضع تلك اللبنة جئت فختمت الأنبياء».

ودينا الإسلامي جمع كل محاسن الأديان المتقدمة وجعله الله مناسباً لأرقى العصور لأن ارتقاء الأديان بقدر ارتقاء البشر وتقدمهم.

فهذه المقارنة إنما هي بين الإسلام وبين غيره من الأديان السماوية التي أنزلها الله تعالى كالتوراة والإنجيل أما الوثنية والمجوسية وغيرها فلا مقارنة لأنها مبنية على الخرافات وهي باطلة بالبديهة.

الدرس السابع والعشرون

مقارنة بين العرب قبل الإسلام وبعده

كانت العرب قبل الإسلام أمة بدوية متفرقة ساذجة متناحرة متحاربة وكل قبيلة تحارب القبيلة الأخرىٰ وكل بطن من قبيلة يحارب البطن الآخر يئدون البنات وينهبون الأموال وليس لهم دين سوىٰ عبادة الأصنام وليست لهم حكومة ولا نظام ولا مدنية هذا من ناحية المجموع، أما من ناحية الأفراد فإن الواحد لا تأمنه علىٰ عقال بعير ولا يردعه شيء عن الظلم والبغي ولا يعتقد بالبعث

قوله: (كانت العرب قبل الإسلام أمة بدوية الخ).

خرج الحبيب من علم العقائد لكن الكلام متعلق به ، والعرب قبل الإسلام في عهد الجاهلية كانت أمة بدوية ، كانوا يقاتلون بعضهم بعضاً إلا في الأشهر الحرم فإذا احتاجوا إلى القتال في الأشهر الحرم يؤخرون تحريمها إلى شهر آخر فيتحكَّمون بتحريم محرم إلى صفر أو غيره ويتقاتلون فيه وهذا معنىٰ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ [التوبة: ٣٧].

حتى في المدينة كان بين الأوس والخزرج قتال لأكثر من مائة سنة وقتل فيه كثير من ساداتهم حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم وألَّف الله به بينهم قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وكانت العرب أمة ساذجة لا عندها علم ولا معرفة وكل قبيلة تحارب الأخرىٰ وكل بطن من قبيلة يحارب البطن الآخر لأن القبيلة أوسع والبطن أصغر والفخذ أصغر.

وكانوا يئدون البنات ولم يكن ذلك في جميع العرب لكن أكثره كان في بني تميم قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

وكانوا ينهبون الأموال ولم يكن لهم دين سوىٰ عبادة الأصنام وليس لهم حكومة ولا نظام وهذا الذي تقدم من ناحية المجموع.

وأما من ناحية الأفراد فإن الواحد لا تأمنه على عقال بعير ولا يردعه شيء عن الظلم والبغي.

ولا يعتقد بالبعث لأنه منكر له، فلا يؤمن بأن هناك بعثٌ أو يومٌ آخِر أو قيامة.

فجاء الإسلام وقلبهم في سنوات معدودة إلى أمة مجتمعة الشمل متحدة القوى تدين بالإسلام ولها دستور عظيم وهو الكتاب والسنة ولها حكومة يرأسها رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم خلفاؤه واستولت على أقوى أمم الأرض وأرقاها وقتذاك ونبغ فيهم رجال العدالة والحضارة والقيادة أمثال علي وعمر وخالد وسعد وقتيبة وطارق وغيرهم.

قوله: (فجاء الإسلام وقلبهم في سنوات معدودة الخ).

بعد ذلك جاء الإسلام في مدة البعثة وهي ثلاث وعشرون سنة وحوّلهم إلى أمة مجتمعة الشمل متحدة القوى تدين بالإسلام قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ﴾[آل عمران: ١٠٣].

فقامت دولة الإسلام ولها دستور عظيم وهو الكتاب والسنة ولها حكومة يرأسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خلفاؤه من بعده.

والعرب بعد أن كانوا أهل بادية لما دخلوا في دين الإسلام صارت لهم حكومة إسلامية استولت على أقوى وأرقى أمم الأرض وهي الفرس والروم آنذاك.

ونبغ في العرب رجال العدالة والحضارة والقيادة أمثال سيدنا علي وعمر وخالد[١] وسعد[٢] وقتيبة[٣] وغيرهم كثير.

---

(١) أي: خالد بن الوليد.

(٢) لعله نفع الله به أراد.. سعد بن أبي وقاص أو سعد بن معاذ رضي الله عنهما.

(٣) أي: قتيبة بن مسلم الباهلي صاحب الفتوحات.

وانتشر الإسلام وعمت حضارته أكثر معمور من الكرة الأرضية ودخل فيه شتى الأمم من فرس وروم وكرد وهنود وترك وبربر وغيرهم وبلغت فتوحاتهم إلى أواسط فرنسا غرباً وأقاصي الهند والصين شرقاً وجبال طوروس شمالاً وأواسط إفريقيا بلاد النوبة جنوباً، وقد ربط الإسلام هذه الأمم برابطته وجمعهم بجماعته ومدهم بوطنيته قروناً عديدة وأصبحوا أسياد العالم إلى عهد قريب ثم لما حدث التفرق بين المسلمين وبدلوا جامعتهم الإسلامية بقوميات ووطنيات وتفرقوا شذر مذر وضعفت عقيدتهم الإسلامية ونبذوا أوامر الإسلام وتعاليمه وأخره تبدل عزهم إلى ذُلّ ونعيمهم إلى بؤس واستعمرتهم الأمم الأجنبية وأمسوا في هذه الحالة التي يئنون منها وإلى الله المشتكى ولكن لا تخلو البلاد الإسلامية من رجال يسعون لاسترجاع مجد الإسلام ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠].

وانتشر الإسلام وعمت حضارته أكثر المعمورة حتى بلغ إلى الصين والهند ودخلت فيه شتى من الأمم من فرس وروم وكرد وهنود وترك وبربرٍ وغيرهم.

وبلغت فتوحاتهم إلى أواسط فرنسا غرباً وأقاصي الهند والصين شرقاً وجبال طوروس شمالاً وأفريقيا جنوباً، وأكثر الفتوحات كانت في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فربط الإسلام هذه الأمم برابطته وجمعهم بجماعته قروناً عديدة فأصبح العرب أسياد العالم إلى عهدٍ قريب فلما حدث التفرق بين المسلمين الذي هو سبب ضعفهم وأنهيارهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٤٦] أي قوتكم ونصرتكم لما حصل ذلك وتفرقوا شذَرْ مذَرْ وبدلوا جامعتهم الإسلامية بقوميات ووطنيات وضعفت عقيدتهم الإسلامية ونبذوا أوامر الإسلام وتعاليمه وأخلاقه.. تبدَّل عزهم إلى ذل، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام

ومهما ابتغينا العِزَّةَ في غيره أذلّنا الله، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] وتبدل نعيمهم إلى بؤس واستعمرتهم الأمم الأجنبية وهذا كله واقع فأمسوا في هذه الحالة التي يئنون منها وإلى الله المشتكى و﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: ٥٨].

وبعد ذلك استدرك الحبيب بقوله: ولكن لا تخلو البلاد الإسلامية من رجال يسعون لاسترجاع مجد الإسلام ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠].

الدرس الثامن والعشرون

دفع الشبه التي يوردها أعداء الإسلام عليه

جاء الإسلام والرق مستباح بين الأمم ومنها الأمة العربية ومن أعظم الصعوبات والمشقات عليها أن يحصر الرق ابتداء إذ يؤدي ذلك إلى عدم اعتناق الإسلام وتوقف انتشاره بادئ ذي بدء لهذا عمد الإسلام إلى حصر الرق ثم مهده تدريجياً فحصره في سبب واحد وهو الكفر وبعد ذلك جعل العتق من أعظم القربات وجعله واجباً في الكفارات وذهب كثير من العلماء ومن الصحابة ومنهم سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى وجوب مكاتبة العبد إذا طلبها من سيده.

قوله: (جاء الإسلام والرق مستباح الخ).

أكثر ما يكون هذا من أصحاب التنصير من النصارى الذين يثيرون الشبه على العوام وضعفاء الإيمان وغيرهم لأجل يغيّروا سمعة الإسلام عندهم، حتى أن كثيراً منهم خرجوا عن دين الإسلام إلى النصرانية.

فينبغي للعلماء أن يبينوا ذلك ويفهموه وهو فرض كفاية لأن من فروض الكفاية أن يتعلم الإنسان حتى يتأهل للرد على هؤلاء الأعداء الذين يثيرون الشبه على الإسلام فهذا القدر من علم التوحيد.. فرض كفاية.

والاسترقاق من الشبه التي يثيرها الأعداء على الإسلام، والرق لم ينشئهُ الإسلام ويحدثه وإنما جاء الإسلام وهو موجود من قبل الإسلام ولم يكن بدعة ابتدعها الإسلام فقد كانوا قبل الإسلام يسترقون بعضهم بعضاً ومن هذه الأمم التي استباحت الرق.. الأمة العربية، وكان من الصعوبة أن يحصُرَ الإسلامُ الرق ابتداءً لأن ذلك سيؤدي إلى عدم اعتناق الإسلام وتوقف انتشاره، فعمد الإسلام إلى حصر الرق ولم يجعله عاماً ثم مهده تدريجياً فحصره في سبب واحد وهو الكفر لأن الرق كما عرفوه عجزٌ حكمي يقوم بالإنسان سببه الكفر.

فالإسلام لم يجعل الأحرار أرقّاء هكذا وإنما بسبب الكفر فإذا وقعت حرب بين الكفار والمسلمين وأسرنا من الكفار يجوز للإمام أن يضرب عليهم الرق، أما النساء والصبيان فيصيروا أرقاء بنفس الأسر، وأما الرجال البالغون فالإمام مخير فيهم بين القتل أو الفداء أو ضرب الرق عليهم[1] .

فالأصل في الرق سببه الكفر، لكن الإسلام بعد ذلك جعل العتق من أعظم القربات كما في الحديث: «من أعتق رقبة مسلمةً أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه».

وهذا حث وتحريض من الشارع في تحرير العبيد بلغ إلى هذا الحد حتى النبي صلى الله عليه وسلم أعتق في حياته ثلاثاً وستين رقبةً بعدد سنيّ عمره قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي: بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي بالرق، وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان يقال له زيد بن محمد لأن النبي صلى الله عليه وسلم تبنّاه حتى أنزل الله تعالى النهي عن التبني وقال: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥].

قوله: (وجعله واجباً في الكفارات الخ).

أي جعل الإسلام العتق واجباً في الكفارات كما في كفارة الجماع في نهار رمضان وكفارة الظهار وكفارة القتل فجعل في كل ذلك كفارته عتق قربة.

قوله: (وذهب كثير من العلماء ومن الصحابة ومنهم سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى وجوب مكاتبة العبد الخ).

---

(١) أو يعفو عنهم.

المقرر أن الكتابة سنة قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ ﴾ [النور: ٣٣] والأصل أن الأمر للوجوب لكن المقرر أن الكتابة سنة وليست بواجب وصرفها عن الوجوب الإجماع، فقد أجمع العلماء أن الكتابة لا تجب، لكن هنا يقول الحبيب: أن سيدنا عمر ممن ذهب إلى وجوب مكاتبة العبد، والذي أحفظه أنا أن هذا مذهب أهل الظاهر أي داود الظاهري وأصحابه[1]، هذا إذا طلبها المكاتب، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ﴾ أي يطلبون. فإن لم يطلبها فلا تجب وأسباب العتق كثيرة جعلها الشارع.

(١) قال في رحمة الأمة: اتفقوا على أن كتابة العبد الذي له كسب مستحبة مندوب إليها بل قال أحمد في رواية عنه بوجوبها إذا دعى العبد سيده إليها على قدر قيمته أو أكثر، وأما العبد الذي لا كسب له فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: لا تكره كتابته، وعن أحمد روايتان: إحداهما تكره والثانية لا تكره، وكتابة الأمة التي هي غير مكتسبة مكروهة إجماعاً. اهـ

وما دام الإنسان رقيقاً على سيده أن يطعمه وأن يسقيه وأن لا يكلفه من العمل ما لا يطيق وأن لا يؤذيه بل أوصىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يطعمه مما يطعم وأن يكسيه مما يكتسي

قوله: (وما دام الإنسان رقيقاً.. على سيده أن يطعمه الخ).

من الثلاثة الذين يُعطون أجرهم مرتين كما في الحديث وأوصلهم الإمام السيوطي إلى سبعين كما في أحاديث متفرقة لكن هنا ثلاثة لخبر: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين» الأول: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به، فالأجر الأول لإيمانه بنبيه والثاني لإيمانه بخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم.

والثاني: عبد قام بحق ربه وأدىٰ حق سيده أي قام بالحقين والثالث: رجلٌ كانت له أَمَةٌ فعلمها وأدّبها ثم أعتقها فتزوجها، لأنه أحسن إليها فيُعطىٰ أجره مرتين.

وكلام الحبيب على أن على السيد أن يُطعم عبده الخ هذا من باب النفقة لأن أسباب النفقة ثلاثة القرابة والنكاح وملك اليمين، وقد ورد في الحديث: «أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون» فإن لم يؤاكله أطعمه مما يأكل ولو لقمتين، ويكسيه مما يكتسي.

فالشارع أمر بالإحسان إلى الأرقاء وفي الحديث: «لا يدخل الجنة سيِّءُ المَلَكَةِ».

فمن كان له عبد عليه أن يطعمه ويسقيه ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق وأن لا يؤذيه، كالذي كان يضرب عبده فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضرب عبده فسمع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه يقول له: «اعلم أبا مسعود» فالتفت فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم حتى سقط السوط من يده فقال له: «اعلم أبا مسعود لَلّهُ تعالى أقدرُ عليك منك عليه يوم القيامة»[1].

---

(١) تمام الحديث: فقال هو حُرٌّ لوجه الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إن لو لم تفعل لمسّتك النار» وفي رواية: «لَلَفَحَتْكَ النار».

فمعاملة الرق في الإسلام مجرد خدمة ليس فيها ما يرهق من الأعمال ولا ما يسيء من المعاملة وإذا كانت الحكومة الأوروبية تمنع رق الأفراد فإنها تستعبد أُمماً بأسرها على أن الإسلام يسعى إلى حسم الرق بالتدريج كما قدمنا.

قوله: (فمعاملة الرق في الإسلام مجرد خدمة الخ).

نعم ليس في معاملة الإسلام للأرقاء ما يرهقهم من الأعمال أو يكلفهم من الأعمال الشاقة ولا ما يسيء من المعاملة[1].

قوله: (وإذا كانت الحكومة الأوروبية تمنع رق الأفراد الخ).

هذا رد على الذين يشوِّهون سماحة الإسلام فإذا كانت هذه الحكومات الأوربية تمنع الرق لأنه ليس لديهم رق وهو ممنوع عندهم فإنهم يستعبدون أمما بأسرها يستعبدون أحراراً، أما الإسلام فإنه يسعى إلى حسم الرق بالتدريج بفتح أبواب العتق فهذا جواب الشبهة التي يثيرونها على الإسلام.

---

(١) أي: وإنما مجرد خدمة للسيد في حدود المعقول.

الدرس التاسع والعشرون

المرأة في الإسلام

جعل الله المرأة شريكة للرجل في إحياء الحياة وأمرها بتعلم العلوم وأباح لها مباشرة مختلف الصناعات والحرف والتجارة وجعل لها الحرية في ذلك كالرجل، أما حياتها العائلية فقد وزعها بينهما وأعطىٰ كلاً منهما ما يلائم قواه وتكوينه الجسدي والعقلي وجعل التوجيه والرئاسة للرجل لأن استعداده لذلك أتم ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

قوله: (جعل الله المرأة شريكة للرجل الخ).

«النساء شقائق الرجال» كما في الحديث وأكثر الأحكام الإسلامية مشتركة بين الرجال والنساء وجعل الله تعالى المرأة شريكة للرجل في إحياء الحياة وأمَرَها بتعلم العلوم مثلها مثل الرجل وكثير من الآيات القرآنية ذكرت النساء مثل الرجال كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الخ الآية وكقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النساء: ١٢٤].

وأباح الإسلام لها مباشرة مختلف الصناعات بشرط استعمال الحجاب الإسلامي وأن لا تتبرج أمام الرجال وتتعطر وبشرط عدم الخلوة بالرجال وما يؤدي إلى فتنة وجعل لها الحرية في ذلك كالرجل فتتّجر وتصنع لأن ذلك جائز.

قوله: (أما حياتها العائلية الخ).

أما هذا فيختلف فحياتها العائلية قد وزعها الإسلام بينهما وأعطىٰ كلَّ واحد منهما ما يلائم قواه ويلائم تكوينه الجسدي والعقلي ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] فجعل

التوجيه والرئاسة للرجل وجعل المرأة كوزير الداخلية، والنبي صلى الله عليه وسلم لما زوج سيدتنا فاطمة الزهراء للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهما دعاهما وقال: «يا فاطمة مِنْ هنا..» أي من عند الباب «..إلى الداخل عليك» وقال لعلي: «مِنْ هنا.. وإلى الخارج عليكَ يا علي»

وهذا في الغالب والأكثر، وجعل التعليم والإرشاد والتهذيب والتأديب على الرجل إذا كان عالماً بهذا، والأسرة عبارة عن رئاسة صغرىٰ يتولاها الرجل لأن استعداده لذلك أتم في كل شيء هكذا خلقه الله تعالى قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

وهذا الحكم بالنسبة إلى العموم لا بالنسبة إلى كل فرد من الأفراد وإلا فكما قيل: كم من قُصَّة.. خير من ألف لحية، فهذا حكم عمومي فلا نقول أن كل أفراد الرجال أفضل من كل أفراد النساء، لا، وإنما جنس الرجال أفضل من جنس النساء من حيث العموم فهذا بنص القرآن: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فلتقضي المرأة معظم أوقاتها بالمنزل وهي أليق بذلك وأولىٰ لأن أطوار حياتها حمل فولادة ونفاس فرضاع فحضانة وعلى الرجل القيام بأعباء النفقات والمصاريف كلها ولهذا فلا يستغرب أن يكون للرجل مثل حظ الأنثيين في الميراث.

قوله: (فلتقضي المرأة معظم أوقاتها بالمنزل الخ).

وذلك لتربية الأولاد والقيام بحقوق الزوج وتنظيم أمور البيت لأن كل ذلك عليها وهي أدرىٰ وأليق وأولىٰ بذلك، ولذلك تسمىٰ المرأة ربةَ البيت، ولأن أطوار حياتها حمل وولادة ونفاس ورضاع وحضانة فتوليها الوظائف وأمور الدوائر الحكومية وغير ذلك يتنافىٰ مع هذا.

قوله: (وعلى الرجل القيام بأعباء النفقات الخ).

أما الرجل فيتولى النفقات والمصاريف ولذلك فلا يستغرب أن يكون للرجل مثل حظ الأنثيين في الميراث، وفي الحديث: «ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن» -وكثير من النساء يغضبن من ذلك-، قُلنَ وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ فقال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل» قلن بلىٰ فهذا نقصان عقولهن ثم قال: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم» قلن بلىٰ، قال: «فهذا نقصان دينهن»، فالرجل عقله أغلب على عاطفته والمرأة عاطفتها أغلب على علقها، وليس معناه أن نقصان العقل هكذا على ظاهره لأن كلاً منهما لديه عقل، بل قد يكون عقول بعض النساء أرجح من عقول بعض الرجال، لكن العاطفة غلبت على عقولهن والرجال بالعكس.

وإنما جعل للرجل مثل حظ الأنثيين في الميراث كما مر لأن المرأة لا تنفق إلَّا على نفسها إذا لم تتزوج فإذا تزوجت كفاها زوجُها نفقتها، أما الرجل فإنه يتحمل أشياء كثيرة كنفقة زوجته ونفقة أولاده والمهر وغير ذلك فهذه حكمة ذلك.

الطلاق

وقد نَفَّر الإسلام من الطلاق وجعله بيد الرجل عند الالتجاء إليه لأنه يدفع المهر والنفقة فكان في يده الطلاق ولو كان بيد المرأة لابتزت أموال الرجال باستلام المهور والنفقات منهم ثم تطليقهم ورمي أولادهم خصوصاً إذا أوتيت حظاً من الجمال وسيترتب على هذا أضرار اجتماعية كبيرة، أما الرجل فهو المسئول قبل كل شيء للزوجة وهو المسئول بعدُ عن الصرفيات المالية وهذا ما يمنعه عن استعمال حقه في الطلاق إلا قليلاً لما يترتب على ذلك من خسائر وتبعات.

قوله: (وقد نَفَّر الإسلام من الطلاق الخ).

نعم كما جاء في الحديث: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» فلا يطلق الرجل إلا عند الضرورة وشدة الحاجة، فالطلاق حلال.. لكنه بغيض إلى الله تعالى وإنما نَفَّر الإسلام من الطلاق لأنه يؤدي إلى الوحشة ويؤدي إلى ضياع الأولاد وإيحاش القلوب وجعل الإسلام الطلاق بيد الرجل لأنه هو الذي يدفع المهر والنفقة وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

ولو كان الطلاق بيد المرأة لطلقت الرجل كل يوم ولابتزت مال الرجل باستلام المهر والنفقة منه ثم تطليقه ورمي أولاده، خصوصاً إذا أُوتيت حظاً من الجمال.

وسيترتب على ذلك أضرار اجتماعية كبيرة، أما الرجل فهو مسؤول عن الزوجة وعن الصرفيات فيمنعه ذلك عن استعمال حقه في الطلاق إلا قليلاً لما يترتب على ذلك من خسائر وتبعات، أما هي فتستفيد إذا كان يحق لها أن تطلق، نعم الفسخ عند وجود سببه يجوز لها أن تفسخ، أما الطلاق فلا يجوز، والله أعلم هل أحد من الدول الأوروبية يجعل لها الحق في ذلك؟.

تعدد الزوجات

أباح الإسلام تعدد الزوجات لأسباب منها أن النساء أضعاف الرجال الذين هم عرضة لفناء الحروب وملاقاة الأخطار، ومنها طلب انتشار النسل وتكاثره كما تشجعه بعض الحكومات وشعوبها.

قوله: (أباح الإسلام تعدد الزوجات لأسباب الخ).

تعدد الزوجات مما ينكرهُ أعداء الإسلام على الإسلام وشريعة نبي الله موسىٰ في التوراة أن للرجل أن يتزوج ما شاء من النساء من غير حصر، وشريعة نبي الله عيسىٰ في الإنجيل بالعكس فلا يحل للرجل إلا زوجة واحدة وليس له أن يتزوج أخرىٰ إلا للضرورة وبشروط وعن طريق الحاكم.

والإسلام أباح للمسلم تعدد الزوجات قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] وهذا في غير حقه صلى الله عليه وسلم أما هو صلى الله عليه وسلم فيتزوج ما شاء من النساء وهي خصوصية له.

والحكمة في جواز تعدد الزوجات أن النساء أضعاف الرجال أي أكثر من الرجال فهن أكثر أهل الدنيا وأكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار[1]، ولهذا قال: إنهن أضعاف الرجال لأنهم أكثر عرضةً لفناء الحروب لأن النساء ليس عليهن جهاد والرجال يقتلون في الحروب والقتال وملاقاة الأخطار والأعمال الثقيلة الشاقة كالبنايات وغيرها من الصناعات فهم أكثر تعرضاً للخطر ولما يسبب الهلاك، أما النساء فلا يتعرضن لذلك.

ومن حكمة جواز تعدد الزوجات.. طلب انتشار النسل وتكاثره كما في الحديث: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

---

(١) قال سيدي نفع الله به: أما كونهن أكثر أهل الدنيا.. فهذا حاصل بالمشاهدة وفي قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ [النساء: ١] وتقديره أي: ونساء أكثر.

وكونهن أكثر أهل الجنة.. لأن الرجل يتزوج في الجنة امرأتين من أهل الدنيا.

وكونهن أكثر أهل النار.. وذلك بنص الحديث: «اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء». اهـ

ولا يمكن إلا بتعدد الزوجات ومع ذلك فقد وضع نظاماً للتعدد أهم قواعده استطاعة العدل بين الزوجات وأمر من خاف أن لا يعدل أن يقتصر على واحدة فقط قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] قال بعض علماء الإسلام الاجتماعيين: وهذا الخوف واقع لا محالة فالتعدد طبق تعاليم الإسلام قلّ أن يستطيع القيام به أحد.

قوله: (ولا يمكن إلا بتعدد الزوجات الخ).

أي لا يمكن أن ينتشر النسل ويتكاثر إلا بتعدد الزوجات ومع ذلك فإن الإسلام لم يبح تزوج النساء وتعدد الزوجات مطلقاً بل هناك تقييد، فقد ربط ذلك بالعدل ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

ووضع الإسلام نظاماً لذلك وهو باب القَسْم فأهم قواعد هذا النظام استطاعة العدل بين الزوجات قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩] وأمر من خاف أن لا يعدل أن يقتصر على واحدة حتى لا يقع في الإثم فالاقتصار على واحدةٍ واجب عند الخوف من عدم العدل قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «من كان له زوجتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط» وبعض علماء الإسلام الاجتماعيين يقول: إن الخوف من عدم العدل بين الزوجات واقع لا محالة لأن التعدد على طبق ما جاء به الإسلام قل أن يستطيع القيام به أحد.

ومن الغريب الذي تظهر به أسرار الشريعة الإسلامية أن جمعيات من النساء في أوروبا الغربية أصبحن اليوم يطالبن بمشاركة المتزوجات في أزواجهن لقلة الرجال بسبب الحرب العالمية الأخيرة ومعنى هذا طلب تنفيذ تعدد الزوجات أي أن يصبح الرجل زوجاً لعدة نسوة كما يجيز الإسلام.

قوله: (ومن الغريب الذي تظهر به أسرار الشريعة الإسلامية أن جمعيات من النساء في أوروبا الغربية الخ).

أي أصبحن كثير من النساء في البلاد الأوروبية يطالبن المتزوجات أن يشاركنهن في أزواجهن لقلة الرجال، فهي ترى أن الأحسن لها أن لا تبقى هكذا بدون زوج إلى آخر حياتها بل تكون شريكة مع امرأة أخرى في زوجها.

وقلة الرجال عندهم سببه الحرب العالمية الأخيرة ولا سيما في فرنسا وفي ألمانيا فبعد الحرب لم يبق من أعداد الرجال إلا القليل بسبب الحرب العالمية.

ومطالبتهن هذه بمشاركة النساء معناه: طلب تنفيذ تعدد الزوجات بحيث يصبح الرجل زوجاً لعدد من النساء كما يجيز الإسلام.

الدرس الثلاثون

كرامات الأولياء

الكرامات جمع كرامة وهي كما يؤخذ من اسمها ما يظهر الله على يد ولي وهو العارف بالله المقرب لديه من الخوارق إكراماً له.

وقد اختلفت الفرق في وجوب التصديق بأصل الكرامات فأكثر الأشاعرة يقولون به وأنكر المعتزلة وقوع الكرامات إلا القليل منهم.

قوله: (الكرامات جمع كرامة وهي كما يؤخذ من اسمها الخ).

رجع الحبيب إلى العقيدة، والكلام على كرامات الأولياء والكرامات جمع كرامة وهي ما يظهره الله تعالى على يد ولي.

ومن هو الولي؟ هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣].

وهو: العارف بالله من جمع بين الإيمان والتقوى المقرب لديه كما قال تعالى في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته...» إلى آخر الحديث[١] فهذا هو الولي.

وهذه الكرامات التي يظهرها الله على يد أوليائه تكون خارقة للعادة مثل المعجزة وتكون إكراماً من الله تعالى لذلك الولي قال تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [يونس: ٦٤] البشرى في الحياة الدنيا: هو ما يظهر على أيديهم من الكرامات وفي الآخرة أعظم وأعظم.

---

(١) يشير نفع الله به إلى الحديث الثامن والثلاثين من الأربعين النووية:

عن أبي هريرة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قال: من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» رواه البخاري.

قوله: (وقد اختلفت الفرق في وجوب التصديق بأصل الكرامات الخ).

قال صاحب الجوهرة:

واثبـــتن للأوليـــا الكرامَـــة ومَـــنْ نفاهـــا فانبُـــذَنْ كلامَـــهْ

حصل خلاف في وجوب التصديق بأصل الكرامة، فأكثر الأشاعرة يقولون بوجوب التصديق بالكرامات، والمعتزلة أنكروا الكرامات إلا القليل منهم بعكس الأشاعرة ولما قال أكثر الأشاعرة دلَّ أن في ذلك خلاف حتى بين أهل السنة في ذلك

قال الشاعر:

كرامـــةُ الـــولي حـــقٌّ وظَهَـــرْ منهـــا كثـــيرٌ: كرســـالةِ عُمَـــرْ

لنيـــلِ مصـــرَ ، وســـماعِ السارِيةْ منْـــهُ كلامـــاً مِـــنْ بـــلادٍ نائيَـــةْ

وقال صاحب الزبد:

والأوليـــاء ذَوُو كرامـــاتٍ رُتَـــبْ ومـــا انتهـــوا لولـــدٍ مـــن دونِ أبْ

وأدلة الأولين من القرآن: قصة سيدتنا مريم: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] وقصة آصف بن برخيا: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] وقصة أصحاب الكهف ولكن الآخرين يَرُدُّون هذا، ما عدا قصة أصحاب الكهف مما وقع في عهد الأنبياء ولا علم لنا بها لابس ذلك العهد من أحوالهم وشؤونهم ويُعدُّ ذلك من معجزاتهم وأما قصة أصحاب الكهف فقد حكاها كآية من آياته في خلقه

قوله: (وأدلة الأولين من القرآن الخ).

الكرامات ثابتة في القرآن الكريم وأما الأحاديث فكثيرة وفي القرآن الكريم ذكر الله تعالى بعض الكرامات فهي منصوص عليها في القرآن فلا يقدر أحد على إنكارها.

ومن ذلك قصة سيدتنا مريم وهي ليست نبية فذلك إذن كرامة، فإذا جاز حصول الكرامات لأولياء الأمم السابقة فأولياء هذه الأمة من باب أولىٰ فكما أن نبيَّها أفضل الأنبياء فأولياؤها أيضاً أفضل الأولياء واستدل الحبيب بقوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]، وهذا من الكرامات لأنها كانت شجرة لا ثمر فيها أي يابسة، ولو استدل بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] لكان أعظم، لأن الدليل الأول بسبب وهو الهز[1]، وأما الثاني بدون سبب كان يجد خالها زكريا عندها فاكهة الصيف في فصل الشتاء وفاكهة الشتاء في فصل الصيفُ فيقول: من أين لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فهذه كرامة أكرمها الله بها مع أنه كان يغلق عليها سبعة أبواب.

قوله: (وقصة آصف بن برخيّا الخ).

---

(١) قال الشاعر:

توكل على الرحمن في الأمر كُلِّهِ ... ولا ترغبَنْ في العجز يوماً عن الطلَبْ

ألم تر أن الله قال لمريم: ... (وهُزِّي بجذع النَّخل يَسَّاقطُ الرُّطَبْ)

ولو شاء أجنى الجذع من غيرِ هَزَّةٍ ... جنيّهُ، ولكِنْ كُلّ شيءٍ له سَبَبْ

كذلك مما ورد في القرآن الكريم قصة آصف بن برخيا وقد اتفقوا على أنه ليس بنبي وإنما كاتب نبي الله سليمان وهو ولي من الأولياء وكان يعرف اسم الله الأعظم، ولما طلب سيدنا سليمان عرش بلقيس قال أحد الجان أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وكان نبي الله سليمان يجلس للقضاء من الصباح إلى الظهر، أما آصف بن برخيا فقال كما حكى الله تعالى بقوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠]، أي: في لحظة سيأتي به وينقله من اليمن إلى الشام وهذا عرش كبير بما فيه من الأموال وغير ذلك وهذه كرامة أكرمه الله تعالى بها.

قوله: (وقصة أصحاب الكهف الخ).

وكذلك قصة أصحاب الكهف لم تجر بها العادة فإنهم مكثوا في الكهف كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥] وهم في هذه المدة كلها لا يأكلون ولا يشربون، وقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ .. ﴾ [الكهف: ١٨] كرامة أخرى حتى لا تأكلهم الأرض ويبقون على حالهم، وكذلك جعل الله تعالى عليهم الهيبة كما قال تعالى: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨] فلم يستطع أحد الدخول عليهم.

وهذه كلها كرامات لهم وليست كرامة واحدة مع أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله: (ولكن الآخرين يَرُدُّون هذا، ما عدا قصة أصحاب الكهف الخ).

أي أن المعتزلة الذين ينكرون هذه الكرامات يَرُدُّون هذه الكرامات المذكورة ما عدا قصة أصحاب الكهف مما وقع في عهد الأنبياء ولا علم لنا بها في ذلك العهد ويعدون ذلك من معجزات الأنبياء وهذا بعيد.

وأما قصة أصحاب الكهف فيقولون أن الله تعالى إنما حكاها كآيةٍ من آياته في خلقه وهذا جواب غير سديد بل هذه كرامات أكرمهم الله تعالى بها ولهذا قال صاحب الجوهرة:

ومَنْ نفــاها فانبُــذَنْ كـلامَــهْ

ومثل هذا الكلام ضعيف لأن مرجع ذلك كله إلى قدرة الله تعالى، وقدرة الله تعالى صالحة لكل شيء، فلا يقيس الإنسان ذلك على عقله.

ومهما يكن فلا يختلف أحد في جواز وقوع الخوارق على يد غير الأنبياء إلا أنها تختلف باختلاف من تظهر على أيديهم كما تكلمنا على ذلك عند ذكر المعجزات والتي تظهر على يد الولي هي الكرامة وكم أكرم الله أولياءه وأحبابه بكثير من الكرامات مما نطقت به السنة على الصحابة رضي الله عنهم ومما تواتر فيما بعد تواتراً قطعياً لا شك فيه ولا مراء وكم شوهد الكثيرون مِنْ مَنْ نشأ على الاستقامة وحسن السيرة ونقاء السريرة يظهرون الكرامات الخارقة ومع هذا فلا يلزمنا أن نصدق بكرامة مخصوصة اللّهم إلا إن وردت في السنة وليس لنا بعد أن نتسرع ونتطرف فنذكر كل كرامة أو نستخف بأولياء الله والمقربين لديه بينما نصدق ونسلم بالغرائب والعجائب التي تأتي عن غيرهم مما هو خارق للعادة.

قوله: (ومهما يكن فلا يختلف أحد في جواز وقوع الخوارق الخ).

تقدم هذا معنا في كتاب الرسالة القشيرية فإنه عدَّد فيها الكثير من كرامات الأولياء وكلها واقعة بروايات صحيحة تكاد تكون كالخبر المتواتر ، وما من كتاب من كتب تراجم الأولياء إلا ويذكرون فيها شيئاً من الكرامات كما في حلية الأولياء والمشرع الروي وغيرهما، وكم من كرامات أيضاً نطقت بها السنة على الصحابة رضي الله عنهم وما أكرم الله تعالى بها أولياءه وأحبابه وهي متواترةٌ تواتراً قطعياً لا شك فيه، ومع هذا فلا يلزمنا أن نصدق إلا بما جاء في القرآن أو السنة لكن لا نتسرع ونستخف بأولياء الله ونكذب كراماتهم بينما نصدق بالغرائب التي تأتي لنا عن غيرهم مما هو خارق للعادة.

الدرس الحادي والثلاثون

السمعيات

ورد في القرآن العظيم وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكثير من الأمور لا يستقل العقل بفهمها وتسمى السمعيات ويجب الإيمان إجمالاً بجميع ما ورد في القرآن والحديث من السمعيات وهذه جملة من السمعيات:

١- الملائكة: ويجب الإيمان بوجودهم فقط ولا تجب معرفة أحد منهم بالتفصيل إلا العشرة المشهورون.

(قوله: ورد في القرآن الخ)

هذا الدرس الأخير وهو في السمعيات ولم يطوِّل الحبيب الكلام في السمعيات واختصرها، ولماذا سميت السمعيات؟ لأنها أمور غيبية مما يجب على الإنسان الإيمان بها ولم يرها قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٣ - ٤] لأن أدلتها سمعية نقلية لا عقلية فليس للعقل مدخل في أدلتها والأدلة النقلية من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تدور حول عذاب القبر ونعيمه والجنة والنار وغير ذلك فهذه كلها تسمى سمعيات أدلتها مسموعة من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما تقدم فقد يكون دليله نقلي وقد يكون دليله عقلي.

قوله: (ورد في القرآن العظيم وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير من الأمور لا يستقل العقل بفهمها الخ).

نعم كثير من الأمور لا يستقل العقل بفهمها، وإنما نقول آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، ولكن ورد ذكرها في القرآن العظيم وفي أحاديث النبي صلى الله عليه

وسلم وتسمى السمعيات ويجب الإيمان إجمالاً من غير تفاصيل بجميع ما ورد في القرآن والحديث من السمعيات كما سيأتي.

وبعض المعتزلة خالفوا وأنكروا بعضها كعذاب القبر ونعيمه، وأما الجنة والنار فلا ينكرونها وإنما ينكرون وجودهما أي أنهما لم توجدا بعد وأن الله تعالى سيخلقهما يوم القيامة[1]، أما مذهب أهل السنة فهما موجودتان قد خلقهما الله تعالى، ولهذا النبي صلى صلى الله عليه وسلم لما صلى صلاة الاستسقاء رأى الجنة وتقدم وأراد أن يتناول عنقوداً، ثم رأى النار تَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً فتأخر، وهذا الحديث يدل على وجودهما لا أنهما سوف توجدان يوم القيامة[2].

قوله: (١- الملائكة: ويجب الإيمان بوجودهم فقط الخ).

الملائكة ثبت وجودهم بالتواتر ويكفر من أنكر وجودهم وهم أجسام لطيفة نورانية ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ليسوا بذكور ولا بإناث لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون ولا يولدون لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، والحبيب اختصر هنا وإلا فالكلام على الملائكة يطول.

والذي يجب علينا فقط الإيمان بوجودهم فلا ننكر وجودهم لأن ذلك منصوص في القرآن فكم ذكر الله تعالى الملائكة، ولا يجب معرفة أحدٍ منهم بالتفصيل إلا العشرة المذكورون في علم العقائد كما قال صاحب عقيدة العوام:

والملَـــــكُ الَّـــــذِي بِــــلا أبٍ وأمّ ۝ لا أكـــلَ لا شُربَ ولا نَـــومَ لهُـــمْ[3]

---

(١) وإلى هذا ذهب أبو هاشم وعبدالجبار من المعتزلة.

(٢) ويدل لنا قصة آدم وحواء عليهما السلام على ما جاء به القرآن والسنة وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالف؛ المخالف؛ فذلك يدل على ثبوت الجنة، ولا قائل بثبوتها دون النار فهي ثابتة أيضاً، والآيات صريحة في ذاك. وقد أجمع العلماء على أن تأويلها من غير ضرورة إلحاد في الدين، كما قيل: آدم كان رجلاً في جنة أي بستان له، على ربوة: أي محل مرتفع ؛ فعصى ربه فأنزله لبطن الوادي، ولم يرد نص صريح في تعيين مكان الجنة والنار كما في شرح المقاصد، والأكثرون على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش ؛ وأن النار تحت الأرضين السبع، والحق تفويض علم ذلك إلى اللطيف الخبير. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٣) تفصـيل عشـرٍ مِـنْهُمْ جبريـلُ ۝ ميكـــالُ إسرافيـــلُ عزرائيــــلُ

فيجب معرفة أسماء هؤلاء العشرة بحيث لا يجهل أن هذا ملك من الملائكة والباقي نؤمن بهم إجمالاً، وهم كثيرون كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

وفي الخبر: «أطّتِ السماء، وحُقَّ لها أن تئِط ما فيها موضع شبرٍ إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى».

وكذلك حديث الإسراء: «البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون».

وهذا يدل على كثرة الملائكة وعلى عُظم هذا البيت إلى يوم القيامة يدخلون ولا يمتلئ.

واختلفوا في أفضل الملائكة فقال بعضهم: جبريل عليه السلام وبعضهم قال إسرافيل.

وهل يمكن للإنسان أن يرىٰ الملائكة؟ قالوا يجوز ذلك وابن عباس رضي الله عنهما قال أنه رأى جبريل لكن قالوا لا يرىٰ أحدٌ ملَكاً إلا عمي ولذلك عمي ابن عباس في آخر عمره.

وبعضهم قال الصورة الملكية التي جُبِلوا عليها.. لا يراها أحد وإنما بها يتصورون بصورة بني آدم وغير ذلك إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه رأى جبريل مرتين بصورته الملكية وقد سَدَّ الأفق.

منكـــر نكـــيرٌ ورقيـــبٌ وكـــذا عتيــدُ مالـــكٌ ورضـــوان احتــذىٰ

وبعضهم قال: أن الفرق بين الملك والجان، أن الجان قد تراه وتسمع كلامه أي قد يخاطبك، أما المَلَك فلا يمكن ذلك فإما أن تراه ولا يخاطبك أو تسمع صوته ولا تراه وهذا يسمى هاتف فلا يجمع بينهما إلا من كان نبياً[1].

(١) قال في بهجة الطالبين: وأفاد الحبيب عبدالله بن محسن العطاس رضي الله عنه: أن الملائكة يتصورون في صورٍ مختلفة لكنهم إذا ظهروا بهذه الصور لا يتكلمون إلا إن ظهروا للأنبياء، فيقع منهمُ الكلامُ مع ظهور صورهم كما تصور جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلَّمَهُ، وأما لغير الأنبياء فلا يقع منهم الكلام مع ظهور صورهم، بل إمَّا يسمعون كلامهم من غير رؤية، أو يرونهم ولا يكلمونهم. وكذلك الجن يتصورون بصورٍ مختلفة ويظهرون بها ويتكلَّمون، فالفرق بين المَلَكِ والجنِّي أن الملك ترىٰ صورته ولا يكلِّمُكَ أو يكلِّمُكَ ولا ترى صورته، والجني ترىٰ صورته ويكلمك. اهـ

وأفاد رضي الله عنه أيضا: أن الملائكة لم يكونو مثل بني آدم؛ لأنهم ملازمون لحالةٍ واحدةٍ ولا يتقلبون في الأحوال التي يتقلَّبُ فيها الإنسان؛ ولذلك سجد لآدم الملائكةُ إلا إبليسَ أبىٰ واستكبر، وليس إبليسُ من الملائكةِ، فهو استثناءٌ منقطعٌ؛ لأنه خلق من نارٍ والملائكةُ من نور، واستثناه منهم؛ لكونه في موطنهم، وإلا فهو أجنبي. اهـ

ثم قال سيدي نفع الله به: قلتُ وهذا هو اختيار المحققين من أهل العلم: أنَّ إبليس من الجنِّ لا من الملائكة؛ لأدلَّةٍ كثيرةٍ منها: النص الصريح في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]؛ وأنَّ إبليس له ذرية بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ [الكهف: ٥٠] والملائكةُ لا يتزوجون؛ لأنهم ليسوا بذكور ولا إناث. اهـ

٢- الجن: وهم مقابل الإنس ويجب الإيمان بوجودهم فقط.

٣- سؤال الملكين للميت وإن لم يقبر.

٤- عذاب الميت ونعيمه في البرزخ إلى البعث.

البعث: وهو إحياء الموتى جميعهم وإخراجهم من قبورهم بأجسادهم وأرواحهم إلى المحشر.

قوله: (٢- الجن: وهم مقابل الإنس ويجب الإيمان بوجودهم).

كذلك يجب الإيمان بوجود الجن لأنهم موجودون وهم مخلوق من مخلوقات الله تعالى ومكلفون أيضاً لكن لا يلزم أن يكون تكليفهم مثل تكليفنا، فهم مكلفون بأشياء نحن غير مكلفون بها ونحن مكلفون بأشياء هم غير مكلفون بها، والصحيح أن المؤمنين منهم يدخلون الجنة ويتنعمون[1] وكفارهم يدخلون النار ويعذبون.

وذهب بعضهم إلى أن مؤمنهم لا يدخل الجنة وإنما يكون جزاؤه أن يصير تراباً لكن هذا ضعيف، وأظن أن الإمام الأعظم أبا حنيفة ذهب إلى هذا.

وأما كافرهم فمجمع على دخوله النار لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥][2].

---

(١) لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤].

(٢) قال في بهجة الطالبين: ولما أنهم خلقوا من النار التي خلق منها إبليس قال العلماء: إنهم لا يرون الله تعالى ولم يرد ذلك في صريح الأخبار.

وقد سئل الشيخ الإمام عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه، عن مؤمني الجنِّ: هل لهم حظٌّ في المعرفةِ الخاصةِ، وفي الرؤية إذا دخلو الجنة؟

فأجاب نفع الله به بقوله: اعلم أن الشيخ العارف عبدالوهاب الشعراني رحمه الله تعالى، ذكرَ أنَّ للجن -أي المؤمنين منهم- حظاً في المعرفة الخاصة، وأنهم سألوه عن مسائل منها، وعقد لجوابهم كتاباً سماه: ((كشف الران عن أسئلة الجان)).

وأما الرؤية لله تعالى في الجنَّة: فاعلم أنه قد وقع خلاف في مؤمني الجن، هل يدخلون الجنة أم لا؟ وأجيب بأنه: لم يوجَد دليلٌ صحيحٌ خاصٌّ بهم في دخولِ مؤمنيهم الجنَّةَ، ووقع الاحتجاجُ بعموماتٍ لم يُسَلِّمْها القائل بعدم الدخول، والذي -يظهر لي والعلم عند الله عز وجل- أن المؤمنين منهم يدخلون الجنة، ويرون الرب فيها، إن شاء اللهُ تعالى. اهـ

وسمي الجن بذلك لاجتنانهم[1] وهم يعمرون أعماراً طويلة جداً، وأعطاهم الله قوة على الأعمال الشاقة وغير ذلك، وعددهم أكثر من الإنس بأضعاف وهم مقابل الإنس فالآدميون مخلوقون من الطين والملائكة مخلوقون من النور، وهم مخلوقون من النار قال تعالى: ﴿ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧].

وفيهم الأولياء وفيهم العلماء وفيهم الفقهاء حتى أن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: وفيهم ابن عباس مثلي.

قوله: (٣- سؤال الملكين للميت وإن لم يقبر).

يجب الإيمان كذلك بسؤال الملكين[2] للميت وإن لم يقبر يعني وإن لم يكن مقبوراً حتى ولو أكلته السباع أو غرق في البحر أو أحرق فلا بد من السؤال لأن الله تعالى قادر على أن يجمعه في لحظة واحدة ويقول له: كن فيكون[1] فليس بشرطٍ أن يقبر.

---

(١) أي: استتارهم عن الأعين.

(٢) إنما سمي هذان الملكان بذلك لأنهما يأتيان بصورة منكرة فإن صفتهما كما في الحديث: أنهما أَسوَدَان أزرقان أعينهما كقدور النحاس، وفي رواية كالبرق، وأصواتهما كالرعد إذا تكلما يخرج من أفواههما كالنار بيد كل واحد منهما مطراق من حديد لو ضَرَبَ به الجبال لذابت، وفي رواية: بيد أحدهما مِرْزَبَةٌ لو اجتمع عليها أهل منىً ما أقلّوها، وهما للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح، لكن يترفقان بالمؤمن ويقولان له إذا وُفِّقَ للجواب: نَمْ نومة العروس، وينتهران المنافق والكافر، وقيل: المؤمن الموفَّق له مبشِّر وبشير، وأما الكافر والمؤمن العاصي فلهما منكر ونكير، قيل: ومعهما ملك آخر يقال له ناكور.

ويكون السؤال بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس، وفي الحديث: «وإنه ليسمع قرع نعالهم» فيعيد الله تعالى الروح إلى جميع البدن كما ذهب إليه الجمهور، وقال ابن حجر: إلى نصفه الأعلى فقط، وغلط من قال: يُسئل البدن بلا روح، كمن قال: تسئل الروح بلا بدن، لكن وإن عادت الروح فلا ينتفي إطلاق اسم الميت عليه لأن حياته حينئذٍ ليست حياةً كاملة بل أمر متوسط بين الموت والحياة كتوسط النوم بينهما، ويُرد إليه من الحواس والعقل والعلم ما يتوقف عليهم فهم الخطاب ويتأتى معه ردّ الجواب حتى يسئل.

وأحوال المسؤولين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان جميعاً تشديداً عليه ومنهم من يسأله أحدهما تخفيفاً عليه.

وعن الجلال: أن المؤمن يسئل سبعة أيام، والكافر أربعين صباحاً ويسألان كل أحدٍ بلسانه على الصحيح، خلافاً لمن قال بالسرياني ولذلك قال بعضهم:

ومن عجيب ما ترى العينانِ … أن سؤال القبر بالسرياني

أفتى بهذا شيخنا البُلقيني … ولم أرَهُ لغيره بعيني

اهـ (الباجوري على الجوهرة)

قوله: (٤- عذاب الميت أو نعيمه الخ).

كذلك يجب الإيمان بعذاب القبر[٢] أو نعيمه والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار[٣].

والصحيح أن عذاب القبر ونعيمه للروح والجسم وليس للروح فقط[٤] ونعيم القبر لأهل الإيمان والطاعة وعذابه لأهل الكفر والمعصية في البرزخ قال تعالى: ﴿وَمِن

---

(١) سؤال الملكين يكون للمؤمنين والمنافقين والكافرين خلافاً لابن عبدالبر حيث قال في تمهيده: الكافر لا يسئل وإنما يُسئَل المؤمن والمنافق لانتسابه للإسلام في الظاهر والجمهور على خلافه.

والظاهر كما جزم به الجلال السيوطي وغيره: اختصاص السؤال بمن يكون مكلفاً، بخلاف الأطفال، والظاهر أيضاً عدم سؤال الملائكة. وأما الجن فجزم الجلال بسؤالهم لتكليفهم وعموم أدلة السؤال لهم.و حكمة السؤال: إظهار ما كتمه العباد في الدنيا من إيمان أو كفر أو طاعة أو عصيان؛ فالمؤمنون الطائعون يباهي الله بهم الملائكة، وغيرهم يفضحون عند الملائكة. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) إنما أضيف العذاب إلى القبر لأنه الغالب وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عُذِّب سواء قُبر أو لم يقبر ولو صُلب أو غرق في بحر أو أكلته الدواب أو حُرِّق حتى صار رماداً وذُرِيَ في الريح. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٣) قال الشاعر:

والقـــبر إمـــا روضـــة نعيمَـــة   نعـــم وإلا حفـــرة جحيمَـــة

فاعمـــل لنفســـك لا تكـــن بهيمَـــة   تجـري ولا تـدري بعظـم الاخطـار

(٤) المعذب البدن والروح جميعاً باتفاق أهل الحق، وخالف محمد بن جرير الطبري وعبدالله بن كرّام وطائفة، وقالوا: المعذب البدن فقط، ويخلق الله فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويلتذ ويتألم، ويكون للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين ويدوم على الأوَّلَين، وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين وهم من خفت جرائمهم من العصاة فإنهم يعذبون بحسبها.

وقد يرفع عنهم بدعاءٍ أو صدقةٍ أو غير ذلك كما قاله ابن القيم وكل من كان لا يسئل في قبره لا يعذب فيه أيضاً. اهـ

ومن عذاب القبر ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو أن تنِّيناً منها نفخ على الأرض ما أنبتت خضراء» والتنين: أكبر الثعابين، قيل: وحكمة هذا العدد أنه كفر بأسماء الله الحسنىٰ وهي تسعة تسعون.

ومن عذابه أيضاً ضغطته وهي التقاء حافتيه، وورد أن الأرض تضمه حتى تختلف أضلاعه ولا ينجو منها أحد ولو صغيراً سواء كان صالحاً أو طالحاً إلا الأنبياء وإلا فاطمة بنت أسد وإلا من قرأ سورة الإخلاص في مرضه ولو نجا منها أحد.. لنجا منها سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن.

ومن نعيمه: توسيعه سبعين ذراعاً عرضاً وكذا طولاً ومنه أيضا: فتح طاقةٍ فيه من الجنة وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة، وقد ورد: أن الله تعالى أوحىٰ إلى موسى: "تعلم الخير وعلمه للناس فإني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم".

وعن عمر مرفوعاً: «من نوَّر مساجد الله نوَّر الله له في قبره». اهـ (الباجوري على الجوهرة)

وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] ويستمر إلى البعث فإذا كان معذباً يضيَّق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ولا يزال معذباً إلى أن يبعثه الله وإذا كان من السعداء.. يُنَعَّم في قبره ويفتح له باب إلى الجنة وينظر إلى مقعده في الجنة ويدخل عليه شيء من نسيمها ورَوْحها.

قوله: (٥- البعث: وهو إحياء الموتى الخ).

البعث هو النشر والحشر لجميع الخلائق من لدن آدم إلى يوم القيامة لأن الله تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور فتخرج الأرواح مثل النمل لأن أرواح بني آدم كلهم في الصور، فيَنْفُخ فترجع كل روح إلى جسدها فينبتون أولاً مثل نبات البقل ثم ترجع كل روح إلى جسدها ولا تخطئ روحٌ جسدها فيحيون وتنشق الأرض فيخرجون من قبورهم وهذا هو البعث ليوم القيامة، والمرء يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه، فيحشرون إلى أرض المحشر[1]، فيجب الإيمان بهذا كله.

---

(١) الحشر: عبارة عن سَوقهم جميعاً إلى الموقف وهو الموضع الذي يقفون فيه من أرض القدس المبدلة التي لم يُعصى الله عليها لفصل القضاء بينهم ولا فرق في ذلك بين من يُجازئ وهم الأنس والجن والملك وبين من لا يُجازئ كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه المحققون وصححه النووي.

وذهبت طائفة أنه لا يحشَر إلا من يُجازئ وهذا ظاهر في الكامل، وأما السِّقط وهو الذي لم تتم له ستة أشهر فإن ألقي بعد نفخ الروح فيه أُعيد بروحه، ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول.

وإن ألقي قبل نفخ الروح فيه كان كسائر الأجسام التي لا روح فيها كالحجر فيحشر ثم يصير تراباً.

وأول من تنشق عنه الأرض نبينا صلى الله عليه وسلم فهو أول من يبعث وأو واردِ المحشر كما أنه أول داخل الجنة.اهـ (الباجوري على الجوهرة)

٦-اليوم الآخر: وهو يوم القيامة وما فيه من الأهوال والحساب لجميع المكلفين على جميع أعمالهم.

٧- أخذ الصحف باليمين أو الشمال.

٨- الميزان: ولا يجب البحث عن حقيقته.

٩- الصراط: ومرور الناس جميعهم عليه

قوله: (٦- اليوم الآخر: وهو يوم القيامة وما فيه من الأهوال الخ).

اليوم الآخر هو يوم القيامة[1] وما اشتمل عليه من أهوال الحساب لجميع المكلفين على جميع أعمالهم قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦][2].

قوله: (٧- أخذ الصحف باليمين أو الشمال).

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤] وفي الآية الثانية: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ * فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢] والمؤمن يأخذ كتابه

---

(١) اليوم الآخر: هو يوم القيامة وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح.

وقيل: إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وسمي باليوم الآخر.. لأنه آخر أيام الدنيا بمعنى أنه متصلٌ بآخر أيام الدنيا لأنه ليس منها حتى يكون آخرها.

وسمي بيوم القيامة.. لقيام الناس فيه من قبورهم بين يدي خالقهم وقيام الحجة لهم أو عليهم وله نحو ثلاثمائة اسم اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) **(فائدة):** الناس يكونون في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها، ثم يدخل المؤمنون الجنة جرداً مرداً أبناء ثلاث وثلاثين سنة طول كل واحد منهم ستون ذراعاً وعرضه سبعة أذرع، ثم لا يزيدون ولا ينقصون، وأما أجسام الكفار فمختلفة المقادير، حتى ورد أن ضرس الكافر في النار مثل أحد، وفخذه مثل ورقان وهما جبلان بالمدينة. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

بيمينه من أمامه[1]، والكافر من وراء ظهره بشماله واختلفوا في الفاسق والصحيح أنه يأخذ كتابه أيضاً بيمينه[2] لا بشماله كالكافر[3].

قوله: (٨- الميزان: ولا يجب البحث عن حقيقته).

لا يجب البحث عن حقيقته وبعضهم يقول أنه عظيم والكفة من كفَّتيه تسد الأفق، ونبيٌّ من الأنبياء سأل الله أن يريه الميزان فأراه وإذا بكل كفة من كفَّتيه قد سدت الأفق فقال: يا رب ومن يقدر أن يملي ميزانه حسنات؟ قال سبحانه: «إني إذا رضيت عن عبدي ملأته بتمرة» قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦ – ٧].

وقال بعضهم: أنه عكس ميزان الدنيا فالكفة التي تثقل ترتفع والتي تخف تنزل، والصَّنج[4] أي: المثاقيل فيه أمثال الذر، وله كفتان وعمود[5].

---

(١) وأول من يأخذ كتابه بيمينه مطلقاً عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وبعده أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد، وأول من يأخذه بشماله أخوه الأسود بن عبدالأسد لأنه أول من بادر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرب يوم بدر، وقدروي: أنه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) كما جزم به الماوردي وقيل: يأخذه بشماله. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٣) المراد من الصحف: الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا وقد اختلف فقيل: توصل صحف الأيام والليالي، وقيل ينسخ ما في جميعها في صحيفةٍ واحدة، وظواهر الآيات والأحاديث شاهدة بعمومه لجميع الأمم، نعم.. الأنبياء لا يأخذون صحفاً وكذا الملائكة لعصمتهم، ومن يدخل الجنة بغير حساب ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وقد ورد: أن الريح تطيِّرُها من خزانة تحت العرش فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها، وورد أيضا: أن كل أحدٍ يدعىٰ فيعطىٰ كتابه فحصل التعارض بين الروايتين وجمع بينهما.. بأن الريح تطيّرها أولاً من الخزانة فتتعلق كل صحيفة بعنق صاحبها ثم تناديهم الملائكة فتأخذها من أعناقهم وتعطيها لهم في أيديهم. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(فائدة): قال في الصاوي على الجوهرة: وأول ما يقرأ المؤمن من صحيفته حسناته فيبيضّ وجهه، والكافر ضد ذلك، ويقرأ كل أحد كتابه ولو أمياً فمنهم من يكتفي بقراءة نفسه، ومنهم من يدعو الناس لقراءته وذلك كالرؤساء المقتدى بهم في الخير، والجن كالإنس في ذلك سواء.

(٤) قال في الصاوي على الجوهرة: وهل الوزن بصنج أو لا؟ واستُظهر الأول تحقيقاً للعدل، فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات فإن رجح أحدهما وضع صنج بقدر ما رجح فيُنعَّم بقدره أو يعذب بقدره، فإن لم يكن له إلا حسنات فقط أو سيئات فقط: وضعت الصنج في الكفة الأخرى. اهـ

(٥) وجبريل آخذٌ بعموده ناظرٌ إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه ومحله بعد الحساب، وقيل: لكل عاملٍ موازين يوزن بكل منها صنف من عمله، وفائدة الوزن: جعله علامةً لأهل السعادة والشقاوة، وتعريف العباد ما لهم وما عليهم من الخير والشر وإقامة الحجة عليهم. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

واختلفوا ما هو الشيء الذي يوزن؟ فقيل: الشخص نفسه، وهذا بعيد وضعيف.

والثاني: أن الذي يوزن هي الكتب أي كتب الأعمال ويدل عليه حديث البطاقة: «تنشر للرجل تسعة وتسعون سجلاً كل سجلٍّ على مَدِّ البصر فتوضع السجلات في كفه ثم تُخرَج بطاقة صغير كالأنملة وفيها شهادة أن لا إله إلا الله فثقلت البطاقة وطاشت السجلات[1]، ولا يثقل مع اسم الله شيء»، لكن الصحيح أن الذي يوزن هو نفس الحسنات والسيئات بعد أن يجسِّمها الله تعالى، فالحسنات تكون في صورة نورانية، والسيئات في صورة ظلمانية[2].

قوله: (٩- الصراط:[3] ومرور الناس جميعهم عليه).

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] وهو أدق من الشعرة وأحدّ من السيف، ومسافته قيل: مسيرة ألف سنة

---

(١) فقد روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجلٍ منها مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك حسنة؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا لحسنة وإنه لا ظلم عليك؛ فتخرج له بطاقة كالأنملة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء. وهذا ليس لكل عبدٍ بل لعبدٍ أراد الله به خيراً. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) ولا يكون الوزن في حق كل أحد لأنه لا يكون للأنبياء والملائكة ومن يدخل الجنة بغير حساب فإنه فرغٌ عن الحساب، ولا مانع من وزن سيئات الكفار ليجازوا عليها بالعقاب أما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] معناه لا نقيم لهم يوم القيامة وزناً نافعاً، وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف وهذا في المؤمن، وأما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله سبحانه وتعالى وقد يوزن الشخص نفسه لحديث ابن مسعود: «رجله في الميزن أثقل من جبل أحد». اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٣) وهو بالصاد أو بالسين أو بالزاي المحضة أو بالإشمام وقرئ في السبع بما عدا الزاي المحضة، ومعناه لغة: الطريق الواضح مأخوذ من صَرِطَهُ يَصرُطُهُ إذا ابتلعه لأنه يبتلع المارة، وشرعاً: جسر ممدود على متن جهنم يَرِدُهُ الأولون والآخرون حتى الكفار خلافاً للحليمي حيث ذهب أنهم لا يمرون عليه ولعله أراد الطائفة التي ترمى في جهنم من الموقف بلا صراط. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

وقيل خمسة عشر ألف سنة[1] ويكون مرور الناس على الصراط على حسب أعمالهم فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم كلمح البصر، ومنهم كأشد الريح ومنهم كالخيل ومنهم من يمشي حَبْواً ومنهم من يسقط على أم رأسه[2] إلى جهنم لأنه ممدود على متن جهنم، وما من أحد إلا ويمر عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر ولا طريق إلى الجنة إلا من طريق الصراط[3].

(١) وهذا مروي عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال: بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستوى، أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله اهـ. أخرجه ابن عساكر.

وقيل: ثلاثة آلاف سنة، صعوده ألف سنة، واستواءه ألف سنة، وهبوطه ألف سنة، .

قال الفاكهي في خلاصة الوسيلة: والتحصين من تعب الصراط أن يحافظ على قول: اللّهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزول الأقدام. اهـ

وقال الحبيشي: وكذا أن يحافظ خلف الفرائض على: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها واحداً ورباً شاهداً ونحن له مسلمون (أربع مرات) فمن قال ذلك جعل الله له الصراط أربعة أذرع في أربعة. اهـ (الأنوار اللامعة)

(٢) قال في الصاوي على الجوهرة: والناس في مرورهم على ثمانية أقسام: منهم من يجوز عليه كطرف العين، ومنهم كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح العاصف، ومنهم كالطير، ومنهم كالجواد السابق، ومنهم من يجري، ومنهم من يمشي، ومنهم من يحبو، فكل من أعرض عن الشهوات وصان قلبه عن الخطرات كان أسرع عليه. اهـ

(٣) وشمل ما ذكر النبيين والصديقين ومن يدخل الجنة بغير حساب وكلهم ساكتون إلا الأنبياء فيقولون: اللّهم سلم سلم كما في الصحيح. اهـ

وفي حافتيه كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، وهي كشوك السعدان كما ورد بذلك، وقيل أن جبريل في أوله وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فيما أبلوه وعن علمهم ماذا عملوا به، وقيل إنه يدق ويتسع بحسب ضيق نور كل شخص وانتشاره. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

١٠ - الحوض المورود: يجب الإيمان بوجوده وورود طائفة من الناس عليه.

١١ - الجنة والنار: وما وصفهما الله به ووجوب الخلود فيهما.

١٢ - الشفاعة العظمى للنبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

١٣ - العرش الكرسي واللوح والقلم.

١٤ - رؤية الله سبحانه في الآخرة [أكرمنا الله بذلك آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين]

قوله: (**١٠ - الحوض المورود: يجب الإيمان بوجوده الخ**).

قالوا: لكل نبي حوض تشرب منه أمته[١] لكن حوضه صلى الله عليه وسلم أكبرها[٢] وأوسعها فيجب الإيمان بوجوده[٣] وفي الحديث: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وآنيته بعدد نجوم السماء وهو أبيض من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً» إلى دخول الجنة وماؤه من الكوثر[٤].

واختلفوا هل هو بعد الصراط أو قبله والصحيح أنه قبله[٥] وقال بعضهم أنهما حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعده[٦]، فيجب الإيمان بذلك.

---

(١) فعن الحسن مرفوعاً: «إن لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه وبيده عصا يدعو من عرفه من أمته ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً» اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) وطوله: شهر وعرضه: كذلك، وزواياه: سواء، وفي الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً»، وورد أن الأمين عليه سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولم يصح أن حوض صالح عليه الصلاة والسلام: ضرع ناقة. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

(٣) لكن لا يكفر من أنكره وإنما يفسق وقد نفته المعتزلة. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٤) وأحوالهم في الشرب مختلفة فمنهم من يشرب لدفع العطش، ومنهم من يشرب للتلذذ، ومنهم من يشرب لتعجيل المسرة، وأطفال المسلمين ذكورهم وإناثهم حول الحوض وعليهم أقبية الديباج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق الفضة وأقداح الذهب يسقون آبائهم وأمهاتهم إلا من سخط في فقدهم فلا يؤذن لهم أن يسقوه. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٥) وهو قول الجمهور وصححه بعضهم لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً وقيل بعده وصححه بعضهم. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٦) وصححه القرطبي. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

وقوله وورود طائفة من الناس.. لعل هذا سبق قلم لأن الناس يردون عليه ولعله أراد ورَدّ طائفة من الناس لأن بعضهم يذادون عنه أي يطردوا فيقول عليه الصلاة والسلام: «هؤلاء أصحابي»؟ فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أي غيَّروا وبَدّلوا فيقول: «سُحقاً سحقاً» قيل: إن الذين يذادون عن الصراط هم المرتدون، وقيل: هم أصحاب الكبائر، وقيل: هم أهل البدع[1].

قوله: (١١- الجنة والنار: وما وصفهما الله به الخ).

الجنة والنار مخلوقتان فالجنة دار الثواب والنار دار العقاب وليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار وفي الحديث: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك» وأكثر آيات القرآن تذكر الجنة والنار فيجب الإيمان بوجودهما[2] ووجوب الخلود فيهما قال تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١٠٧] فالخلود فيهما أبدي سرمدي.

والدنيا ساعة وليس بعد هذه الساعة إلا ساعتين إما ساعة نعيم دائم أو ساعة عذاب دائم.

والجنة درجات أي بعضها أعلى من بعض وأعلاها الفردوس التي سقفها عرش الرحمن[3] ومنها تتفجر أنهار الجنة الأربعة[1].

---

(١) والذي عليه المحققون أن المطرودين عن الحوض قسمان: قسم يطرد حرماناً وهم الكفار فلا يشربون منه أبداً، وقسم يطرد عقوبةً له ثم يَشرب وهم عصاة المؤمنين فيشربون قبل دخولهم النار على الصحيح. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) وقال أبو هاشم وعبدالجبار من المعتزلة: إنما يوجدان يوم القيامة كما مر.

(٣) الجنة لغةً: البستان، والمراد منها دار الثواب، وأبوابها الكبار ثمانية: باب الشهادتين، وباب الصلاة، وباب الصيام، وباب الزكاة، وباب الحج، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب الصلة، وباب الجهاد في سبيل الله، ومن داخلها عشرة أبواب صغار، وترابها المسك والزعفران، وفي كل قصرٍ منها فرعٌ من شجرة طوبى، وأصلها في بيت سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، تطرح ما تشتهيه الأنفس، فإذا أراد الإنسان الأكل قال: سبحانك اللّٰهمَّ، فتوضع بين يديه مائدةٌ طولها ميل، وعرضها ميل، فيها جميع ما يشتهي فإذا فرغ قال: الحمد لله رب العالمين فترفع وهو معنى قوله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠]. اهـ (الصاوي على الجوهرة)

وأما النار فدركات وأسفلها الهاوية وهي مساكن المنافقين وأعلاها جهنم التي تُخَرَّب إذا خرج منها عصاة الموحدين[2].

قوله: (١٢ – الشفاعة العظمى للنبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).

هذا كما ورد في حديث الشفاعة العظمى[3] وذهاب الناس إلى آدم وغيره فيعتذرون حتى يأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: «أنا لها» ويسجد تحت العرش فينادى: «يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع» وهو المقام المحمود المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩] أي الذي يحمده فيه الأولون والآخرون ويغبطه الأنبياء والمرسلون.

فهذه الشفاعة خاصة به، وقيل أن له صلى الله عليه وسلم أربع شفاعات، وقيل ثمان شفاعات[4] وبعضها مشتركة بينه وبين الأنبياء وبعضها خاصة به كالشفاعة

---

(١) اختلف في الجنة هل هي سبع جنات متجاورة أفضلها وأوسطها الفردوس وهي أعلاها –والمجاورة لا تنفي العلو– وفوقها عرش الرحمن، ومنها تنفجر أنهار الجنة، ويليها في الأفضلية جنة عدن، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، وجنة المأوى، ودار السلام، ودار الجلال. والجنان كلها متصلة بمقام الوسيلة ليتنعم أهل الجنة بمشاهدته صلى الله عليه وسلم لظهوره صلى الله عليه وسلم لهم منها لأنها تشرق على أهل الجنة، كما أن الشمس تشرق على أهل الدنيا، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٢) وطبقات النار السبع: أعلاها جهنم وهي لمن يعذب على قدر ذنبه من المؤمنين، وتصير خراباً بخروجهم منها؛ وتحتها لظى وهي لليهود ثم الحُطَمَة وهي للنصارى، ثم السعير وهي للصابئين وهم فرقة من اليهود، ثم سقر وهي للمجوس، ثم الجحيم وهي لعبدة الأصنام، ثم الهاوية وهي للمنافقين. وذكر ابن العربي أن هذه النار التي في الدنيا ما أخرجها الله إلى الناس من جهنم حتى غمست في البحر مرتين، ولولا ذلك لم ينتفع بها أحد من حرّها وكفى بها زاجراً، وبعد أخذ نار الدنيا منها أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم ألف سنة حتى احمرت، ثم ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، وحرّها هواء محرق ولا جمر لها سوى بني آدم والأحجار المتخذة آلهة من دون الله. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] . اهـ (الباجوري على الجوهرة)

قال في الصاوي على الجوهرة: وأرضها –أي النار– من رصاص، وسقفها من نحاس، وحيطانها من كبريت.

(٣) الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب، وعرفاً: سؤال الخير من الغير للغير وشفاعة المولى عبارة عن عفوه فإنه تعالى يشفع فيمن قال: لا إله إلا الله وأثبت الرسالة للرسول الذي أرسل إليه ولم يعمل خيراً قط ليتفضل الله تعالى عليه بعدم دخوله النار بلا شفاعة أحد. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

(٤) قال في الصاوي على الجوهرة: أعظمها الشفاعة في فصل القضاء وهي مختصة به قطعاً، وثاني الشفاعات: في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهي مختصة به أيضاً، ثالثها: فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها وليست مختصة به صلى الله عليه وسلم، رابعها: في إخراج الموحدين من النار وليست مختصة به أيضاً، وقيل: إن لم يكن معه إلا مثقال ذرة من الإيمان اختصت به وإلا فلا، خامسها: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، سادسها: في جماعة من صلحاء أمته ليُتجاوز

العظمى وورد: «الشفعاء ثلاثة: الأنبياء، والعلماء، والشهداء» وبعضهم قال: أن لكل مؤمن شفاعة على قدر منزلته ووجاهته عند الله تعالى كما أويس القرني فإنه إذا كان يوم القيامة يشفعه الله تعالى في عددٍ كربيعة ومضر والشفاعة العظمى الخاصة به صلى الله عليه وسلم هي لإراحة الناس من طول الموقف.

قوله: (١٣- العرش الكرسي واللوح والقلم).

هذا من جملة ما يجب الإيمان به[1].

قوله: (١٤- رؤية الله سبحانه في الآخرة الخ).

هذا أكبر نعيم الجنة قال سيدنا الإمام الحداد:

وأكبَرُ من هذا رضا الربِّ عنهمُ ... ورؤيـتـهم إيـاه مـن غـير حاجـبِ

والمعتزلة أنكروا رؤية الباري سبحانه وتعالى وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] كما تقدم لكن هذا في الدنيا أما في الآخرة فالمؤمنون يرون ربهم قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ

عنهم في تقصيرهم في الطاعات، سابعها: فيمن خُلِّدَ في النار من الكفار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة كما في حق أبي لهب وغيره، ثامنها: في أطفال المشركين أن لا يعذبوا.

وبالجملة.. فالمختص به قطعاً صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة العظمى وأما ما عداها ففيه خلاف. اهـ

(١) العرش: وهو جسم عظيم نوراني علوي. قيل: من نور. وقيل: من زبرجدة خضراء. وقيل: من ياقوتة حمراء؛ والأولى الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها، والتحقيق أنه ليس كروياً بل هو قبة فوق العالم ذات أعمدة أربعة تحمله الملائكة؛ في الدنيا أربعة، وفي الآخرة ثمان لزيادة الجلال والعظمة في الآخرة، رؤوسهم عند العرش في السماء السابعة، وأقدامهم في الأرض السفلى، وقرونهم كقرون الوعل أي بقر الوحش، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام. وقيل: إنه كروي محيط بجميع الأجسام، وهذا خلاف التحقيق.

والكرسي: هو جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة بينه وبينها مسيرة خمسمائة عام كما نقل عن ابن عباس؛ والأولى أن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم بها وهو غير العرش خلافاً للحسن البصري.

اللوح: هو جسم نوراني كتب فيه بإذن الله ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وهو يكتب فيه الآن على التحقيق من أنه يقبل المحو والتغيير؛ ونمسك عن الجزم بحقيقته. وفي بعض الآثار: «إن لله لوحاً أحد وجهيه ياقوتة حمراء والوجه الثاني زمردة خضراء».

القلم: هو جسم عظيم نوراني خلقه الله وأمره بكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. قيل: هو من البراع وهو القصب؛ والأولى أن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته فكل واحد منها لِحِكَمٍ يعلمها الله سبحانه وتعالى وإن قصرت عقولنا عن الوقوف عليها. اهـ (الباجوري على الجوهرة)

﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وكم وكم ورد في ذلك نسأل الله أن يكرمنا بذلك آمين يا رب العالمين.

الفاتحة إلى روح أبي الحسن الأشعري وجميع أهل السنة والجماعة وإلى روح الحبيب محمد بن أحمد الشاطري وجميع علماء أصول الدين وجميع علماء التوحيد أن الله يعلي درجاتهم في الجنة ويعيد علينا من بركاتهم وأسرارهم وأنوارهم ويثبت في صدورنا ما سمعنا وما قرأنا ويثبتنا على الحق فيما نقول ويثبتنا على الحق فيما نفعل ويثبتنا على الحق فيما نعتقد وأن الله تعالى يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ويحفظنا إن شاء الله تعالى من العقائد الزائغة وإلى حضرة النبي سيدنا محمد وآله ومن والاه.

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ١ – ٧].

إلى هنا انتهى تقرير دروس التوحيد



عقيدة الإمام أبي بكر السكران[1]

هذه العقيدة المنسوبة إلى سيدنا الإمام أبي بكر السكران المتوفى سنة: ٨٢١هـ ابن سيدنا الإمام عبدالرحمن السقاف المتوفى سنة:٨١٩هـ ومنهم من ينسبها إلى ابنه سيدنا الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥هـ ومنهم من ينسبها إلى ابنه سيدنا الإمام عبدالرحمن بن علي المتوفى سنة: ٩٢٣ رحم الله الجميع ونظمنا في سلكهم ورحمنا بهم ومشايخنا ووالديهم ووالدينا والمسلمين آمين

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره صدق الله وصدق رسوله صدق الله وصدق رسله آمنت بالشريعة وصدقت بالشريعة وإن كنت قلت شيئاً يخالف الإجماع رجعت عنه وتبرأت من كل دين يخالف دين الإسلام اللّهم إني أؤمن بما تعلم أنه الحق عندك وأبرئ مما تعلم أنه الباطل عندك فخذ مني جملاً ولا تطالبني بالتفصيل

استغفر الله العظيم وأتوب إليه......(ثلاث مرات) ندمت من كل شر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق وأن كل ما أخبر به رسول الله صل الله عليه وآله وسلم حق وأن خير الدنيا والآخرة في تقوى الله وطاعته وأن شر الدنيا والآخرة في معصية الله ومخالفته ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

لا إله إلا الله أفني بها عمري

لا إله إلا الله أدخل بها قبري

---

(١) أضفنا هذه العقيدتين من باب تتميم الفائدة.

لا إله إلا الله أخلو بها وحدي

لا إله إلا الله ألقى بها ربي

لا إله إلا الله قبل كل شيء

لا إله إلا الله بعد كل شيء

لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء

لا إله إلا الله نستغفر الله

لا إله إلا الله نستغفر الله

لا إله إلا الله نستغفر الله

لا إله إلا الله نتوب إلى الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في كل لحظة أبدا عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

العقيدة المجملة لسيدنا الإمام عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه

وبعد فإنا والحمد لله قد رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله وآله وسلم نبياً ورسولا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا وتبرأنا من كل دين يخالف دين الإسلام وآمنا بكل كتاب أنزله الله وبكل رسول أرسله الله وبملائكة وبالقدر خيره وشره وباليوم الآخر وبكل ما جاء به محمد رسول الله صلى الله وآله وسلم عن الله على ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نبعث إن شاء الله من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفضلك اللهم يا رب العالمين.

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
نبذة مختصرة عن الحبيب محمد بن أحمد الشاطري	٩
نبذة مختصرة عن الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط	١١
الدرس الأول: في مبادئ علم التوحيد	١٣
الدرس الثاني: في تفسير ألفاظ كثيراً ما تتكرر في هذا الفن	٣١
الدرس الثالث: في تعريف الحكم المطلق وأقسامه	٤٣
الدرس الرابع: أقسام الحكم العقلي التي تنبي عليها مسائل	٥٢
الدرس الخامس: في معرفة الله وما يتعلق بها وعدد الصفات إجمالاً	٥٧
الدرس السادس: في أول الصفات الواجبة: الوجود	٧٧
الدرس السابع: في الصفة الثانية والثالثة وهما البقاء والقدم	٨٨
الدرس الثامن: في الصفة الرابعة وهي المخالفة للحوادث	٩٥
الدرس التاسع: رؤية الله والصفة الخامسة: القيام بالنفس	١١١
الدرس العاشر: الوحدانية	١٢٠
الدرس الحادي عشر: في حكم أفعال وتأثير المؤثرات وصفة العلم	١٣١
الدرس الثاني عشر: في الصفة الثامنة وهي الإرادة وما تعلق بها	١٥٠
الدرس الثالث عشر: في الصفة التاسعة وهي القدرة والعاشرة وهي الحياة	١٦٣
الدرس الرابع عشر: الحادية عشر وهي الكلام	١٧١
الدرس الخامس عشر: في الصفة الثانية عشر والثالثة عشر وهي السمع والبصر	١٨٠
الدرس السادس عشر: في الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة في صفات المعاني	١٩٦
الدرس السابع عشر: في الجائز في حق الله تعالى	٢٠٣
الدرس الثامن عشر: في إرسال الرسل وتعريف المعجزة	٢٠١

فهذا شرح مسدَّدٌ ومفيد, مستخلص من دروس التوحيد, لسيدي الحبيب العلامة, والحبر الفهامة, والبحر المحيط, زين بن إبراهيم بن سميط, أمتع الله بحياته حسا ومعنى, وأدام النفع بعلومه وجعلها للبرية خير مجنى, يسهل على الطالب المبتدئ استيعابُها, بعد أن فكّت عويصات مسائلها وذُلِّلت صعابُها, نسأل الله أن ينفع بها إلى يوم الدين, إنه المفتاح لكل خير وهو ذخرنا ونعم المعين والحمد لله رب العالمين.

